وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة1-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

رقم التسجيل.....

الرقم التسلسلي.....

الحِسُّ المَأساويُّ في الشِّعر الشِّيعيِّ إلى نِهايةِ القرنِ الثَّالثِ الهِجريِّ

أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب العربي القديم

إعداد الطالبة:

إشراف الأستاذالدكتور:

عقيلة كبوس

الأخضر عيكوس

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أد.الربعي بن سلامة	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري-قسنطينة1	رئيسا.
أد. الأخضر عيكوس	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي	مشرفا ومقررا .
أد.موسى شـــروانة	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري-قسنطينة1.	عضوا
أد.ذيـــاب قـــديد	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري-قسنطينة1.	عضوا
أد.العلمـــي لـــراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي	عضوا مناقشا.
أد.رابـــــح دوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة	عضوا

مناقشا.

مناقشا.

مناقشا.

2018_2017م

1440-1439هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــد اء

إلى كل من علمني حرفا
إلى روح والدي رحمه الله
إلى والدتي العزيزة أطال الله في عمرها
إلى الذي شاركني هموم الحياة والبحث وتحمل مشاقهما معي
إلى زوجي العزيز
إلى أولادي الأربعة حفظهم الله ورعاهم
نسرين
سارة
أسامة
محمد رضا

عقيلة كبوس

شكر وتقدير

أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور لخضر عيكوس الذي تفضل فأشرف على هذه الأطروحة ،ولم يتوان عن رفدي بفيض معرفته وخبرته الطويلة ،وتوجيهاته السديدة ،وحلمه الواسع .

أشكره على جهده المبذول ، وفتح مكتبته الخاصة أمامي ووقته الثمين في سبيل أن يرى هذا البحث النور بعد أن قوم منه ما اعوج ،وصوب ما تخلله من أخطاء فكان شعلة النور التي لم تضن بإشعاعها يوما .فجزاه الله عنى كل خير .

الطالبة عقيلة كبوس

مقـــدمـــــة

•إشكالية البحث:

تُحاوِلُ هذه الدراسةُ المُعنوَنةُ بـ:

"الْحِسُّ الْمَأْسَاوِيُّ فِي الشِّعْرِ الشِّيعِيِّ إِلَى نِهَايَةِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهِجْرِيِّ"

أنْ تُقاربَ مَوضُوعَ "المَظلُومِيةِ" في الأدبِ الشيعيّ ،وهيَ التِّيْمةُ التي شكّلتْ هاجسًا للشعراء الذين انتَصَروا لِحقّ آل البيتِ في الخلافةِ المُغتصَبة ؛ وقد ظلّ هذا الهاجسُ منْبعًا ثرَّاً يمُدُّ هؤلاءِ الشعراءَ بأجْملِ الصُّورِ المأساويةِ المُثيرةِ للعواطفِ المتأجّجةِ والمُدافعةِ عن هذا الحَقِّ السَّليب.

لقد اشترك شعراءُ الشّيعةِ في حمْلِ رايةِ "المظلومية" هذهِ ،وراحوا يُلوّحُون بها عالياً ، مُطالِبين بوجُوب إرجاعِ الحقّ إلى أصحابه، والثَّأْر لِمقْتلِ الحُسينِ ابنِ عليٍّ الّذي تحوّل إلى أيْقونةٍ ،تتجسدُ فيها كلُّ معاني التّضحيةِ والفداءِ في سبيل إعلاءِ كلِمةِ الحقّ، ونُصرةِ المَظلُومينَ.

وظلَّ الشاعرُ الشّيعيُّ يحملُ شعارَ هذه "المظلومية" ويتجرّعُ مرارتَها على مرّ القرونِ، فطبَعتْ شعرَهُ بمختلِفِ أشكالِ صُورِ القَمعِ ،والقَهرِ والتَّنكيلِ التي مارسها بنُو أميةَ على مُعارضِيهم بصفةٍ عامةٍ، والشّيعة بوَجْهٍ خاصّ.

وقد حاولَ البحْثُ استجلاءَ هذهِ الصّور وألوانِها من خلالِ النُّصوص الشّعرية على مدارِ القرونِ الثلاثةِ الأولى ،ليُحلّلَها ويبرزَ مواطنَ الصّدقِ العاطفي والوجداني فيها ، وهو الصّدقُ الذي جعَلَها صُورًا حيَّةً نابضةً بالحُزنِ والألم، ومفعمةً بمشاعرِ الأسَى والانكسارِ الذي سُرعان ما يتحولُ إلى حُلمٍ منشودٍ، ما ينْفَكُّ الشاعرُ يَسْعى إلى بُلوغِه ،ويدعُو إلى تَحقِيقه.

إنَّ فكرةَ "المظلومية" هذه ،هي التي تتأَسَّسُ عليها إشكاليةُ هذا البحثِ ، وذلك لتُجيبَ عنِ الانشغالات والفرضيات الآتية:

***كيف ظهرتْ فكرةُ "المظلومية" من الناحية التاريخية، ومَتى؟**

***لماذا اختلف المسلمون بعدَ وفاة النَّبيّ صلى الله عليه وسلم؟**

***هل كان للخلافِ السياسي وانقسامِ المسلمين شِيَعاً وأحزابًا أثرٌ على الشُّعراء؟**

***كيف تميَّزَ شعراءُ الشيعةِ ،فأبدعوا شِعرًا يكادُ يكونُ مختلفاً عقَديًّا وفنّيًّا عن شعرِ غيرِهم. وهلِ استطاع هؤلاءِ الشعراءُ حقّا أن يستَوْعِبُوا المضمونَ الفكريَّ والدينيَّ لِرُؤى الشيعةِ ومواقفِهم من الصّراع الذي نشِبَ بين المسلمين، ويتمَكَّنوا ،بالتالي ، من إنشاءِ خطابٍ شعريٍّ يكون مُجسِّدا للخطابِ السياسي مُنفعِلاً بِه ومُتفاعلاً مَعه.**

***كيف يُمكنُ تفسيرُ ظاهرةِ الحُزنِ والحِسّ المأساوِي الذي طبَعَ شِعرَ شعراءِ الشيعةِ على وجهِ الخُصوص؟**

***كيفَ أثَّرَ الموروثُ الشيعيُّ والقرآنُ الكريمُ في صِيغةِ القصيدةِ الشيعية، فكرًا ولغةً ومُحَاجَجَةً ؟**

•إضَاءةُ الإشكاليةِ:

بعْدَ وفاةِ الرسول صلى الله عليه وسلم ،واجهتِ المسلمينَ مُشكلةُ الخلافةِ، فأجمعُوا على أنُّه لابدّ مِن انتخابِ خليفةٍ يَرعى شُؤونَ الأُمَّةِ ،ويحفَظُ شرعَها ومصالِحَها ،فاتَّفقُوا على المبْدأ، واختلفوا في الشَّخص..، ورغم أن الأمرَ قد حُسِمَ في اجتماع ساقفة بني ساعدة إلا أنَّ ذلك لم يُفْضِ إلى حَلّ نهائي لهذِه المشكلةِ التي اسْتعَرَ أُوَارُها بعدَ مقتلِ عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فكان مقتلُه نقطةَ تحوُّلٍ جذريّ في التاريخ الإسلامي؛ فاشتعلتْ نارُ الفتنة ، وبدأت الحروبُ الأهلية بين أفراد الأمة الإسلامية الذين تشكَّلوا في فِرَقٍ وأحزابٍ، بعد أن كانوا في الجاهلية قَبائلَ وأحْلافًا ، وصار للسيفِ كلمةُ الفصلِ ،فكانت معركةُ "الجَمَلِ" ووقعةُ "صَفِّين" وما نجم عنهما من سفْكِ دماءِ المسلمين بسبب الاختلاف السياسي بين هذه الفرق والأحزاب حول الخلافة.وكان قوام هذه الفرق والأحزاب أربعَ قِوًى سياسية كُبرى هي: أحزاب الخوارج، والشيعة ،والزبيريين ،وحزب بني الذي استبد بالحكم فيما بعد وحوله إلى ملك عَضُودٍ كما يُعبِّر المؤرخون.

وقد انعكسَ هذا الخِلافُ بين رجالِ السياسةِ، على الساحةِ الأدبيةِ، فانْخَرَطَ الشعراءُ في هذا الصّراع ،وصاروا هُمْ ،كذلك ،شِيَعًا وأحزابا، ووظَّفُوا القصيدةَ الشّعريةَ بالتَّوازي مَع السَّيفِ والرُّمْح. وراح كلُّ شاعرٍ ينتصِر لحِزبه أو شِيعَتِه؛ وكان الشّاعر الشيعيُّ أصدقَ حسًّا وأقوى عاطفةً، بسببِ حبّه الشّديدِ لآل البيتِ الطاهرين الأكرمين ,وتعلُّقِه بنهجِهم، وإيمانِه المطلقِ بقضيتِهم العادلةِ، المتمثِّلةِ في أحقّيتِهم بالخلافةِ التي اغتصبَها الآخَرون مِنْهمْ ظُلمًا وعُدوانًا، وأمعنُوا في تَقْتيلِ عِتْرَةِ رسول الله مِن أحْفادِهِ ،والتَّنكيلِ بهِم ،ولاسيما في حادثةِ كَرْبَلاءَ التي شهِدت مقتلَ ابنِ بِنتِ رسولِ الله ،وسِبطِه ،وحبِيبِه الحُسينِ بنِ عَلِيّ رضي الله عنهما ؛ وقد تركتْ فاجعةُ قتلِه في صُدورِ الشيعة نارًا لمْ يخْمدْ شُواظُها إلى اليوم. وهَبّ الشعراءُ ،منذ وقتٍ مبكّرٍ، للدفاع عن عِترة النَّبيّ الطاهرة في مواجهة مُبْغِضيهمْ مِن بَني أُمَيَّةَ وغيرِهم، فكان خطابُهم الشعريُّ في البدايةِ فخْرًا واعتزازًا ومُنافَحةً، ثم تحوّلَ بعد فاجِعة مقتلِ الحُسينِ إلى بُكاءٍ وعَويلٍ تَتَردَّدُ أصداؤُه في رِحابِ الكُوفةِ، ومكَّةَ والمدينةِ، وفي كلّ بِقاعِ الأرضِ بعْدَ ذلك.

•أَسْبابُ اختيارِ الموضوعِ ودَواعِيه:

وحِينَ قرأتُ أشعارَ السَّيِّدَ الحِمْيرِي ،والكُمَيْت بن زيد ،ودِعبل الخُزاعي وغيرِهم من شعراءِ الغَدير ،وشعراء الطَّفِّ ،وجَدتُ نفسِي أسِيرةً لهذا الشعر الباكي الحزين، المُضَمّخِ بِدُموعِ الأَسَى ، والحَسرةِ والنَّدمِ على تلك النفوس الزكيةِ التي أَزهَقتْ

أرواحَها سُيوفُ بَني أمية ،وقطَّعتْ أجسادَها وصلَبتْها على الأعْوادِ كما عبّرَ شاعرُهم.

حين قرأتُ كلَّ ذلك ،وَعُدْتُ إلى كُتبِ التاريخ أسْتقصِي أخْبارَ آل البيتِ، وما قدَّمُوهُ من تضْحياتٍ في سبيلِ إعلاءِ رايةِ الحقّ ،ومحاربةِ الباطلِ ازددتُ اقتناعًا بأنّ هؤلاءِ القومَ الطيّبينَ أهلٌ للتّمجِيدِ ،والتَّعظيم ،والتَّفَجُّعِ لفقْدِهم، والتّحسُّرِ على ما لَحِقَهم مِن ظُلْمِ أعدائِهِمْ. ورأيتُ أنّ ما قِيلَ فيهمْ من شعرٍ يستحقُّ البحثَ والدّراسةَ ،نظرًا لِما يمتازُ به هذا الشِّعرُ من خُصوصِيةٍ عَقَدِيةٍ، وما يتحلّى به من أبعادٍ جماليةٍ وفنّيةٍ على مُستوى الشَّكلِ والمضمون، على حدٍّ سَواء، جَعَلَتْهُ يختلفُ عن غيرِه من الأشعارِ الأُخْرى ؛ فرأيتُ أنْ أدرُسَ هذا الشِّعرَ في بعدِه النِّضالي الاسْتشهادي من جِهة أُولَى ، وفي بعده الوُجداني العاطفي الذي يُثير انفعالَ المُتلقي، ويحرّكُ غيظَهُ ،ويُلهِب حرارةَ مشاعِره ، ليتفاعلَ مع ما عاناهُ شُهداءُ الحقّ مِنْ ألمٍ وعَذابٍ وقتْلٍ في سبيل قضيتهم العادلة، من جهة ثانية .**واخْترتُ** أن تَكونَ دراسَتي لِشعْرِ الشِّيعةِ في إطار العلاقةِ التي تَرْبِطُ هذا الشِّعر بالشّعرِ السياسي عامَّةً، و عَنْونتُها بـ:

الْحِسُّ المَأْسَاوِيُّ فِي الشِّعْرِ الشِّيعِيِّ إِلَى نِهَايةِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهِجْرِيِّ

مُعلِّقةً الأملَ على أن تُحقِّقَ هذه الدراسةُ غايتَها وأهْدافَها، وتُجيبَ عنِ الأسئلةِ الَّتِي تضمَّنَتهَا إشْكاليةُ البحثِ.

وإذا كانَ شعرُ الشِّيعةِ قد دُرِسَ مِن طَرَفِ الباحِثينَ ،مِن قبلُ، فإنَّ تلكَ الدراساتِ ،على كَثْرتِها، كانت تَنْدرِجُ إمَّا ضِمْنَ كُتبِ تاريخ الأدب العربي العام ، كما نجدُ ذلك عند شوقي ضيف مثلا،وغيره ،وإمَّا ضِمْنَ كُتبِ أَدَبِ الشِّيعة، وهي كُتبٌ وفِيرةٌ لا يحْصُرُها العَدُّ.

ولمْ أعثُرْ في حُدودِ اطِّلاعي على بحثٍ مُستَقلٍّ في المكتبةِ الجزائريةِ وُسِمَ بالعنوانِ الذي اخترتُهُ لِموضوعِ أُطْرُوحَتِي ، باستثناءِ مُذَكِّرَتَيْ ماجِستير، الأُولى بعنوان: الحِسُّ المأساوي في الشّعر العربي القديم –عصر دولة بني حماد أُنْمُوذجا- لصاحبها: "السعيد بخليلي" ، من جامعة بسكرة، والثانية وُسِمَتْ بـ: الحِسُّ المأساوي في شعرِ أبي الحَسنِ الحُصري القيرواني" لصاحبها: "رضوان جنيدي" من الجامعة نفسها. ولم أعُدْ إليهما ولا استفدْتُ منهما، لأنهما لا تشتركان مع أطروحتي إلاَّ في عبارة:"الحِسّ المأساوي" التي يتضمنُها العنوان "ولا علاقةَ لهُما ببحثي الذي يسْتأثِر لنَفْسِه بدراسةِ موضوعِ الحسِّ المأساوي في الشِّعر الشيعي تحْديدا.

•مَصادِرُ البحثِ ومنهجُه :

ولقد شكَّل النصُّ الشعري الشيعي ،على مَدار القرونِ الثلاثةِ الأولى، المحورَ الأساسَ لهذا البحثِ، حيثُ كانت جميعُ الأفكارِ والرُّؤى التي تحَدّثْنا عنها ، وحلَّلْناها عَبْر مُختلَف فُصولِ هذه الأطروحةِ مِن وحْيِ هذا النّصِّ الشعري نفْسِه

،والذي وَجَدْناهُ مبثُوثا في بطُونِ الدواوينِ والمجموعاتِ الشعرية، وفي كتبِ التاريخ والأدبِ ،وكتبِ التراجمِ، والتي تَرْبُو في مجموعِها عن المائة والأربعين مَصْدرًا ومرْجعًا ؛ولمْ أخرُجْ في بحْثي هذا عن الاسْتشهادِ الشعري الذي يَدْعَمُ ما كُنتُ أذهبُ إليه عندَ تشْخيصِ حالةٍ أو بعضِ حالاتٍ من الحِسّ المأساوي عند هؤلاءِ الشعراء ،أو اقتناصِ صورةٍ فنّيةٍ مُبتَدَعةٍ عبَّروا بها عنْ رأْيٍ، أو موقِفٍ ،أو حدثٍ من الأحداثِ السياسية والتاريخية؛ كما أنَّني لمْ أُحاولْ أنْ أطوّعَ النَّصَّ الشّعري أوْ أَتأَوَّلَهُ خَارجَ نِطاقِه ، وما يبُوحُ به؛ وإنّما كان هَدفي في البحثِ أن تَدُلَّنِي النُّصوصُ الشعريةُ نفسُها على ما كان يَجْري مِن أحداثٍ مأساويةٍ تعَرَّضَ لَها عَلِيٌّ وذرّيتُهُ وشِيعتُه ،فبَكَاهُمْ هذا الشّعرُ في ألَمٍ وَوَجَعٍ وحزْن مريرٍ.

ولما كان لموضوعِ البحثِ علاقةٌ بالتاريخ ،والدين ،والسياسة،والعقيدة ،واللغة، والأدب عامة ،والشعر خاصة ،رأيت أن أعتمد المنهج التكاملي كونه المنهج الأنسب لدراسته، فهذا المنهج ،كما هو معروف، يقبل التفاعل مع المناهج الأخرى بحيث يستطيع أن يستفيد منها جميعا، لأنه يتعامل مع النص باعتباره كلاً مُركَّبًا.

•خُطَّةُ البحثِ:

ولقد قمتُ بتقسيمِ البَحثِ إلى مقدّمةٍ ،و مَدخَلٍ ،و أربعةِ فُصولٍ ،وخاتِمةٍ.

تكلَّمت في المدخل عن الفتنة الكبرى التي أدّت إلى نشأة الأحزاب السياسية ، فتحدّثت عن مقتلِ عثمانَ بنِ عفّان ،والأسبابِ التي كانتْ وراء مقتلِه، وحاولتُ تلخيصَ وجْهةَ نظرِ كلّ حزبٍ في مسألة الخلافة.

وتحدَّثتُ في الفصلِ الأوّلِ عن ظهورِ الأحزاب السياسية في العصر الأموي، فتكلمتُ عن الأمويين، وكيف استولوا على الحُكمِ بعدَ تلك الأحداث الدامية التي تحرَّكتْ من موقعةِ الجملِ ،إلى موقعةِ صَفِّين، إلى "منصَّة التحكيم" ،وإلى وقتِ إعلانِ معاويةَ بنِ أبي سفيانَ نفسَه خليفةً على الشَّام، وبعدها على مصر، وكيف استطاع بدهائه أن يطيلَ مُدّة حُكمِه التي قاربت العقْدين من الزمن، عمل خِلالها على إرساءْ دعائمِ الدولة الأمويةِ ، وتثبيتِ أركانِها ،وتكوينِ الجيوشِ لمواصلةِ الفتوحاتِ برًّا وبحْرًا باتّجاهِ المشرقِ والمغربِ. ثم تكلّمتُ عن مقتلِ عَليّ بنِ أبي طالب (كرّم الله وجهه)،على يَدِ "شرّ خلْقِ الله" عبد الرحمن بن الملجم.

ثم عرجتُ بالحديث فتكلَّمتُ عن حزبِ الزُّبيريين ، وذكرتُ أسبابَ نشأة هذا الحزب التي تَعود تحديدا إلى الفتنة الكبرى ،وترتبطُ بمقتلِ عُثمان بن عفان (رضي الله عنه) ،وتوسعتُ في تتبعِ الأحداث السياسية التي مرّ بها هذا الحزبُ ،وانتقلتُ بعد ذلك إلى الحديث عنِ الحزب السياسي والرئيس في هذا البحث ، وهو حزْبُ الشّيعة ،وما يدور في فلَكِه من تياراتٍ وفرقٍ، فبيَّنْتُ أن نشأةَ هذا الحزبِ ترجِعُ أساسًا إلى ما قَبْلَ حدوثِ الفتنةِ الكُبرَى ، وبالتحديدِ إلى ما وقعَ في مجلِسِ "ساقِفةِ بنِي ساعدة" بعْدَ وفاةِ الرّسول صلَّى الله عليه وسلّم ،من اختلافِ بين المهاجِرين والأنصار

،وبين الصحابةِ أنفسِهم حول مسألةِ الحُكمِ ، وقد وضَّحتُ هذه الفكرةَ بشَكلٍ أوسعَ ،دون إغفالِ ذكرِ فرقِ الشيعةِ ومعتقداتِهمْ .

وتوقفت ،بعد ذلك، عند الخوارجِ والمرجئةِ فناقشتُ معتقداتِهما وسياستَهُما.

وأما الفصلِ الثانِي فقد عرضت فيه مَحاورَ شعرِ الأحزابِ السياسية الكُبرَى التي تحدثْتُ عنْها في الفصلِ الأولِ ؛فوقفْتُ مُطوَّلاً عندَ موضوعاتِ هذا الشعر ومنابعِه ،مما جعلني أتَعرفُ أكثرَ على أهمِّ تفاصيلِ مُعتقداتِها ومواقِفِها وأفكارِها.

وخصَّصتُ الفصلَ الثالثَ لدراسة الحِسِّ المأساوي في الشِّعر الشيعي ، فحاولت مقاربةَ طابعِ الأسى والحزنِ الذي طَبَعَ هذا الشِّعرَ في الحقبة الزمنية الممتدةِ ما بين العصرِ الأموي ،ونهاية القرنِ الثالثِ الهجري ، مُنْصِتًا لإيقاع نغْمةِ الحزنِ هذه التي امتزجَ فيها الخطابُ الديني مع الخطابِ الشعري، امتزاجًا لغويًا ودلاليًّا ،منحَ النَّصَّ الشعري بُعْدا مُتميّزا.

وجاء الفصلُ الرابعُ والأخيرُ ليُكَرَّسَ لدراسةِ الخصائصِ الفنِّيةِ للقصيدة الشيعية ،فتحدثتُ فيه عن بناء القصيدةِ ولغتِها ،وعن الصورةِ الفنية وأنماطِها المختلفةِ ، كما تحدثتُ عن الإيقاعِ الموسيقي والعروضِي لهذه القصيدةِ ببحورها الخليليةِ المُتنوعةِ وقَوافِيها الشَّجيَّةِ المُندَمِجة مع طبيعةِ الإيقاع، والمُجَسِّدةِ لما يختلجُ في نفس الشاعرِ الشيعيِّ من انفعالاتٍ نفسيةٍ غاضبةٍ ووجدانٍ متأمٍ حَزِين.

•صُعُوباتُ البَحْثِ:

وأما الصّعوبات التي اعتَرضَتْني، فلمْ تخْرجْ ،عمومًا، عن تلكَ التي تعترضُ أيَّ باحثٍ ،وهي كثيرةٌ ،وأكْتفي هنا بالإشارةِ إلى أبرزِها ،وهو ما يعترضُ الدارسَ من اختلافٍ في روايةِ نصوصِ الشِّعر الشيعي عَبرَ عُصوره الطَّويلةِ، واختلافِ المَتْنِ النَّصِّي نفسِه من حيثُ الصياغةُ ،واللُّغةُ ،في كثير من الأحيان، فضلاً عن أنَّ كثيرًا من هذا الشِّعرِ هو عبارةٌ عن شَذَراتٍ مُتفرّقةٍ ومتناثرةٍ في بُطونِ الكتبِ ،مما يُرجّحُ الظنَّ أنَّ كثيرا من هذا الشِّعر قد تعرَّض للضياعِ أو للانتحالِ والتَّشويهِ .كما أنَّ لغةَ هذا الشعرِ لا تخلُو أحيانا من غُموضٍ يَكتنِفُها بسببِ إغْرابِ الشُّعراء في بعض مفرداتها وتصرُّفهم في تراكيبها ،وعدمِ التَّحرُّج من الإسرافِ في الاتكاء على الضّرورات الشِّعرية؛ وقد كلّفني كلُّ ذلكَ جَهْدًا ومَشقّةً كبيرةً تجلَّتْ في مُتابَعَةِ تَشْكيلِ النُّصُوصِ ،وشرحِ ألفاظها الغامضةِ، وتحديد إيقاعِها العرُوضي المتشابِه ،والمتداخلِ في كثيرٍ من الأحَايين.

•خاتِمةُ البحثِ:

وأردتها أن تكون خلاصةً مُركزةً لما ناقشَهُ البحثُ من رؤى وأفكارٍ متشعبة ومتضادة عبْر فصوله المختلفة ،ضمَّنتُها ما توصلْت إليه من نتائجَ وملاحظاتٍ، بعضها متعلق بالجانب الفكري وبعضها الآخر بالجَانبِ الفَنِّي والجمالي، وأبقيت الباب مفتوحا لمن أراد مواصلة البحث في هذا الموضوع.

•أخيرا:

وفي الأَخيرِ آملُ أنْ أكُونَ ،وقَد أخْلصتُ النّيةَ والقَصْدَ، وُفِّقْتُ في إنجازِ هذا البحثِ الذي بذلتُ فيهِ مِن جَهْدي وصِحَّتي ، مِمَّا لا يخفَى على مَنْ كابَد عناءَ البحثِ ومتاعِبَهُ. وإنّي لَأَرْجُو أنْ يَتبوَّأ مكانَهُ في رُفوفِ المكتبةِ الجزائريةِ، ويستفيدَ منهُ مَن يَرُومُ البحثَ في هَذا الحَقلِ الخَصِيبِ من شِعرِنا العربي المَنسيّ أو المسكوتِ عنْه في بَرامِجنا الدّراسيةِ. كَما أرجُو أن أكُون قدْ وُ فِّقْتُ في بلوغِ ما سعَيتُ إلى تحصِيلِهِ من عِلمٍ ومعْرفةٍ ، أَدَّخِرُها لِتكونَ لِي عَوناً على دراسَاتٍ أُخْرى أَنْشُدُ لَها صُورةً أفضلَ ،ولا أقول أكملَ ،لأن الكمالَ لله وحده؛ والحمد لله أوَّلاً وأخيرَا.

الطالبة: عقيلة كبوس

ليلة 5جويلية 2017.

تُعدُّ حادثة مقتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) من أخطر الحوادث وأهمها في تاريخ المسلمين السياسي ،والفكري .وذلك لأنها فتحت باب الفتنة والاختلاف على مصراعيه ،وأصبحت وحدة المسلمين منذ ذلك الوقت أمرا بعيد المنال.

وقد لا يختلف اثنان في أن عثمان لم يكن أول خليفة يقتل في الإسلام؛ فقد قتل قبله عمر بن الخطاب على يد أبي لؤلؤة فيروز المجوسي غلام المغيرة بن شعبة[1].

إلا أن مقتل عثمان كان يحمل معاني متميزة تختلف جذريا عن المعاني التي نستخلصها من مقتل عمر.

فإذا كان عمر بن الخطاب قد قتل لأسباب ترجع إلى الثأر للقوميات المقهورة التي أزالها الإسلام، فإن قتل عثمان يرجع إلى الثأر للمبادئ والقيم المثالية التي أتى بها الإسلام نفسه وتعرضت للإهدار والانتقاص ،تحت وطأة الإدمان للمثل الجاهلية المتوارثة من العصبية ،وولاء الدم و القربى والمحسوبية من جانب ،وقوة التغييرات الاجتماعية الطارئة من جانب آخر[2].

1- عبد العزيز سالم :تاريخ الدولة العربية ، دار النهضة العربية بيروت ،1971،ص543 .

وقد ذكر كل من الطبري ،وابن الأثير: أن أبا لؤلؤة هذا كان نصرانيا ،وأنه كان نجارا. (الطبري :تاريخه تحق :أبو الفضل ،ط3 ،دار المعارف بمصر ،جـ5،ص12،وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار بيروت، لبنان ،1965،جـ3،ص49).

2-النعمان القاضي : الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ،دار المعارف بمصر ، القاهرة،1970م،ص39.

ومن الواضح أن الفتنة قد بدأت نارها تتأجج عندما حانت الصلاة على جنازة عمر إذ أقبل عثمان وعلي ،وكل منهما كان يريد أن يتقدم على صاحبه لهذه الصلاة ،فلما رآهما عبد الرحمن بن عوف على هذه الحال قال:(إن هذا لهو الحرص على الإمارة ؛لقد علمتما ما هذا لكما. ولقد أمر به غيرَكما...تقدّمْ يا صهيب فصلّ عليه) [1].وكان عمر قد اقتدى بأبي بكر في نصحه للمسلمين عندما أحس بدنو أجله جراء تلك الطعنات القاتلة التي أصابته من أبي لؤلؤة؛ حيث طلب من عبد الرحمن بن عوف أن يدعو عليًّا وعثمانَ والزبيرَ وسعداً وكان طلحة غائبا ،فلما قدموا عليه خاطبهم قائلا:(إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتَهم ،ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم .وقد قُبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو عنكم راضٍ. إنّي لا أخاف عليكم إن

استقمتم، ولكني أخاف عليكم اختلافَكم فيما بينكم فيختلف الناس ؛فانهضوا إلى حجرة عائشة بإذن منها ،فتشاوروا واختاروا رجلا منكم. فإذا متُّ فتشاوروا ثلاثة أيام ولْيُصلِّ بالناس صهيب ،ولا يأتي اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم)[2].

---

1 – النعمان القاضي : المرجع السابق ، ص39.

2– ابن الأثير :الكامل في التاريخ ،جـ3 ،ص 77,وابن قتيبة :الإمامة والسياسة، المكتبة المصرية القاهرة 1325هـ ،ص27,والطبري :تاريخه، جـ5،ص13.

ولما دُفن عمر جاء المقدادُ بن الأسود فجمع أهل الشورى في بيت المال[1]،وتشاورالقومُ ثلاثةَ أيام دون أن يتوصلوا إلى نتيجة تذكر، فاقترح عبد الرحمن بن عوف أن يتنازل عن حقه في الترشح ،على أن يتولى هو اختيار أفضلِهم للخلافة ؛فقبل عثمان ووافق عليٌّ بعد أن اشترط كتابيا إثارة الحق على الهوى والباطل .ففعل عبد الرحمن وبدأ يختلي بأهل الشورى واحدا تلو الآخر ،وتبين بعد ذلك أن أهل الشورى قد حصروا اختيارهم في شخصين هما: علي وعثمان ،فاختار الزبير عليا واختار طلحة عثمان، بينما امتنع سعد عن الاختيار تاركا أمره إلى عبد الرحمن بن عوف[2].

وهكذا بدأ الانقسام بين أهل الشورى إلى فئتين: فئة تؤيد عثمان وأخرى تؤيد علي؛ أو بمعنى آخر انقسموا إلى حزبين: حزب أموي خالص وحزب هاشمي. وأصبح من الضروري أن يحسم عبد الرحمن بن عوف القضية فيرجح أحدهما على الآخر بناء على الاتفاق الذي تم في بداية الأمر، ولكنه اختار الرجوع إلى مشاعر الرعية ليأخذ برأيهم دون أن يعرفوه ؛فخرج إليهم في الأسواق والأماكن العامة بالمدينة ،وكان متلثما حتى لا يعرفه أحد, فما ترك أحدا من المهاجرين والأنصار وغيرهم إلا سأله واستشاره؛ وكان يردد عليهم هذا السؤال. من ترى الخليفة بعد عمر؟ فكان لا يسمع من جواب إلا كلمة(عثمان)[3].

1- اختلف المؤرخون في هذا ،فمن قائل في بيت عائشة أو في بيت المسور بن مخرمة. ينظر : عبد العزيز سالم :تاريخ الدولة العربية ،ص547.

2- ابن قتيبة :الإمامة والسياسة، ص29.

3- عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية، ص54.

ولما رأى عبد الرحمن بن عوف اتفاق الناس على عثمان عاد إلى المسجد ،فاتصل من جديد بأهل الشورى ،ورهط من المهاجرين والأنصار, وقادة الجند؛ فاجتمعوا جميعا وهم في شوق إلى من تؤول إليه الخلافة. وجاءت لحظة الحسم ،فقد رفع عبد الرحمن رأسَه إلى سقف المسجد، ويده في يد عثمان وهو يقول:(اللهم اسمع

واشهد...اللهم إنّي قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان) فبايعه[1].فازدحم الناس يبايعون عثمان وهم فرحون راضون بما توصلوا إليه.ويبدو أنَّ هناك أسبابا عدة جعلت القوم يبايعون عثمان. ومن هذه الأسباب نذكر ما يلي:

1- لقد كان عثمان أوَّلَ الناس إسلاما بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة.

2ـ لقد قام عثمان بتجهيز جيش العسرة وحفر بئر رومة بماله الخالص.

3ـ إصهاره للنبي (صلى الله عليه وسلم)مرتين في ابنتيه: رقية ثم أم كلثوم، ولهذا يسمى بذي النورين.

4ـ هجرته مع المهاجرين الأولين إلى الحبشة[2].

وكان من الطبيعي أن يحتج علي بن أبي طالب(كرم الله وجهه) على هذه النتيجة مرجعا أسبابها إلى النزاع الذي كان قائما في الجاهلية بين بني أمية وبني هاشم ،واتهم عليٌّ عبدَ الرحمن بن عوف بأنه ما حابى عثمان إلا لكي يخلفه من بعده ،ثم أعلن احتجاجه بقوله : حبوتَه حبوَ دهْر. ليس هذا أول

1- الطبري : تاريخه ،جـ5،ص37، وابن الأثير : الكامل في التاريخ، جـ3،ص71.

2- السيوطي : تاريخ الخلفاء :،نشر السعادة ،القاهرة ،1371هـ ،ص145.

يوم تظاهر ثُم فيه علينا(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)[1].

فرد عليه عبد الرحمن ينصحه بألا يتورط بكلامه في مآخذ تؤخذ عليه ،فمضى عليٌّ وهو يردد قائلا(سيبلغ الكتاب أجله)[2] .وكذلك فعل بعض الصحابة الذين أحسوا بإقصاء علي من الخلافة.

1ـ يوسف :آية 18.

2ـ الطبري: تاريخه ، جـ5 ،ص3. والعبارة فيها اقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى:

(..وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ..).سورة **البقرة:الأية235.**

أســـباب الفتنـــــة:

أولا: استيقاظ العصبية الجاهلية في عهد عثمان:

لم يطل أمد الحوار السياسي ولم تنتقل أصداؤه من عهد أبي بكر إلى عهد عمر إلا استحياء وخفاء لأسباب منها، أن موت أبي بكر المبكر حسم الخلاف, وأن المسلمين شُغلوا في أثناء حكمه بحَدَثين من أخطر الأحداث وأجلها ، وهما حرب الردة والفتوح. فلما آل الأمر إلى عمر ،أخذ الفاروق الناس بالحزم وأوغلت جيوشه في الشام والعراق وفارس ومصر. فانشغلَ الناس بالفتوح الخارجية عن المشكلات الداخلية ،ونقلوا ألسنتهم من مناقشة الجَدارة بالإمارة إلى ميدان أوسع وأنفع ،تجتمع فيها الألسنة والأسنة ،وتتجه اتجاها واحدا وهو المضي في الفتح إلى غايته لنشر الإسلام في بقاع الأرض[1].

وفي عهد عثمان استيقظت العصبية مرة أخرى وتعددت صورها وأُضيف إلى التعصب للقبيلة تعصب آخر للوطن. فبعد أن كانت العصبية قاصرة على تنافس الأوس والخزرج وتنافر بني أمية وبني هاشم اتسع نطاقها وانضم إليها تعصب أهل الكوفة على أهل البصرة ،وأهل العراق على أهل الشام. ثم اندسَّ رقاقُ الدين بين المسلمين والخوارج بين الطائعين ،واليهود بين الجنود والوفود ،ليحوِّلوا الشرر اليسير إلى شررٍ مستطير[2].

1_ النعمان القاضي :الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ،ص21.

2_ المرجع نفسه ،ص21.

وقد ظهرت بوادر خروج الخوارج على الجماعة منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)؛ حيث كان يقسم قسمةً ،فأتاه ذو الخويصرة ـ وهو رجل من بني تميم ـ قال: يا رسول الله أعدل. فقال:(ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل ؟ قد خِبت وخسِرت إذا لم أكن أعدل),فقال عمر: يا رسول الله أتأذن لي, فأضرب عنقه؟. فقال: (دعه، فإن له أصحابا، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم. يقرؤون القرآن،

فلا يجاوز تراقيهم، يمرقون كما يمرق السهم من الرمية)[1].في هذا الحديث الشريف ما فيه من استشراف المستقبل والتحذير من الغلو، وتحقير التصلب الأرعن في المسلك الديني، والتصوير الصادق للمستميت في الدفاع عن الباطل، وهو يحتسبه حقا، المتزمت في التزام الشعائر، وهو غافل أو متغافل عن الجواهر.
لقد ثبت بعد أن ناصر الخوارج عليا(كرم الله وجهه) ثم انقلبوا عليه, أنهم أغلظ الناس أكبادا, وأصلبهم أعوادا, وأسرعهم إلى تكفير المسلمين, وأضلهم في فهم الدين, كما ثبت أن اغترار الناس بورعهم في السلم، وفزعهم إلى الحرب جذب إليهم أشد المحاربين جسوما، وأضعفهم حلوما حتى غدوا عاملا خطيرا من العوامل التي نسجت منها شبكة الفتنة[2].

1_ العسقلاني ،أحمد بن علي بن حجر :فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،تحق محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون ، دار الريان للتراث .1407هـ1986_ط1 - جـ 1، ص304.

2_ مجموعة من العلماء : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ،تحق: عبد الرحمن محمد بن قاسم العاصي النجدي ،ط6 _ 1996،ص2.

ثم كثرت العوامل واشتبكت وشقَّ على الخليفة ردعها وقمعها. ومنها نفْيُ أبي ذر الغفاري(رضي الله عنه)إلى صحراء الربدة وائتمار المنافقين، وما حاكه أتباع عبد الله بن سبأ من مكائد لتأليب الناس على عثمان ،والسياسة اللينة التي انتهجتها الخلافة بعد حزم عمر وعدله، واتهام عثمان بأنه حابى ذوي أقربائه، وتخير منهم العمال والولاة، ووضع بين أيديهم أموال الأمة، وبأنه جافى قائد القادسية سعد بن أبي وقاص وأمثاله من كبار الصحابة عليه وعليهم رضوان الله.

وربما كان للأموال التي أخذت تتدفق على حاضرة الخلافة من كل حدب وصوب أسوأ الآثار في نفوس الصحابة والتابعين، إذ أجَّجت نار الحسد، وأصبح الثراء يوغر قلوب الفقراء على الأغنياء ؛فاتهمت الرعية الرعاة باحتجاب الثروات، وإنفاقها على الشهوات ؛وأخذ الهمّازون اللمّازون يمشون بالنميمة، ويجدُّون في الوقيعة، ويستغلون لين عثمان أسوأ استغلال، ولم يشفع له عندهم سابقته التي شفعت له عند الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا اعتذاره عما صدر عن أعوانه، بل أخذوه بجرائر غيره، وحملوا على ظهره أوزار المفسدين والمسرفين من عماله وولاته. فلما جاءت وفود المتمردين من مصر، وأوغل في صفوفهم المنافقون والمارقون، انطلقت ألسنة السوء تعلن ما كانت تسرُّ، وترمي ذا النورين (رضي الله عنه) عثمان بالفساد والإفساد، وتتحسر على الفاروق وعدله وعلى الصدّيق وحزمه[1] .

1_ أحمد أمين: فجر الإسلام ،دار الكتاب العربي بيروت، لبنان ط10_1969جـ1،ص257.

وحينئذ أحس أصحاب الرأي السديد أن المطلوب ليس عثمان بذاته بل هو فتنة مبيته، وأن رؤوس الفتنة لا يطلبون السوية و النصفية ،وإنما يطلبون رأس الخلافة، و أدركوا أن وراء الغوغاء الرعناء عداوة شديدة الضراوة، وحسدا بغيضا, وكراهية للعروبة والإسلام بالأباطيل الكاذبة. وممن أدركوا هذه المقاصد (حنظلة الكاتب) الذي حذر من مغبة الائتمار بعثمان ،وراح يبصر الناس بما ينجم عن شغبهم ،من اغتيال القيم التي طـــــهَّرت القلوب ،وتدمير الصرح الذي رسخه عمر ،وإذلال الأمة التي عزّت بالإسلام، وتحريف الدين الذي وضع خَطواتِهم على الصراط المستقيم ليعود إلى ترّهات الجاهلية، كما ضل المنحرفون، من أهل الكتاب وأضلوا؛ يقول حنظلة الكاتب:[1]

من بحر **الوافر**

عجِبتُ لِما يَخُوضُ النّاسُ فِيه يَرُومُون الـــخِلافةَ أنْ تـزُولاَ
ولوْ زالتْ لَزالَ الخَـيرُ عنْهُـمْ وَلا قـُـوا بَعْدَهـــا ذّلاً ذلـيلاَ
وكانُواكاليهـُود أوالنَّصَـــــارى سواءًكلُّهُـــمْ ضَلّواالسَّـبِيلاَ

وكان حسان بن ثابت برغم بصره الكفيف أحدَّ بصيرة من الساقة المنساقة في ركاب الفتنة، وأصدقَ حسًّا وحدسًا من المنادين بخلع عثمان، إذ أدرك أن هذه الجموع الحمقاء سترتكب جريمة نكراء، وسينجم عن ارتكابها شرٌّ لا يمكن توقِّيه وثأرٌ لا ديَّةَ له ولا قَوَد, يقول حسان[2] من بحر **البسيط**

مَنْ سرّه المَوتُ صِرْفًا لا مِزاجَ لَه فلْيأتِ مَأْسدةً في دارِ عفَّانَا

1- الطبري: تاريخه ، جـ5،ص138.

2- حسان بن ثابت: ديوانه، تحق: عبد أعلي مهنا، دار الكتب العلمية بيروت، ط2_1413هـ 1994،ص244.

لَتسْمَعَنَّ وَشِيكًا في دْيارِهمُ اللهُ أكْبرُ يا ثَاراتِ عُثْمـانا!!

ثم وقع ما توقّع، وكان لوقوعه الصاعقة الماحقة، تأخذ البريء بجريرة المسيء ،ولا تصيب الذين ظلموا خاصة؛ وأدهى ما في هذه الداهية أن سُحبها تنعقد في سماء المدينة حاضرة الإسلام، وأنّها تُشهر السيوف على رقاب السابقين الأولين بعد أن كانت متجهة إلى رقاب الأعداء، وحسبها شؤما ولؤما أنها تُعطل الفتوح، وتريق دماء الصحابة في ساحة المسجد النبوي الشريف. قال حسان بن ثابت وكأنه يبصر مصارع القوم:[1] من بحر **الكامل**

أَتركْتُمُ غَزو َ الدّروبِ وجِئْـــتُمُ لِقتَالِ قَومٍ عنْـــدَ قَبْـــرِ مُحـــمّدِ
فَلَبئْسَ هَديُ الصَّالحِينَ هُديتُمُ ولَبِئْسَ فِعْلُ الجَاهِلِ المُتَـعمَِّدِ

وكأنَّ أصْحـــابَ النَّبيِّ عَشـيَّـــةً بُدْنٌ تُنْحَـرُ عنْدَ بـــابِ المَسْجِدِ

وبعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) تمزّقت قلوب المسلمين ألما وندما, وعظُم أمر الفتنة، وشارك الساسة في التراشق بسهام الاتهام بعضهم يلمح، وبعضهم يصرح، وممن بكوا عثمان ودعوا بالقتل على قتلته، ولم يسموا بأسمائهم ،كعب بن مالك الذي كبُر عنده مقْتا أن يُصرع الشيخ التّقيُّ النّقي بألسنة المفترين المشائين بالزور وألسنة الحاسدين الطامعين في عرض الدنيا. فقال[2]:

من بحر **البسيط**

1_ حسان بن ثابت الأنصاري : ديوانه، ص68.

2_كعب بن مالك :ديوانه، دراسة وتحق: سامي مكي العاني ، مكتبة النهضة، بغداد ط1_ 1966،ص 282.

يا قاتَلَ اللهُ قـومًا كان همُّهمُ قتلَ الإمام الزكيّ الطـيّب الرّدِنِ
ما قَتـلُوهُ علَـــى ذَنَبٍ ألمَّ بِهِ إلاّ الَّـــذي نَطـَقُوا زُوراً ولَـمْ يكُنِ

ومن الذين آثروا التصريح على التلميح غلام من جهينة شقَّ على عقله الغض أن يشق الأستار عن الأسرار, فاستفتى أهل الذكر, فأفتوه بأنّ دم عثمان في ثلاثة أعناق: عنق عائشة بنت أبي بكر, وعنق طلحة بن عبيد الله وعنق علي بن أبي طالب(رضي الله عنهم) جميعا ,فأمضى الشاعر في الأول الثاني وبرأ الثالث [1] ،يقول:[2] من بحر المتقارب

سألتُ ابنَ طلْحـــةَ عنْ هالِكٍ بجَـوفِ المَـدينةِ لـم يُقْـــبَرِ
فقَـــــالَ: ثلاثَـــــةُ رهطٍ همُ أماتُوا ابـن عفَّـــان فاسْتـعْبرِ
فثُلْثٌ على تِلـكَ في خِدْرها وثُلْـثٌ على راكبِ الأحْـــمر
فقُلتُ: صَـدقتَ عـلَى الأوّليْنِ وأخْطأتَ في الثّـالثِ الأزْهَـــرِ

ولا يحملنّك قول العرب:(وعند جهينة الخبر اليقين) على الأخذ بكلام غلام جهني متوهما أنه ينطق بالحق ؛ففي الأسماع ما يدغدغ الأطماع وحينئذ يحسن الاحتكام إلى الراغب عن الحكم لا إلى الراغب فيه ولما كان بنو أمية من المتهافتين على الإمارة الجادين في طلبها فان الاحتكام إلى أحكامهم موطئ زلِق لا تثبت عليه قدم ،ولا يخرج منه العقل بِبَيّنةٍ.

1- الطبري : تاريخه، جـ5،ص176. -الرّدَن: الخز أو الحرير.

2- المرجع نفسه ،جـ5،ص178.

لقد اتَّهم الوليد بن عقبة آلَ البيت بدم عثمان ،وزعم أنهم قتلوه حيلةً وغيلة ومكرا ،ليحلوا محلّه ،وهدّدهم بجيش جرار تملأ جلبتُه الأفق ،وتدرك أسلحته الثأر. يقول:[1]

من بحر **الطويل**

بَنِي هاشِمٍ إيــهِ فَما كانَ بيْــنَنَا وسَيفُ ابنِ أَرْوَى عنْدكمْ وَحَرائِبُهْ
غَدَرتُمْ به كَيْما تكُونُوا مَكــانَهُ كَما غَــدَرَتْ يْومًا بِكِــسرى مَرَازِبُهْ
وإنّي لَمُجْتابٌ إليْكــمْ بجَحْفَلٍ يَصُــمّ السّمــيعَ جَــرسُهُ وجَلا ئِبُهْ

فرد عليه الفضل بن عباس ردا مهذبا يدين فيه القتلة ،و يحمّل الوزر أهلَ مصر ،ويدفع الشبهة عن عليّ. ولِمَ يلجأ عليٌّ إلى القتال ليتولى الحكم وهو أجدر الناس به سِلما لا حربا، وحقًّا لا غصْبًا؟ يقول. [2]

من بحر الطويل

سَلُوا أَهْلَ مِصرٍ عَنْ سِلاحِ ابنِ أُخْتِنَا فَهُمْ سَلَــبُوه ،سَيفُهُ وحَر ائِبُــهْ
وَكانَ وَلِــيَّ العَهْدِ بــعْد مُحــمّد ٍ عليٌّ وفي كلّ المَواطِن صاحِبُهْ
وشبَّهــتَهُ كِسْــرى ومَا كــانَ مثــلُهُ شَبيــهًا بِكِــسْرى هَديُه وضَرائِبُه

وعن هذه القوس نزع معاوية بن أبي سفيان حينما أراد أن يؤلب سعد بن أبي وقاص على عليّ بن أبي طالب بأبيات تجمع بين الوعد والوعيد، والترغيب والتهديد ،إذ مضى يُغري سعدا بالانضواء تحت راية المطالبين بدم عثمان ،مستندا إلى حديث شريف ينص على أن الحدَّ بالقتل يُطبق على ثلاثة مجرمين:

1ـــ المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر،نشر الأنيس ،الجزائر 1989جـ 2، ص414. -الهدي: السيرة والطريقة.-الضريبة :الطبيعة والسجية.

2ـــالمرجع نفسه ،جـ 2 ،ص 414.

القاتل المتعمد، والزاني المحصن ،والمرتد عن الإسلام. وعثمان المعروف بورعه ،لم يكن أحد هؤلاء الثلاثة ،فبأي ذنبٍ قُتل؟ ولماذا لا يقتل قاتله وخاذله ،وكلاهما شريكُ الآخر في الجَريمة؛ الأول بقتاله ،والثاني باعتزاله؟ وكأن معاوية هاهنا، يتهم عليًّا وسعدا ،ويحملهما شطرَ الوِزر، ويحاول أن يستميل سعدا ليلقي التبِعةَ على عليّ فيقول:[1] من بحر: **الوافر**

وقَدْ قالَ النَّبِيُّ وحَدّ حدًّا تَحِلُّ بِهِ مِن النَّـاس الدِّماءُ
ثَلاثٌ: قاتلٌ نفْــسًا ،وزانٍ ومــرتدٌّ مَضَــى فِيــهِ القَضاءُ
فإنْ يكنِ الإمَامُ يُلِــمُّ مِنها بِــواحِــدةٍ فَلَـيسَ لَــهُ وَلاءُ
وإلاّ فالَّذي جِئتُــمْ حَرامٌ وقاتــلُهُ وخَــاذلُهُ سَــواءُ
وهَذا حُكــمُه، لاشَكّ فِيهِ كَمَا أنَّ السّماءَ هِي السَّماءُ

ولم يكن سعد بالغافل ولا المتغافل عن معاوية ؛لم يكن غافلا عن الدهاء المغلف بالقضاء ،ولا متغافلا عن الطمع المتسربل بالورع ؛فقد رأى أن معاوية يرنو

إلى الإمارة بلا جدارة ،ويَنْفَسُ على علِيٍّ سجاياهُ ،ويتهمه بالائتمار بعثمان لينازعه عروة الحكم.
ولهذا شهد سعد لأبي الحسن بالكفاية وعلى معاوية بالحسد. وذهب إلى أن يوما واحدا يحكم فيه عليٌّ أجدى وأنفع من ولاية معاوية مهما تطُلْ . ولو أنصف القوم لافتدوا عليا بنديِدِه وأراحوا الأمة من الاختلاف في الخلافة [2].

1- معاوية: ديوانه، جمع وتحق :فاروق سليم بن أحمد ،دار صادر بيروت ط1، 1996،ص49. -النديد: الندّ والنظير.

2_ ابن مزاحم ، نصر الدين : وقعة صفين ، تحق: عبد السلام هارون ،مطبعة المدني بمصر،ط2_ 1382هـ ،جـ1 ،ص74.

لذا فهو يقول:[1] من بحر الوافر

مُعَــاوِي داوُكَ الدّاءُ العَـياءُ ولــيسَ لِما تــجئُ بِــه دَواءُ
أيَدْعُــو نِي أبــو حسَنِ عليٌّ فلَــمْ أردُدْ عليــهِ مَـا يشاءُ
أتطمَعُ فِي الَّذي أَعيَى عليًّا؟ علىَ ما قدْ طَمَعْتَ بِه العَفاءُ!
لَيــومٌ مِنهُ خَــيرٌ مِنكَ حَــيًّا ومَيــتًا أنْــتَ لِلمَرءِ الْفِـداءُ

ولو أن اختلاف الساسة وقف عند التراشق بسهام الاتهام لهان الخطب؛ غير أن التراشق بالألسنة لم يكن إلا إيذانا بالاشتباك والاعتراك ،وتمهيدا للتضارب بالسيوف ،والتطاعن بالرماح, ومن يقرأ ما وراء القصائد التي وقفنا على مقطوعات منها يساوره القلق ويزعزعه؛ إذا نظر إلى السماء وجد سحب العاصفة تمرّ ,وإذا نظر إلى الأرض وجد البطاح تسيل بأعناق الخيلِ, فكأن ردة أخرى أخذت تجتاح الجزيرة ،لكنّها ردة عن الخلافة ،لا ردة عن النبوة .والصراع في هذه الردة قد يكون أضرى و أعتى ، لأن ثمرات النصر فيه معجلة لا مؤجلة؛ ثمراته ثراء وافر ،ومكانة مرموقة ،وسلطان موهوب يفرضه الغالب على المغلوب، واستئثار بملك عريض ،عظمته إلى ارتقاء ،وحدوده إلى اتساع, والمتربع على عرشه يمني نفسه بمتاع الدنيا ،وجنة الآخرة[2]. ومن هنا نتساءل: فما أبرز الأحداث التي أعقبت مقتل عثمان ؟وكيف صور الشعراء هذه الأحداث ؟ هذا ما سيكشفه البحث في فصوله اللاحقة.

1- أبو عمر يوسف بن عبد البر : الاستيعاب في أسماء الأصحاب ،تحق: البجاوي محمد علي ، دار الجيل ،ط1-1992، جـ2،ص270.

2- غالب عواجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، ص37 وما بعدها .

ثانيا: سياسة الشدة واللين بين عمر وعثمان:

من المعروف أن عمر بن الخطاب كان يحرص كل الحرص على التقشف والزهد في حياته الخاصة ،وحياة رعيته ،خشية أن يجرفهم تيار حياة الترف، والبذخ في الأقاليم والمدن التي تم فتحها؛ فقد حدث في فتح الشام والعراق ومصر، أن تفتحت أعين الفاتحين على بيئات حضارية جديدة، لم يعهدوها، ولم يشاهدوا تلك الخيرات والمظاهر الجذابة ،فراحوا يستمتعون بما جادت عليهم به الحياة الحضارية الجديدة من ألوان الترف المباح الذي لا يتعارض مع مبادئ الإسلام ؛ولكن عمر نهاهم عن ذلك بشدة وفرض عليهم الإقامة الجبرية في معسكرات خارج المدن ،يعيشون فيها على النمط البدوي حفاظا على خشونتهم التي جعلت منهم فاتحين أشداء ؛إلا أن هذه السياسة التي عمل بها عمر ،لم تلبث أن انتهت بانتهاء عصره.

فلما جاء عثمان بدأت التغييرات تتضح في حياة العرب ،وبدأ ذلك التشدد يلين ويحل محله التساهل. فانطلق الناس في عصره إلى حياة الترف وحرصوا على الاستمتاع بها في الحدود المشروعة التي حددها الإسلام ، فتأنقوا في مأكلهم ،ومشربهم ،و ملبسهم ،وشيدوا القصور. وأدّى هذا التساهل واللين في سياسة عثمان إلى انطلاق بعض كبار الصحابة والتابعين إلى الأمصار الاسلامية[1].ويعلل المسعودي في مروجه إقبال عمال عثمان (رضي الله عنه) وكثير من أهل عصره على الترف الذي انتشر بينهم وذلك بإذن عثمان ؛حيث كان في غاية الجود والكرم والسماحة ، والبذل في القريب والبعيد.

1- عبد العزيز سالم :تاريخ الدولة العربية ،ص550_551.

فسلك الناس في عصره طريقته وتأسوا به في فعله. ومن المعروف أن عثمان بنى داره بالمدينة في سنة27هـ بالحجر والكلس ،وجعل أبوابها من الساج والمرمر ، واقتنى ضياعا، وجنانا، وعيونا بالمدينة[1].

وقد حذا حذوه كثير من الصحابة (رضوان الله عليهم) .فمروان بن الحكم بنى قصوره من الخشب [2]. وكذلك الزبير ين العوام بنا قصوره بالبصرة والكوفة ومصر والإسكندرية ،وكان ينزل بهم التجار وأرباب المال وأصحاب الجاه من البحرين وغيرهم.

وأما طلحة بن عبيد الله التميمي فقد بنى داره بالكوفة والتي عرفت بالكناسة بدار الطلحيين ، وكذلك فعل عبد الرحمن بن عوف الزهري ،وسعد بن أبي وقاص وغيرهم كثير[3].

ومن ثم كان من الطبيعي جدا أن يثور المسلمون على عثمان وينتقدوا قبولَه لتفشي الثراء بين بعض كبار الصحابة ،وإسرافَه في إدرار القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة، لم يكونوا من الصحابة،ولم يذبُّوا عن الدين[4].

1 ـ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ2،ص396,وكذا ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة، دار القلم ،بيروت ،ط5، 1984م ،ص36.

2 – ابن قتيبة :الإمامة والسياسة ،ص33.

3 -- المسعودي :مروج الذهب ،حـ2،ص397.

4 – ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، ص3.

وقد أدّى هذا إلى عودة المجتمع العربي الإسلامي إلى حياة الترف وانتشار الرفاهية التي لا تتوافق مع ما ساد الدولة الإسلامية من حياة التقشف في عهد أبي بكر وعمر ،فتدفق الثراء على الحجاز ،فأغرى الناس بالتمتع بالحياة والتنعم بسماع قصائد الحب ،واقتناء القيان الفارسيات ،وجلب المغنيين والموسيقيين من الفرس والروم إلى المدينة ،من أمثال: نشيط الفارسي وسائب خاثر الفارسي ،وابن محرز ،وطويس وابن سريج وغيرهم [1] ؛ فأين ذلك من أيام عمر التي ساد فيها الزهد والقيم الأخلاقية الدينية؟.

ويذكرون أن عمر أنفق في ذهابه ومجيئه إلى المدينة عندما أدى فريضة الحج سنة23هـ ستة عشر دينارا، فقال لولده عبد الله يومئذ:(لقد أسرفنا في نفقتنا في سفرنا هذا)[2].

1ـ ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة ،ص765.

2ـ السيوطي:تاريخ الخلفاء ،ص132.

ثالثا: عزل العمال القدامى واستبدالهم ببني عشيرته:

قام عثمان بعزل العمال القدامى من الأمصار الإسلامية وتولية آخرين من بني أعمامه وأقربائه الذين أساؤوا ـ فيما بعد ـ السيرة وتجاوزوا حدودهم مع الناس ،ثم وضعوا حدا قاطعا للتقاليد السائدة في عصر عمر.

وكان من بين عمال عثمان الذين عينهم في هذه الأمصار عمّه الحكم بن أبي العاص وهو طريد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذ غرَّبَه عن المدينة ونفاه عن جواره ،والوليد بن عقبة بن أبي محيط ،وهو ممن أخبر عنهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه من أهل النار, وذُكر أنه شرب الخمر مع ندمائه ومغنيه يوما من أول الليل حتى الصباح؛ فلما أذّن المؤذنون بالصلاة خرج في غلائله ،فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح, فصلّى بهم أربعَ ركعات, ثم قال: أتريدون أن أزيدكم؟[1].وفي ذلك يقول الحطيئة:[2]

شَهِد الحُطيئةُ يومَ يلْقىَ ربّه أنَّ الوليدَ أحقُّ بالغَدْرِ
نادَى ،وقَد تمَّتْ صَلاتُهُمْ أَأَزِيدُكُم؟ ثَمِلا وَما يدْرِي
لِيزيدَهُم أُخْرى ،ولو قَبِلُوا قَارَنْتُ بينَ الشَّفعِ والوَتْرِ

وكذلك استبد عبد الله بن سعد بن أبي سرح بأهل مصر، وأساء إليهم فشكاه جماعة منهم إلى عثمان ،فأمره بالإحسان إلى رعيته ،فلم يسمع أوامره بل عمد إلى ضرب بعض من جاءه من قبل عثمان فقتله [3].

1– المسعودي :مروج الذهب ،جـ2،ص399.

2– الحطيئة: ديوانه ، برواية ابن السكيت ،تحق :مفيد محمد قميحة ،دار الكتب العلمية ،ط1، 1993 م،ص167.

3- عبد العزيز سالم :تاريخ الدولة العربية ،ص555.

رابعا: تصرفات عثمان بن عفان الفردية في تسيير الحكم:

لقد ابتعد عثمان بن عفان(رضي الله عنه)عن الشيخين عمر وأبي بكر(رضي الله عنهما) في سياستهما التقشفية ،فكان يلبس فاخر الثياب من خز وطيلسان ؛فأين ذلك من زهد عمر وتقشفه عندما كان يلبس ،وهو خليفة ،جبة من صوف مرقعة واضحة الترقيع، ويطوف في الأسواق[1] ،بينما عثمان كان يطلي أسنانه بماء الذهب ،وكان يأكل أفخر الطعام ،وأجود اللحوم. صحيح أنه كان يأكل من حُرِّ ماله ،إذْ كان أكثر قريش مالا وأحسنهم تجارة؛ ولكن بحكم منصبه كخليفة للمسلمين ،كان عليه أن يصطنع على الأقل الزهد ليكون مثلا للأمة الإسلامية[2].ولذلك عاب عليه أبو ذر الغفاري إقباله على الدنيا. وكان أبو ذر يذهب إلى أن المسلم لا ينبغي له أن يكون في ملكه أكثر من قوت يومه وليلته ،أو شيء ينفقه في سبيل الله ،أو يُعده لكريم, **وهو هنا يأخذ بظاهر القرآن ؛إذ يقول الله عز وجل:** ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ

وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ). [3]

ومن الأمور التي أخذت على عثمان أنه تجاوز الخيزران والدرة إلى السوط؛ حيث يعد الخليفة الأول الذي استعمل السوط لضرب ظهور الناس ،بينما

1- ابن الأثير:الكامل في التاريخ ، جـ3،ص60.

2- المرجع نفسه ،جـ 4،ص114.

3- التوبة: آية 34.

كان أبو بكر وعمر يأمران باستخدام الدرة والخير زان ،وهما أخفُّ من السوط ،وزعموا بأنه -أي عثمان-أمر بضرب(عمار بن ياسر) عندما تجرأ بدفع كتاب كتبه عشرة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى عثمان ينكرون فيه سياسته ؛فضربه من كان في حضرته من بني أمية ،وضربه عثمان معهم (حتى فتقوا بطنه فغشي عليه, فجرّوه حتى طرحوه على باب الدار)[1] .وذكروا أيضا أنه كان عاطفيا شديد التأثر ،تغلب عليه العاطفة إلى حد أنه أهدر دم (الهر مزان) الذي قتله عبد الله بن عمر ظلما، فلم ينفذ فيه الشرع ويقتله. وقد سمعه بعض المهاجرين يقول:(أيُقتل أبوه بالأمس ويُقتل هو اليوم)؟ وكان عمر بن الخطاب قد أمر قبل وفاته بسجن ولده ليحكم فيه الخليفة من بعده ،فلما تولى عثمان خلّى سبيل عبد الله بن عمر ودفع لذوي القتلى ديات من ماله[2].

وطبعا فإن المسلمين لم يغفروا لعثمان تساهله في هذه القضية. وراحوا يكثرون الحديث في المطالبة بدم (الهرمزان) الذي قتل ظلما, ولكن عثمان تقاعس عن محاكمة قاتله ،بل وسعى بنفسه إلى أن يهربه إلى الكوفة [3].

1- ابن قتيبة :الإمامة والسياسة ،ص34.

2ـ ابن كثير :البداية والنهاية ،مكتبة المعارف ،بيروت ط،1 1966، جـ7،ص149.

3ـ اليعقوبي : تاريخه، تحق :بد الأمير مهنا ، نشر شركة الأعلمي ط1993،1,جـ2،ص164.

ومن الأخطاء والمآخذ التي ارتكبها عثمان أيضا أنه ،ذات مرة ،أجاز رجم امرأة من جهينة ،ولدت لستة أشهر من زواجها ،فأمر عثمان برجمها .فلما أخرجت من

حضرته لتنفيذ الحكم دخل عليه علي بن أبي طالب(كرم الله وجهه) فقال:(إن الله عز وجل يقول:(وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا),[1]
وقال: في رضاعه (حولين كاملين) ،فأرسل عثمان في إثر المرأة ،ولكن بعد فوات الأوان).
[2]

ومن المآخذ التي حركت عوامل السخط عليه في البلدان الإسلامية أنه استعمل أقرباءه وأهل بيته ،وبخاصة، في السنوات الست الأخيرة من خلافته ؛حيث عزل عمرو بن العاص عن مصر وولّى مكانه عبد الله بن سعد أخاه من الرضاعة،كما عزل أبا موسى الأشعري عن البصرة،وأقام مكانه عبد الله بن عامر ابن خاله،وكان عمره يومئذ لا يتجاوز الخامس والعشرين.

وأيضا عزله للمغيرة بن شعبة عن الكوفة وجعل مكانه سعد بن أبي وقاص ،ثم عزله بعد سنة واحدة وولىّ مكانه الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه، ثم عزل الوليد ونصب مكانه سعيد بن العاص ،وهو من أقربائه.

وكان معظم من عينهم عثمان بن عفان(رضي الله عنه)على الأمصار استغلوا قرابتهم لعثمان في الاستبداد ،والظلم ،وسوء السيرة ،بينما عزل رجالا أكفاء أثبتوا قدراتهم في القيادة والإدارة، مثل: عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ،وأبو موسى الأشعري ؛وقد كان لهذا التصرف الطائش

1-الأحقاف:الآية15.

2 – السيوطي :تاريخ الخلفاء ، ص147.

أكبر الأثر في تحريك عوامل السخط والعصيان، فاشتعلت بذلك الأمصار بنار الفتنة في عهد عثمان (رضي الله عنه) ؛ وقد بدأت بتذمر شديد على سياسته المشار إليها؛ وما لبث هذا التذمر أن اشتد شيئا فشيئا ،وساعد في إذكاء نيران بعض من كانت لهم أهواء خاصة, وبعض من دخلوا الإسلام كرها؛ حيث أسلموا بألسنتهم بينما يخفون في قلوبهم الحقد والبغضاء.[1]

و كان من نتيجة هذه ــ الفتنة أن حاصر الثوار دار عثمان (رضي الله عنه) وقتلوه. وكان ذلك في 18 ذي الحجة من سنة 350هـ. [2]

وقد صور لنا الشعراء مدى الفجيعة التي أحس بها كثير من المسلمين على فقد الخليفة وسفاهة وطيش عقول هؤلاء الذين اشتركوا في قتله ومن الأبيات التي تصور تلك الحادثة المؤلمة ما قاله أيمن بن خريم [3].

من بحر **البسيط.**

ضحُّوا بعثمانَ في الشَّهر الحَرامِ ولمْ يخْشوا علَى مطمَح الكَفِ الَّذي طمَحُوا
إنّ الذِيــن تَولَّـــوا قتــلَهُ سفــهًا لَقَــوا أَثامًــا وخُسْـرانًا فمَا ربِـِحُوا

وكان مقتل عثمان نقطة تشعبت عندها الجماعة الإسلامية وتفرقت شيعا؛ وظهر ذلك العداء القديم بين بني أمية وبني هاشم ؛بحيث يرى بعض الباحثين أ ن مقتل عثمان كان ذروة خلاف قديم وليس بداية. وعلى أي حال فقد بايع أهل الحجاز علي بن أبي طالب ،رضي الله عنه خليـــفة للمســـلمين ولكن

---

1 - عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية،ص558.

2 – المرجع نفسه ،ص571.

3_ أيمن بن خريم: ديوانه، تحق :الطيب الشاش ،نشر مؤسسة المواهب، بيروت ، ط1، 1999م،ص27.

معاوية بن أبي سفيان تصدى لعلي وطالبه بالقصاص من قتله عثمان وإلا فلا سمع ولا طاعة .وانحاز لمعاوية طلحة والزبير والسيدة عائشة أم المؤمنين فضلا عن أهل الشام الذين اتخذهم معاوية ركنه الركين وألف قلوبهم وأصهر إليهم, ومن قبلِه كان عثمان(رضي الله عنه)قد أصهر إليهم أيضا. وكانت قضية الثأر لعثمان في فكر معاوية ما هي إلا مطية وسلما يصل به إلى الحكم، وينتزعه من عليّ.

وتسير الأحداث سيرتها الدامية فتدور معركة الجمل, وتتلوها معركة صفيين ،وينتهي الأمر إلى قَبول التحكيم الذي انتهى بخَلع عليٍّ وتولية معاوية. ولما يرفض عليٌّ نتيجة التحكيم، يخرج عليه من أشياعه فريق عرفوا بالخوارج فيما بعد يتهمونه بالكفر ،ويطالبونه بالتوبة ،لأنه ما كان له أن يقبل بالتحكيم أصلا؛ولا يمهل القدر عليًّا فيقتل على يد أحد هؤلاء الخوارج ،ويرى ابنه الحسن أن يتنازل عن القضية لمعاوية حقنا لدماء المسلمين، فيستقر الأمر لمعاوية عام (14)هـ ؛ويسمى هذا العام بعام الجماعة. وتنتقل عاصمة الخلافة من المدينة إلى دمشق[1].

ومهما كان من الأمر ،فقد كان مقتل عثمان نقطة تحول في التاريخ السياسي للإسلام ،وظل كثير من المسلمين يرى في قتله انتهاكا لحرمة الخلافة، وإيذانا بمرحلة جديدة،تسيل فيها دماء المسلمين ،ولا يقف القتل عند حد معين. يقول حميد بن ثور[2] .

من بحر: **البسيط.**

1– يوليوس فلهوزن : الخوارج و الشيعة ،تحق:عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، 1998,ص178.

2– حميد بن ثور الهلالي: ديوانه ،جمع وتحق: محمد شفيق البيطار ،نشر هيئة أبو ظبي للثقافة،ط1،- 2010م،ص334،333.

إنَّ الخـلافةَ لَمَّا أظْعَنتْ ظعنَتْ عن أهلِ يثْربَ إذْ غيرَ الهُدى سـلَكُوا
صارتْ إلَى أهْلِها منْهُـمْ ووَارثِها لمّا رَأى اللهُ فِي عُثْـــمانَ ما انْتَهَكُوا
السّافِكِـي دمَهُ ظُلْـمًا ومَعْصـــِيةً أيّ دمٍ-لاهُــدُوا مِن غيّــهِمْ -سفكُوا

والفاتِحِي بابَ قتـــلٍ لا يَزالُ بِه قَـتلٌ بقَتــلٍ إلـــى دَهـرٍ، ومـــعتَركُ

وقد أثمرت هذه الفتنة كثيرا من الأشعار, فوقف بعض الشعراء مع علي (رضي الله عنه) يؤيدونه ويتبنون أحقيته بالخلافة, ووقف فريق آخر مع معاوية يؤيده في دعواه ،ويفند حجج أشياع علي, ويضع قضية الثأر لعثمان في المرتبة الأولى. و قد ذكر بعض الشعراء أمَّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) فراحوا يلومونها على خروجها من بيتها وقد أمرها الله أن تقرَّ فيه، و يتهمونها بالتحريض على سفك دماء المسلمين ،وإشعال نار الفتنة ،وتفريق كلمة المسلمين بعد اجتماعهم على بيعة عليّ (كرم الله وجهه) ؛فمن ذلك قول ابن أمِّ كلاب:[1]

من **بحر المتقارب**

فمَنكِ البَداءُ ومنكِ الغِيرْ ومنكِ الرياحُ ومنكِ المَطرْ
وأنتَ أمرْتِ بقتلِ الإمَامِ وقُـلتِ لَـنا إنَّهُ قدْ كَـفرْ
فهَبْنَا أطعْنَاكِ في قتْلِهِ وقاتلُـه عِنـــدَنا مَـنْ أمَر
ولم يَسْقُطِ السّقْفُ من فَوقِنا ولمْ تَنكَسِفْ شمسُنا والقَمرْ

---

1 – **الطبري: تاريخه ،جـ3،ص 477،وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ3، ص206،207.-البداء:الظهور والإبانة.**

وقَدْ بايَعَ النَّاسُ ذا تُدْرُإٍ يُزيـلُ الشّبَـا ويُقيمُ الصّعَـرْ
ويلبَـسُ للحَربِ أثوابَها وما مَن وفَى مِثلَ منْ قدْ غَـدرْ

وراح فريق آخر من الشعراء يصب جام غضبه ولومه على طلحة والزبير في إخراجهما السيدة عائشة والزج بها في ساحة الصراع. يقول جارية بن قدامه السعدي[1]. من بحر **الكامل**

صُنتُمْ حلائلَكمْ وقُدْ تُمْ أُمَّكُـمْ هَذا لَعمْـرُكَ قلَّةُ الإنْصَـافِ
أُمِرتْ بجرّ ذُيولِهـا في بيْتِـها فهَوتْ تشقُّ البِيدَ بالإ يجَافِ
غـرضاً يقاتـلُ دونها أبناؤها بالنّبل والخـطّي والأسيـافِ
هتَكَت بِطلْحةَ والزُّبيرِ ستُورَها هذَا المُخبَّرُ عَنْـهُـمُ والكَـافي

بينما ذهب بعض شعراء عليّ ومعاوية يتراشقون بالقصائد, كل يفند حجة الآخر ،وينقض أقواله, فيقول كعب بن جعيل شاعر :[2]

من بحر المتقارب

أَرَى الشَّامَ تكْرهُ مُلكَ العِراقِ وأَهْلَ العِـراقِ لها كارِهُونَـا
وكُـلٌّ لِصاحِـبهِ مبْغِـضٌ يَرى كلَّ ما كانَ مِن ذلكَ دينا
إذا ما رمَـوْنا رمَيـنا هُـمُ ودِنّاهُـمُ مثـلَ مَا يُقْرِضونَـا
وقالُوا عـليٌّ إمـامٌ لنَـا فقُـلْنا رضِينَـا ابنَ هِنـدٍ رضِينَـا

وقالـــوا نَرى أنْ تدِينُـــوا لَهُ فقُلنا لهمْ لا نَـــرى أنْ نَدِينَـــا

1-الطبري : تاريخه ،جـ5،ص176.

-الشبا:جمع شباة: إبرة العقرب. والشبا: الطحلب. -ذا تدرإ: ذا منعة وقوة.-الصعر: داء في العنق لا يستطاع معه الالتفات.

2 -ا بن مزاحم، نصر الدين :وقعة صفين تحق :عبد السلام هارون ،جـ1 ، ص57.

ومِن دُون ذلكَ خَـرْطُ القَتادِ وضـربٌ وطـعنٌ يقرُّ العُيونَـا
وكـلٌّ يُـسرُّ بمـا عنْـدَهُ يَرى غثَّ ما فـي يَديْهِ سَمينَـا
ومـا في علـيّ لمُـستعْتبٍ مقالٌ سِوى ضمـّهِ المُحـدَثِينا
وإيثـارِه اليـومَ أهلَ الذُّنوبِ ورفعِ القَصـاصِ عن القاتِلينَـا
إذا سيـل عـنه حـدا شبهـة وعمى الجواب عن السائـلِينَا
فليْـس بِـراضٍ ولا سَـاخطٍ ولا في النُّهـاةِ ولا الآمِـرينَا
ولاَ هُـو سَـاهُ ولا سَـرَّهُ ولا بدَّ مِن بعضِ ذا أنْ يَكُـونَـا

وما يلاحظ على هذه الأبيات أن ابن جعيل يعبر عن موقف حزب الأمويين من علي(رضي الله عنه) بعد مقتل عثمان إذ قالوا إن عليا آوى قتلة عثمان ،ولم يقتص منهم.

ويرد عليه النجاشي شاعر عليّ منذرا متوعدا معليا من قدر علي عن أن يكون نظير معاوية ،فتأريخه في الإسلام معروف وقرابته من الرسول (صلى الله عليه وسلم)معروفة كذلك[1]: من بحر **المتقارب**

دَعَنْ يا مُعَاويَ ما لَنْ يكُـونا فقَد حقَّـق اللهُ ما تحْذَ رونَـا
أتاكُمْ عليٌّ بأهلِ الحِـجازِ وأهـلِ العراقِ فما تَصْنَعُونـا
جعـلتُـم عليـًا وأشـياعَـه نظيرَ ابـنِ هِنـدٍ ألا تسْتـحُونـا
إلَى أوّلِ النَّاسِ بَعدَ الرَّسـول وصِنْـو الرَّسـولِ من الـعَالمِينـا
وصِهـر الرَّسـول,ومَـنْ مثـلُه إذا كان يـومٌ يُشِيبُ القُـرُونَـا

1ـ المرجع السابق نفسه ، جـ1،ص58.-ساه:ساءه.

ويحاول معاوية أن يضخم من قضية الثأر لعثمان فيجسم مقتله وكيف تداعت عليه عصبة من الأشرار فقتلته دون ذنب, ثم يبين إصراره على الانتقام له والثأر من قتلته, يقول معاوية:[1] من بحر **الطويل**

أَتانِيَ أَمرٌ فِيـهِ للنَّـفسِ غُـمةٌ وفِيه بُكـاءُ العيونِ طويـلُ
مُصابُ أميرِ المؤمنـين وهدّةٌ تكادُ لها صُـمُّ الجِبالِ تَـزولُ
تَداعتْ عليهِ بالمَـدينةِ عُصْبةٌ فرِيقانِ منْها قـاتلٌ وخَـذولُ

دعاهُمْ فصُمُّوا عنْهُ عندَ جَوابه وذاكمْ علَى مافي النّفُوس دَلـيلُ
ندمتُ علَى ماكانَ مِن تبَعِي الهَوى وقَــصْـرِيَ فِيهِ حَسْرةٌ وعَويـــلُ

ويرد عليه رجل من الأنصار مبينا أن معاوية إنما ينصب الثأر لعثمان خدعة للمسلمين كما نصبها من قبل طلحة والزبير ثم يسخر منه ومن نصيره عمرو بن العاص ،فهو يقول: [2] من بحر

الطويل

مُعـاوِيَ إنّ الحقّ أبلـــجُ واضحٌ ولـــيسَ بِما ربَصْـــتَ أنتَ ولا عمـرُو
نصبْتَ لنا اليومَ ابن عفّان خُدعةً كما نصَبَ الشّـيخانِ إذ زُخْرِف الأمْرُ

---

1 –المرجع السابق نفسه ،جـ2،ص80.-ربص:انتظر خيرا أوشرا.

2– المرجع نفسه ،جـ1،ص65.

فهَذا كَهـَذاكَ البَلاَ حذْو نعْلِه سواءٌ كرقْـــراقٍ يُغَـرِّبِه السَّفْرُ
رمَيتُـــمْ عليًّا بالـَّـذي لا يَضُـــرُّهُ وإنْ عظُمتْ فيهِ المَكِيدةُ والمَـكْرُ
و ما ذنْبُــه أنْ نالَ عثمانَ معشرٌ أتَوْهُ مِن الأحْيـاءِ يجْمــعُهُمْ مصْرُ
فثارَ إليـــهِ المُسلِمــونَ بِبيعَـةٍ علانِيـــةٍ ما كانَ فِيــها لهمْ قسْـرُ
فبايعَـــهُ الشّيخــانِ ثُمَّ تحـمَّلا إلى العُمْرةِ العُظمَى وباطنُها الـغَدْرُ
فما أنْتُما والنـَّصْرُ مِنَّــا وأنتُـمَا بَعِيــثاَ حُــروبٍ مـا يبُوخُ لها جَمْرُ

وإلى جانب هذه القصائد التي تراشق بها الشعراء كانت هناك بعض الأراجيز يرتجزها المحارب في المعارك كما نرى في قول عمار بن ياسر, وكان مشايعا لعلي (كرم الله وجهه):[1] **من بحرالرجز**

سِيروا إلَى الأَحْزابِ أعداءِ النَّبيْ سِيروا فخَيرُ الناسِ أتباعُ عِلِيْ
هذا أَوانٌ طابَ سلُّ المَشـــرفيْ وقَوْدُنا الخيلَ وهزُّ السَّمـهَريْ

ويقول الحُرّ بن سهام الربعي:[2] من بحرالرجز

يا فرسي سيري وأُمّي الشّامَا وقطِّعي الحَـزُونَ والعَلاَمَـا
ونـابِذِي مَن خَالفَ الإمَاما إنّـي لأرْجُو إنْ لقِيـنا العَامَـا
جَمعَ بنِي أُمَيةَّ الطّغَامَـــا أنْ نَقتُل الصَّافي والهُمَامَـا
وأنْ نُزيلَ مِنْ رجالٍ هَامَا.

1_ المرجع السابق، جـ1،ص65.

2-المرجع نفسه ،جـ3،ص133.-الرقراق من السراب:ما تلالأ واضطرب. -نابذي: من النبذ، أي الطرح والترك أمامك أو خلفك.-الحزون:الحزَن ما غلظ من الأرض.-الطغام:أوغاد الناس.

ويرتجز عمرو بن العاص وهو يتقدم جيوش معاوية فيقول:[1]

من بحر **السريع**

يا أيّها الجيشُ الصَّليب الإيمانْ قُوموا قياما واستغيثُوا الرحمنْ

إنّــي أتانِي خــبرٌ فأشْــجان أنَّ عَــليًّا قتَــلَ ابنَ عــفَّان

ردُّوا علَينا شَيخَنا كَما كانْ

والشواهد الشعرية أكثر من أن تحصى ؛فنتاج هذه الفتنة الأدبي وافر لمعت فيه عديد من الأسماء ،وتراوحت أشعار الشعراء بين القصائد المطولة والمقطوعات القصار التي لا تعدو بضع أبيات تسجل خواطر ومواقف سريعة، كذلك تفاوتت أشعار هذه المعارك بين الشعر المتقن الذي تأنى أصحابه في نظمه ،وبين الشعر الذي تبدو فيه العفوية والتلقائية. ومهما كان من أمر ،فقد كان نتاج هذه المعارك يمثل مرحلة مبكرة من فنّ النقائض الذي سيبلغ مداه في العصر الأموي على أيدي الشعراء الفحول: جرير والأخطل والفرزدق.

1- المرجع نفسه، جـ4ص228.

الفصل الأول
ظهور الأحزاب السياسية في العصر الأموي

أولا: الحزب الأموي الحاكم

ثانيا: الزبيريون

ثالثا : الشيعة وفرقها

رابعا : الخوارج

خامسا : المرجئة

أولا :الحزب الأموي الحاكم:

بعد الأحداث الدامية التي سارت من موقعة الجمل ،إلى موقعة صفين إلى التحكيم، نادى معاوية بن أبي سفيان لنفسه خليفة على الشام، واستطاع أن يضم إليه مصر في أيام عليّ (كرم الله وجهه) .وحين قتل عليّ وتنازل الحسن عن الخلافة ،أصبحت الأمصار الإسلامية تخضع لسلطة معاوية بالشام ،وكان ذلك في عام 41هـ ،والذي سمي بعام الجماعة ،وهو العام الذي يعد البداية الفعلية لدولة بني **أمية.**[1]

ولقد امتد حكم معاوية عشرين عاما ،حاول في خلالها أن يدعم سلطان بني أمية ،وأن يزيد في فتوحات المشرق والمغرب؛ ثم أراد أن يأخذ في حياته البيعة لابنه يزيد من بعده ،وقد تمكن بسياسته ودهاء ولاته أن يحقق قبول سائر الأمصار لبيعة ابنه عدا إقليم الحجاز ،فقد تمرد فيه الحسين بن علي ،وعبد الله بن عمر ،وعبد الله بن عباس ،وعبد الله بن الزبير ،وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذين امتنعوا عن بيعته ،وامتنع معهم أهل الحجاز ،وبخاصة أهل المدينة البلد الذي شهد بداية الخلافة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

و لقد بذل معاوية جهدا كبيرا في أن ينال بيعة هؤلاء لابنه حتى يحقق إجماع الناس عليه ،ولكنه لم يفلح في ذلك ،فمات ،دون أن يحقق حلمه

---

1 - محمد عثمان علي :في أدب الإسلام ،دار الأوزاعي، بيروت ط1_ 1984،ص313.

هذا، **في عام(60هـ)** [1]**. وأصبح يزيد بن معاوية خليفة على الشام ومصر، وكان أهل** العراق والحجاز كارهين لحكمه ،ولم يرتضوه خليفة ؛فراح أهل العراق يكتبون إلى الحسين بن عليّ طالبين منه أن يجيئهم ليبايعوه بالخلافة ،ويساعدوه في قتال أهل الشام، فلما قدم إليهم تخلوا عنه ، فكانت حادثة كربلاء المأساوية في شهر محرم من عام 61هـ ؛حيث قتل الحسين (رضي الله عنه) هو ومن معه من أهل بيته ،وحملت رؤوسهم إلى الكوفة معقل الشيعة الذين كان الحسين يتوقع نصرتهم له[2].

وأما أهل الحجاز فقد امتنعوا عن بيعة زيد ،وأجمع أهل المدينة على إخراج بني أمية من بين ظهرانيهم ،وعلى رأسهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك .فلما علم يزيد بذلك أرسل إليهم جيشا بقيادة مسلم بن عقبة المري ،فكانت وقعة الحرة في أواخر ذي الحجة من سنة 63هـ ،وفيها قتل ثمانون رجلا من

صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ،والمئات من المهاجرين والأنصار ،واستبيحت المدينة ثلاثة أيام[3] .وأما أهل مكة فكانوا في ذلك الوقت مع عبد الله بن الزبير بن العوام الذي أصبح منافسا قويا في الخلافة بعد مقتل الحسين(رضي الله عنه) في كربلاء ،فلما انتهى مسلم بن عقبة من حرب المدينة وإخضاع أهلها لسلـــطة يزيد ،اتجه بجيشه نحو مكة لمحاربة عبد الله بن الزبير ،إلا أن المنـــية عجلت به وهـو في طريقه ــــــــــ

1 –السيوطي: :تاريخ الخلفاء ،جـ1،ص313.

2 - الدينوري : الأخبار الطوال ،تحق :عبد المنعم عامر ،دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة، ط1 ـ 1960،ص2.

3 - السيوطي: تاريخ الخلفاء ،جـ2،ص216.

إليها ،فتولى قيادة الجيش من بعده الحسين بن نمير السكوني الذي ظل يحاصر مكة حتى أتى الخبر بموت يزيد بن معاوية، فانصرف بجيشه كالمهزوم عن مكة[1]. و بايع أهل الشام معاوية بن يزيد ،ولكنه كان كثير المرض فلم يلبث أن لقي نحبه بعد أشهر قليلة من ولايته، ولم يستخلف أحدا من بعده. وقد طُلب منه ذلك قبل موته فقال قولته الشهيرة :(ما أصبت من حلاوتها فلِم أتحمل مرارتها [2].و كان هذا سببا في تنازع بني أمية على السلطة من بعده، غير أن نزاعهم انتهى أخيرا إلى تولية مروان بن الحكم الذي جمع أهل الشام وبني أمية ،وخاض بهم حربا ضد أتباع ابن الزبير في (مرج راهط) قرب دمشق ،واستطاع أن يحقق النصر عليهم بتأييد أهل اليمن .ومن ثمَّ استتب أمر الشام لبني مروان ،ولكن حكم مروان بن الحكم لم يتجاوز العشرة أشهر؛ حيث توفي بعدها ،وتولى الأمر من بعده ابنه عبد الملك بن مروان عام 65هـ والذي يعد بحق المؤسس الثاني بعد معاوية بن أبي سفيان لدولة بني أمية؛ حيث امتد حكمه إحدى وعشرين سنة تمكن في خلالها ،وبعون والِيهِ في العراق الحجاج بن يوسف الثقفي أن يحارب مصعب بن الزبير في العراق ،وأن يحقق النصر عليه ،ثم أرسل الحجاج إلى مكة لحرب أخيه عبدالله ابن الزبير ،فتمكن من القضاء عليه ،وحقق بذلك خضوع الحجاز والعراق لسلطة عبد الملك. وهكذا أصبحت جميع الأمصار الإسلامية تحت طاعة بني مروان.

1 - المرجع السابق نفسه ،جـ2،ص12.

2- المرجع نفسه ،جـ2،ص12.

وبعد ذلك يتَوالى أمراء بني مروان على حكم الشام وباقي الأمصار الإسلامية ،ويتمكنون خلال حكمهم أن يفتحوا بلاد المغرب والأندلس،

وأن يوسعوا فتوحاتهم في خراسان وبلاد الترك والسند والهند ،وكانت معظم هذه الفتوحات في أيام ولاية الوليد بن عبد الملك[1].

وخلاصة القول أن الحروب التي خاضها الأمويون طيلة حكمهم ضد أهل الحجاز والعراق ،وسياسة وُلاَّتهم التي غلب عليها القهر والظلم ، قد جعلت فترة حكمهم مليئة بالثورات ،وبخاصة في العراق، كما أن تعصبهم العربي قد جعل الموالي يكرهون حكمهم ويتجمعون حول آل علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ؛حيث شكلوا حزبا سريا يدعو إلى رضا آل البيت وإرضائهم وتمكينهم من استرداد حقهم المغتصب ؛وظلت دعوتهم تقوى مع الزمن شيئا فشيئا حتى تمكنوا أخيرا من القضاء على دولة بني أمية في عهد مروان بن محمد آخر خلفائهم عام 132هـ [2].

1-**المرجع السابق نفسه : جـ2،ص224.**

2ـ المرجع نفسه ،جـ2 ،ص2.

ثانيا: الحزب الزبيري:

تعود الأسباب الحقيقية لنشأة الحزب الزبيري إلى الفتنة الكبرى التي أدت إلى مقتل عثمان رضي الله عنه ،وخروج الزبير وطلحة وعائشة على عليٍّ بن أبي طالب. ولعله يمكننا أن نذهب إلى أبعد من هذا التاريخ بعدة أعوام ،لنقول إن نواة نشأة هذا الحزب تعود إلى ما بعد مقتل عمر مباشرة.

ومن المعروف أن عبد الله بن الزبير هو أحد الستة الذين عهد إليهم عمر بانتخاب خليفة من بينهم ،ولكنه كان واثقا أن الأمر سيعيدونه بالقطع إلى أحد رجلين هما عليّ وعثمان[1].

وواضح كذلك أن آل الزبير كانوا يتطلعون إلى الخلافة الإسلامية ويسعون إليها بقوة ،معتمدين على أحسابهم وأنسابهم وقربهم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،وأن الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة[2] ؛ ولهذا لم يبايع الزبير عليًّا بن أبي طالب ،ودخل معه في صراع مرير للحيلولة دون تبوئه منصب الخلافة ،وانتهى ذلك الصراع في موقعة الجمل الشهيرة.

وورث عبد الله تطلع أبيه إلى الخلافة وكان لديه طموحه الشخصي فظل مترقبا الصراع المرير بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه و معاوية بن أبي سفيان.

1-النعمان القاضي: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ،ص23.

2-ابن الأثير : الكامل في التاريخ، جـ4،ص21.

وقد أشار ابن كثير في تاريخه إلى هذا الطموح الذي كان يملأ على ابن الزبير حياته ،فقد كان يحلم بالخلافة وهو في مطلع شبابه. يقول ابن كثير في تاريخه:(وحكا سفيان الثوري عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي قال: لقد رأيت عجبا !كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك ابن مروان ،فقال القوم بعدما فرغوا من صلاتهم: لِيقُم رجل منكم فليأخذ بالركن اليماني ،ولْيسألِ اللهَ حاجتَه فإنه يعطى من ساعته .قُم يا عبد الله بن الزبير فإنك أول مولود ولد في الهجرة ؛فقام وأخذ بالركن اليماني ثم قال: اللهم إنك عظيم ترجى لكل **عظيم؛أسألك** بحرمة عرشك وحرمة وجهك وحرمة نبيك عليه الصلاة والسلام أن لا تميتني حتى توليني الحجاز ،ويسلّم عليٌّ بالخلافة. وجاء حتى جلس .فقال: قم يا مصعب ،فقام حتى أخذ بالركن اليماني فقال: اللهم إنك ربُّ كل شيء ،أسألك بقدرتك على كل شيء أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق ،وتزوجني سكينة بنت الحسين [1].وجاء حتى جلس .فقال: قم يا عبد الملك ؛فقام وأخذ بالركن اليماني وقال: اللهم ربّ السماوات السبع وربِّ الأرض ذات القفر. أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك ، وأسألك بوجهك ،وأسألك بحقك على جميع خلقك وبحق الطائعين حول بيتك أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني شرق الأرض وغربها، ولا ينازعني أحـد إلا أتيتُ برأسـه ؛ ثم جاء حتى جلس .فقـال: قم يا عبد الله بن عمـر .

1- المرجع السابق نفسه ،جـ4،ص21.

فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال: اللهم إنك رحمن رحيم أسألك برحمتك التي سبقت غضبك، و أسألك بقدرتك على جميع خلقك، أن لا تميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة. قال الشّعبي: فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت لكل رجل ما سأل ،وبُشر عبد الله بن عمر بالجنة ورُئِيت له[1].

وتبدو قوة شخصية عبد الله بن الزبير وشجاعته الفطرية منذ صباه الباكر ،فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية الموثوق بها أن عبد الله بن الزبير كان صبيا يلعب مع الصبيان فمرَّ بهم عمر بن الخطاب ففر الصبيان كلهم إلا

عبد الله بن الزبير بقي واقفا مكانه ،فقال له عمر: مالك لم تفِر معهم ؟فقال: لم أجرم فأخافك ،ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك[2].

وكان تقيا وورعا ،لم يكذبه أعداؤه ،بل إن واحدا من ألذِّ أعدائه وممن أسهموا في قتله ،وهو طارق بن عمرو مساعد الحجاج ،قال عنه:(ما ولدت النساء أذْكَر من هذا. فقال الحجاج: أتمدح مخالف أمير المؤمنين. قال: نعم هو أعذر لنا ،ولولا هذا لما كان عذرٌ ؛إنا محاصروه من السبعة أشهر وهو في غير جند ولا حصن ولا منعة فينتصف منا بل يفضل علينا فبلغ كلاهما عبد الملك فصوّب طارقا)[3].

1- ابن كثير : البداية والنهاية ،ص29 -30.

2- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،جـ4،ص360.

3ـــالسيوطي: تاريخ الخلفاء،جـ2،ص213.

وما ذكره عمر بن قيس عن شخصية عبد الله بن الزبير يفسر جمعه بين الدين والدنيا في شخصيته الإنسانية ؛حيث يقو ل: (وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه قلت :هذا رجل لم يرد الله طرفة عين ، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت: هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين)[1]. والحديث يطول عن شخصية الرجل إذا ما تتبعنا سيرته في المصادر التاريخية التي ذكرته وأسهبت في تفصيل الحديث عنه من بعيد أو من قريب.

ومن الطبيعي جدا أن نجد شخصية عبد الله بن الزبير في نظر بني أمية وأنصارهم مشوهة ،بعيدة عن الحقيقة ،وذلك بسبب الصراع السياسي، ولكننا إذا نأينا عن دائرة هذا الصراع وجدنا المؤرخين المحايدين يصفونه بأنه كان صواما قواما طويل الصلاة ،وصُولا للرَّحِم ،عظيم الشجاعة ؛وقد قسم الدهرَ إلى ثلاثِ ليالٍ: ليلة يصلي قائما حتى الصباح وليلة راكعا ،وليلة ساجدا حتى الصبح[2].

وهذه الرواية ،وإن كان فيها كثير من المبالغة في وصف عبادته وطاعته لله عزّ وجل ،إلا أنها تدل بوضوح على مدى حرصه على طاعة الله وعبادته ؛كما أنه روَى عن النّبي(صلى الله عليه وسلم) ثلاثة وثلاثين حديثا ،وأنه كان لا يُنازع في ثلاثة: لا في شجاعة ،ولا في عبادة ،ولا في بلاغة ،وكان قويّ الصّوت جهرَه ،إذا خطب تُجاوبه الجبال[3].

1- المرجع السابق نفسه ،جـ2،ص211.

2- **النويري : نهاية الأرب ،ط1 ،مطبعة دار الكتب القاهرة، 1374هـ،حـ21،ص143**

3- **السيوطي : تاريخ الخلفاء ،جـ2،ص21.**

وقد كان لهذا الحزب الذي نشب في الحجاز في وجه الحكم الأموي أسبابٌ بدت بوادرها بعد انتقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الدّار الآخرة، وتجددت بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، منها أسباب خاصة ،تتمثل في شخصية عبد الله بن الزبير نفسه، وأخرى سياسية؛ وقد أعلن تمرده على الحكم الأموي، وطالب بالخلافة الإسلامية واستطاع أن يكون شوكة في حلق بني أمية لمدة تسع سنوات كاملة، بسط فيها نفوذه على الحجاز والعراق ومصر، وهدّد الأمويين في حصنهم الحصين الشام.

وبعد أن تولى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مقاليد الخلافة اتجه إلى جعل يزيد ابنه في ولاية عهده ،وقد وقف ضد هذه الرغبة عبد الله بن الزبير والحسين بن علي ،ومعهما بعض وجوه الصحابة ،وقد كره الجميع إقرار النظام السياسي في ولاية العهد .ولما اجتمع بهم معاوية لمعرفة رأيهم في موضوع البيعة لابنه يزيد ،أقبل على ابن الزبير فقال: هاتِ لعمري إنك خطيبهم. فقال: نعم نخيرك بين ثلاث خصال. قال: أعرضْهُن. قال: تصنع كما صنع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وكما صنع أبو بكر أو كما صنع عمر. قال معاوية: ما صنعوا. قال: قُبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،ولم يستخلف أحدا فارتضى الناس أبا بكر قال: ليس فيكم مثل أبي بكر وأخاف الاختلاف. قالوا: صدقت فاصنع كما صنع أبو بكر فإنه عهد إلى رجل من ناحية قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه، وإن شئت فاصنع كما صنع عمر، جعل الأمر شورى في ستة نفرٍ ليس فيهم أحد من ولده ،ولا من بني أبيه. قال:

فإني قد أحببت **أن** أتقدم إليكم، إنه قد أعذر من أنذر؛ إني كنت أخطب فيكم ،فيقوم إلي القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس، فأحمل ذلك وأصفح؛ وإني قائم بمقالة ؛فأقسم بالله لئن ردّ علي أحدكم كلمةً في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه ،فلا يبقى رجل إلا على نفسه . ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال: أقم على رأس كلّ رجل من هؤلاء رجلين ،ومع كل واحد سيف، فإن ذهب رجل منهم يرد علي كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما. ثم خرج منهم وخرجوا معه حتى صعد المنبر ،فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ،لا يُبت أمرٌ دونهم ،ولا يُقضى إلا عن مشورتهم ؛وإنهم قد رضوا وبايعوا يزيد، فبايعوا على اسم الله.فبايع الناس وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النّفر؛ ثم ركب رواحله وانصرف إلى المدينة فلقي الناس أولائك النفر فقالوا لهم: زعمتم أنكم لا تبايعون فلم رضيتم

وأعطيتم وبايعتم؟ قالوا: والله ما فعلنا . فقالوا: ما منعكم أن تردوا على الرجل؟ قالوا: كادّنا وخفنا القتل[1].

ولما تولّى يزيد بن معاوية الخلافة اعتصم ابن الزبير بمكة ولما دخلها قال: أنا عائذ بالبيت. ولم يكن يصلي بصلاتهم ولا يفيض بإفاضتهم وكان يقف هو وأصحابه ناحية[2].

وقد بذل يزيد بن معاوية أكثر من محاولة لإقناع ابن الزبير بالعدول

1-ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،جـ3،ص.510. -كادّه: غالبه.

2-المرجع نفسه ،جـ4،ص17.

عن رأيه ،**والدخول في بيعته ؛فقد ذكر الدينوري أن يزيد بعث إليه ر جلا في عشرة من حرسه وقال: انطلق فانظر ما عنده ؛فإن كان في الطاعة فخذه بالبيعة ،وإن أبى فضع في عنقه جامعة وأْتِني به[1].وطبعا فقد رفض عبد الله بن الزبير الامتثال لرغبة يزيد ،ولكن يزيد لم ييأس وبذل محاولة أخرى إذ وجه(عشرة نفر من أشراف أهل الشام فيهم النعمان بن بشير وعبد الله بن عضأة الأشعري ـ وكان له صلاح ـ ومسلم بن عقبة ـ لعنه الله ـ فقال لهم:(انطلقوا فأعيدوه إلى الطاعة والجماعة، وأعلِموه أن أحب الأمور إليّ ما فيه السلامة)[2].ولم يفلح الوفد** في إقناع **ابن الزبير بالبيعة ليزيد ،وعادوا إلى الشام ،واستمر ابن الزبير في الدعوة لنفسه بالخلافة.**

و قد وجد الوقت ملائما لإعلان خلافته؛ لأنه ـ كما يعتقد ــ لم يعد هناك من هو أحق بالخلافة منه بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه.

وإلى جانب هذا فقد كان هناك خلاف قديم بين بني هاشم وآل الزبير ،الأمر الذي جعل بني هاشم يرفضون مبايعة عبد الله بن الزبير، فأمر بحبس جماعة منهم في زمزم ،وعلى رأسهم محمد بن الحنفية ،(وتوعدهم بالقتل والإحراق ،وأعطى اللهَ عهدا إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعد به وضرب لهم في ذلك أجلا)[3].وسمع المختارالثقفي بما فعله ابن الزبير بابن الحنفية ،فأرسل جيشا وخلَّص ابن الحنفية ومن معه.

1-الدينوري :الأخبار الطوال ،ص195.-الجامعة : الغل في اليدين أو في العنق.

2-المرجع نفسه ،ص195.

3-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وأثناء خروج ابن الحنفية من منفاه أمر ابن الزبير أخاه مصعب أن يُسيّر نساء كل من خرج مع ابن الحنفية ففعل ذلك وكانت من بينهن امرأة أبي الطفيل وابنٌ له اسمه يحيى ؛ولما علم ابن الطفيل بذلك قال:[1]

من بحر **المتقارب**

إنْ يكُ سيّـرَها مُصعَبٌ فإنّي إلَى مُصْـــعبٍ مُـعْتِبُ
أقودُ الكتِيبةَ مُستـلْئمًا كـأنّي أخُـــو عُرّةٍ أجْـــربُ
عَلـيّ دِلاصٌ تخـــيّرتُها وفي الكَفّ ذُو رونَـقٍ مُقْضَبُ
فلَوْ أنّ يحْيىَ به قُـوّةً فَيغْزو مَعَ القَـــومِ أو يرْكَـبُ
ولكنَّ يحْيى كفرْخِ العُقا بِ في الوكرِمُستضْعفٌ أزغبُ

وبرغم كثير من التحديات انتشر حكم الزبيريين أو كاد ينتشر حتى ليقال إن مروان بن الحكم ،نتيجة لذلك ،همّ بأن يبايعه لولا أن منعه عبيد الله بن زياد[2].

ويتحدث السيوطي عن انتشار حكم ابن الزبير في العالم الإسلامي فيقول:(وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ولم يبق خارجا عنه إلا الشام ومصر, فإنه بويع فيهما معاوية بن يزيد فلم تطل مدته, فلما مات أطاع أهلها ابن الزبير وبايعوه)[3].

1-ابن الأثير :الكامل في التاريخ، جـ4،ص250.

2- البغدادي: خزانة الأدب ولب لسان العرب ،تحق: عبد السلام هارون ،نشر مكتبة الخانجي ،ط4 ـ 1997ج4 ، ص43.

3 ـ الطبري: تاريخه ،جـ7،ص34.

وهكذا انقسم أهل الشام فيما بينهم؛ فريق يؤيد ابن الزبير وفريق استمر على ولائه للدولة الأموية ؛واتسعت هوة الخلاف حتى تضارب الناس في المسجد ،فبينما تدعو قَيسٌ لابن الزبير ونصرة الضحاك، كانت قبيلة (كلب) تدعو إلى بني أمية على خلاف بينهم ،فقوم يدعون لمروان وآخرون يدعون لخالد بن يزيد ،وأدركهم الحصين بن نمير عائدا من غزو الكعبة فحذرهم ونصحهم بأن **يقيموا** أميرهم قبل أن يختلط عليهم أمرهم فتكون فتنة عمياء صماء[1].

واستمر ابن الزبير في صراع مرير مع بني أمية إلى أن تغلب عليه عبد الملك بن مروان ؛إذ أرسل له الحجاج في جيش كبير. واستطاع الحجاج القضاء على ابن الزبير بعد حصار طويل لمكة ؛وسبب طول الحصار أن الحجاج كان يريد أن يشرك أهل الأمصار جميعا في دم ابن الزبير ،فجعل على أبواب المسجد رجلا

من أهل كل بلد، فكان عبد الله يحمل في هذه الناحية مرة ،وفي هذه مرة ،فكأنه أسد في أجمة[2].

وقد استمات في هذا القتال حتى أصابه حجرٌ في جبينه من مجانيق الحجاج التي رمى بها الكعبة؛ثم تكالب عليه أهل الشام من كل باب فسقط صريعا في الرابع عشر من جمادى الأولى من سنة73هـ[3].

وبمقتل ابن الزبير انتهت هذه الحركة التي كان لها ـ رغم قصر عمرها ـ أثر كبير في مجريات الأحداث في العالم الإسلامي آنذاك.

1ـ ابن ا لأثير: الكامل في التاريخ ،جـ4،ص61.

2ـ المرجع نفسه ،جـ4،ص148.

3ـ النعمان القاضي: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ،ص254.

ثالثا :الشيعة وفرقها:

يبدو أن جذور هذا الحزب ترجع إلى ما قبل حدوث الفتنة الكبرى؛ فعقب وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان هناك من يرى أحقية عليّ بالخلافة وأن الأمر لا يجب أن ينصرف عن بني هاشم وعن علي بالذات ،فهو ابن عم النبيّ وهو أول من آمن من الصبية، وهو الذي نشأ بحجر الرسول (صلى الله عليه وسلم).

ولكي تتضح الفكرة أكثر لا بد لنا من ذكر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تحتج بها الشيعة لأحقية عليّ بالخلافة والإمامة؛ فمن ذلك حديث يوم الدار حين نزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوله تعالى :(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)[1] ،إذ جمع النبي (صلى الله عليه وسلم)بني هاشم وأنذرهم ثم قال:(أيكم يؤازرني ليكون أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم من بعدي)،فلم يجبه منهم أحد غير علي ابن أبي طالب. فقال (صلى الله عليه وسلم):(هذا أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا)[2].ومن ذلك ـ أيضاـ ما جاء في حديث يوم الغدير بعد حجة الوداع وقد نزل قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)[3]، إذ أخذ النبي بيد عليّ وقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه ،اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه ،

1 – الشعراء: آية 214.

2 – الطبري :تاريخه ،جـ4،ص63.

3 – المائدة: آية 67.

فلفيه عمر بن الخطاب فقال: هنيئا لك يا ابن أبي طالب، أصبحتَ مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة[1] .وكذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) في حديث الثقلين حين قال:(إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا ؛كتاب الله وعترة أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض)[2].

ومما لاشك فيه أن هذه النصوص وغيرها قد كانت المرجعية والشرعية التي أسست الشيعة بنيانها، واستثمرتها في تثبيت قواعدها، فالإمامة عندهم ليست من خاصية العامة، بل هي ركن من أركان الدين ولا يحق لأي من العامة الإفتاء فيه، لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) نصَّ على إمامة علي بن أبي طالب وأوصى بها . وكان ذلك نصا ظاهرا وتعيينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين[3].

وقد عبر عن هذا الاتجاه الهاشمي في فضل علي وسبقه عُتبةُ بن أبي لهب حين بويع أبو بكر بالخلافة فقال:[4] من بحر **البسيط**

ما كُنتُ أحسَب أنّ الأمرَ مُنصرِفٌ مِن هاشمٍ ثُمّ منها عنْ أبي الحَسَنِ
عن أوّلِ النَّاسِ إيمَـانًا وسابِقـــةً وأعْلَمِ الـــناسِ بالقُـــرآن والسُّنَنِ

1 –الإمام مسلم :صحيح مسلم :بعناية محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الفكر ،بيروت 1978،جـ2،ص238.

2– المرجع نفسه :جـ2،ص240.

3- ابن خلدون ،عبد الرحمن: المقدمة ،ص196.

4-أحمد أمين: فجر الإسلام ،جـ1،ص326.

وتظل فكرة أحقية علي بالخلافة قائمة في نفوس بني هاشم وغيرهم طوال خلافة أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) بل إنها ظلت قائمة إلى وقت مبايعة علي ذاته بالخلافة. يقول مصطفى الشكعة:(إنه بدأ فكرة سياسية محضة؛ ذلك أن الذين بايعوا عليا من المسلمين وتعصبوا لإمامته لم يبايعوه ولم يتعصبوا له لأنه وصي النبي ولكن لأنه أحق المسلمين بالخلافة لفضله وعلمه واستقامته وعدله وقوة شخصيته وسابقته في الإسلام ولم يدر بخلدهم قط فكرة الإمامة والوصاية التي ظهرت فيها بعد ذلك على النحو الذي قعدت لها قواعد العقيدة الدينية)[1]ويتطور الأمر بتطور الأحداث بعد مقتل عثمان واشتعال نار الفتنة فيبالغ بعض الشيعة ،وتتحول هذه الفكرة السياسية إلى عقيدة دينية متطرفة يبثها في عقول أذهانهم اليهودي عبد الله بن سبأ ،وهذا ما يؤكده الطبري في قوله:(كان **يهوديا من أهل** صنعاء من أمة سوداء أسلم زمان عثمان ،ثم تنقل في

بلاد المسلمين يحاول ضلالتهم)[2],وكانت بدعته على ثلاثة أصول :فكرة الوصية ،وفكرة الرجعية، تألّبه على عليٍّ ،فقد ذهب ابن سبأ هذا إلى أنه كان لكل نبي وصي، وعلي وصيُّ محمد (صلى الله عليه وسلم).

1 – مصطفى الشكعة :الأدب في موكب الحضارة الإسلامية ،الدار المصرية اللبنانية ط1- 1993،ص79.

2- الطبري: تاريخه ،جـ4،ص222.

وكما كان محمد خاتم الأنبياء فإن عليا خاتم الأوصياء[1].

ومن فكرة الوصية قام الأصل الأول من أصول فرق الشيعة وهو الإمامة ،فقد ذهبوا ،كما يقول الشهر ستاني : إلى أن الإمامة (ليست قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله و لا تفويضه إلى العامة)[2].وعليه فإنهم ذهبوا إلى أن عليّا هو الإمام ،لأنه وصي النبي(صلى الله عليه وسلم)،وأن الإمامة من بعده ستكون في أولاده ،ولا تخرج منهم وإن خرجت فبظلم يكون من غيرهم أو بتقية من عندهم[3].

وأما فكرة الرجعة ،فقد صارت بعد ابن سبأ الذي كان يقول بعد مقتل عليّ:(لو أتيتموني بدماغه سبعين مرة ما صدقنا موته ،ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا)[4].

وقد أصبح القول بالرجعة بعد ابن سبأ من أهم اعتقادات الشيعة ما عدا الزيدية التي لم تُقر ولم تعترف برجعة الأئمة ؛أما غيرها من فرق الشيعة فقد اقتصر بعضهم على القول برجعة الإمام ،وبعضهم بالغ في هذه الرجعة وجعل رجعة الإمام جزءا إلهيا في الإمام[5].

1 – **البغدادي: الفرق بين الفرق المكتبة العصرية ، بيروت ،1995،ص225 .**

2 – **الشهر ستاني: الملل والنحل ،تحق :محمد عبد القادر الناضلي ، المكتبة العصرية بيروت ،ط2- 1994،جـ1،ص146.**

3 – **المرجع نفسه، جـ1،ص146.**

4 – **المرجع نفسه ،جـ ،1ص146.**

5 – **المرجع نفسه ،جـ1،ص180.**

وقد تطورت هذه الفكرة عند فرق الشيعة كما يرى يوسف خليف في قوله عن غيبة الإمام الذي تعده خاتم الأئمة ،وبعودته إلى الظهور في يوم من الأيام

ليحرر العالم ويطهره من المفاسد والشرور ،وليقيم حكم العدل والسلام ،وهي فكرة (الإمام الخفي)أو(المهدي المنتظر)التي سيطرت على أذهان الشيعة[1].

ومن خلال هذه الأصول الثلاثة ،ووفقا لرؤية الشيعة في الإمامة بأبعادها الدينية و الاعتقادية ،تفرعت الشيعة إلى فرق عديدة ذكرها الشهر ستا ني في كتابه (الملل والنحل) وهي: الكيسانية والزيدية الإمامية والغلاة والإسماعيلية؛ وقد تفرعت الكيسانية إلى أربع فرق:الإمامية إلى سبع فرق ،والغلاة إلى إحدى عشرة فرقة[2].وأيًّا كان الأمر فقد تأججت عاطفة الشيعة بعد مقتل علي واستحالت سخطا على الحزب الحاكم(حزب بني أمية).يقول أبو الأسود الدؤلي:[3] من بحر **الوافر**

أَلا أبْلِـغْ مُعـاويـةَ بنَ حـرْبٍ فَلا قرَّتْ عُيـونُ الشَّامِتيـنا
أَفي شَهـرِ الصّيـامِ فَجَعْتُمُونا بِخيرِ الخـلْق طرًّا أجْـمَـعينا
قتلتُمْ خَـيرَ مَنْ ركِبَ المَطايا وخيَّسَها ومَن ركِب السّفـينا
ومَن لبِسَ النّعالَ ومَن حـَذاها ومَن قَرأَ الـمَثَانيَ والمـئينا

1- **يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ،نشر المجلس الأعلى للثقافة ،ط2- 1995،ص286.**

2- **- الشهر ستاني : الملل والنحل ،جـ1،ص146-198.**

3- **أبو الأسود الدؤلي : ديوانه ،صنعة : أبو سعيد السكري ،تحق: محمد حسن آل ياسين ،نشر دار مكتبة الهلال ،ط2 - 1998،ص336.**

- المثاني:الآيات تتلى وتكرر.خيس الشيء: لينه.

ويبدو إصرار الشيعة على أن تكون الخلافة في عقب علي. تقول أم الهيثم ابنة أبي الأسود الدؤلي:[1] من بحر **الوافر**

فلا تشْمَتْ مُعاويةَ بنَ صخرٍ فإنَّ بَقيةَ الخُـلفاءِ فِينَا
وأجْمَعْنا الإمامةَ عنْ تراضٍ إلى ابنِ نَبيّنا وإلَى أخِينَا
ولا نُعطي زِمامَ الأمرِ فِينَا سِواهُ الدّهرَ آخَرَ ما بقِينَا

وكان مقتل الحسين في كربلاء نقطة بارزة في مسار الفكر الشيعي إذ زاد سخطهم على بني أمية ،وطفح وجدانهم بالكراهية لهم ولحكمهم. وللشيعة أشعار كثيرة في رثاء الحسين بن علي ،وكلها تنبض بالحزن والألم والندم على خذلانه ،وهذا ما ستكتشفه الفصول اللاحقة من هذا البحث.

1- يوليوس فلهوزن:الخوارج والشيعة،ترجمة وتحق: عبد الرحمن بدوي، ص188.

الفرق الشيعية ومعتقداتهم الا نحر فية :

شهد القرن الثاني الهجري مذاهب ومعتقدات فاسدة تتنافى والمبادئ الإسلامية ،وكان أصحابها يعملون على تشكيك المسلمين في دينهم وعقيدتهم الإسلامية الصحيحة.

وظل هؤلاء الناقمون على الإسلام يعملون في الظلام ضمن خطة محكمة ،فتوزعوا داخل الفرق الحزبية المتناحرة توزيعا جيدا ،جعلهم يبثون سمومهم ومعتقداتهم الفاسدة بشكل ممتاز ،فما إن قارب القرنُ الأول الهجري على الانتهاء حتى وجدنا العديد من الفرق المذهبية تنادي بآراء ومعتقدات موغلة في الفكر والإلحاد ؛ولم يتوقف هؤلاء عن نشر أفكارهم وآرائهم في عقول الناس ذوي النفوس الضعيفة الإيمان ،بل توجهوا إلى أخطر من ذلك ،وهو تحريف القرآن الكريم، بما يوافق أهواءهم ومصالحهم الشخصية والدينية والسياسية ،وكذلك الحديث النبوي الشريف الذي لم يسلم من ألاعيبهم الحقيرة ،فراحوا يدسون المئات من الأحاديث الكاذبة والباطلة ناسبين إياها للرسول (صلى الله عليه وسلم) ؛وهؤلاء الفاسدون لم يعملوا ضمن حزب واحد ،أو مذهب معين ،بل اندسوا داخل جميع المذاهب والأحزاب التي تولدت منذ مطلع القرن الأول الهجري، فمنهم من عمل ضمن المعتزلة ومنهم ضمن المرجئة وآخرون ضمن الخوارج ،إلا أن الأغلبية انخرطت بين صفوف الشيعة التي كانت من أكثر المذاهب الإسلامية السمحاء [1].

ومن بين الفرق الشيعية الموغلة في الفساد والانحراف:

1 – نبيل خليل أبو حاتم: الفرق الإسلامية فكرا وشعرا، دار أسامة للنشر والتوزيع ،الأردن، ط1،1992،ص88.

(أ) <u>الشيعة الكيسا نية:</u>

نشأت هذه الفرقة على يد كيسان الذي اختلف فيه؛ فمن قائل إنه كان لقبا للمختار بن أبي عبيدة الثقفي زعيم هذه الفرقة ومؤسسها، بينما قال آخرون: بل

هو اسم لِمولًى من موالي الإمام علي ،وهو الذي حرض المختار على الطّلَبِ بدم الحسين (رضي الله عنه).[1]

ومهما كان الخلاف فإن الآراء والمعتقدات الإسلامية المنحرفة التي نادت بها الكيسانية ،تحملها المختار ،وصارت سمة مميزة يمتاز بها، سواء برئ منها أم لم يبرأ.

ومن المعتقدات التي نادت بها الكيسانية وتمسكت بها ،القول بتجويز البداء بالقول بإمامة محمد بن الحنفية[2] .وفكرة البداء هذه يرجعها الشهر ستا ني إلى المختار؛ حيث يقول :(إن المختار صار إلى القول بالبداء لأنه كان يدعي علم ما يحدث من الأحوال إما بوحي يوحى إليه وإما برسالة من الإمام ؛فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة فإنّ كونَه جعله دليلا على صحة دعواه، وإن لم يوافق، قال قد بدا لربكم)[3].

1ـالبغدادي:الفرق بين الفرق،ص27.-البداء :بمعنى بعدالخفاء والعلم بعد الجهل.

2ـ نبيل خليل أبو حاتم : الفرق الإسلامية فكرا وشعرا ،ص106.

3ـ الشهر ستا ني :الملل والنحل ،جـ1،ص151.

بينما يؤكد الطبري في تاريخه أن الذي كان يقول بالبداء هو أبو نوف .ومن المعتقدات التي نادت بها الكيسانية أيضا فكرة المهدي المنتظر مؤكدة المهدي وليس المختار، وأن ابن نوف هذا كان يدعي علم الغيب ،وقد تبرأ المختار منه[1].وأن محمد بن الحنفية هذا هو المهدي المنتظر ،وذلك بعد علي والحسين المهديين .وفي اعتقادهم أنهم حولوا هذه اللفظة التي كان يطلقها الرسول (صلى الله عليه وسلم) على صحابته رضوان الله عليهم بقوله:(عليكم بسنتي وسنن الخلفاء المهديين) إلى مصطلح يحمل معنى آخر يوافق أهواءهم. ومن ثم جعلوا محمد بن الحنفية موصىً به من الرسول (صلى الله عليه وسلم) كوصيته بمهديّه عليّ والحسين رضي الله عنهما ؛وصار هذا الاعتقاد من العقائد الأساسية لمعظم فرق الشيعة ، ما عدا الزيدية التي لم تقر ولم تعترف بهذا الاعتقاد الفاسد الذي لا مبرر له.

وما يلاحظ على المهدي عند الكيسانية أنه لن يموت ،وأنه حيٌّ وسيعود ،ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.[2]

1- الطبري :تاريخه، جـ6،ص85.

2- أحمد أمين :ضحى الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ،ط10 -1999،جـ3،ص327.

(ب) الشيعة الزيد ية:

وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم(80ـ 121هـ)[1] الذي خرج على الدولة الأموية في أيام هشام بن عبد الملك الذي عرف بالتجبر في الأرض والفسق والفجور.

وكان خروجه هذا كخروج الحسين من قبل تحت إلحاح شيعة الكوفة ،ولم يستفد زيد من الفجائع التي حلت بأجداده من قبل على أيدي أهل الكوفة ،وبرغم النصائح التي وجهت إليه للعدول عن قراره بالسير إليهم إلا أنه رفضها ،وبايعه أهل الكوفة الذين كان عددهم يقارب الخمسة عشر ألفا ،وكان شعاره في خروجه(إني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه وإحياء السنن وإماتة البدع ،فإن تسمعوا يكن خيرا لكم ولي ،وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل)[2].وما إن دارت رحى الحرب حتى وجد نفسه وحيدا مع بعض أنصاره؛ أما الذين بايعوه فقد هربوا وتركوه قتيلا كما تركوا الحسين يتخبط في دمائه من قبل؛ وتسلم ولده يحيى الإمامة من بعده وسار إلى خراسان وجمع حوله أعدادا كبيرة من شيعتها إلا أن واليها نصر بن سيار استطاع قتله .

وفي أثناء خروج ,زيد حدث الانقسام الثاني للشيعة, فبعد أن كانوا

1ـ سعد رستم :الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البداية ، تحق: إسماعيل الكردي ، الأوائل للنشر والخدمات الطباعية، ط8، 2010 م،ص2.

2ــ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

صنفين هما الكيسانية والزيدية صاروا ثلاثة أصناف،و الثالث فهم الإمامية؛ حيث يروي البغدادي أن الذين خرجوا مع زيد بن علي قالوا له:(إننا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك عليًّا، فقال زيد إني لا أقول فيهما إلا خيرا ،وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا...ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم رفضتموني. ومن يومها سموا بالرافضة).[1]

وهكذا لم يبق مع زيد حينها إلا جماعة قليلة استطاع والي الكوفة (يوسف بن عمر الثقفي) أن يقضي عليه وأتباعه في سنة121هـ ،ودفنه بعض أنصاره في مكان سري ليلا ،إلا أن أعداءه اكتشفوا قبره، فنبشوه واستخرجوه ،وصلبوه عريانا على جذع نخلة ،وبقيت جثته مصلوبة مدة طويلة من الزمن.

وهذا القول الذي نادى به زيد كان اتجاها جديدا يعارض فيه اتجاه جمهور الشيعة الذين ذهبوا ،على اختلاف فرقهم، إلى تكفير أبي بكر وعمر ،رضي الله عنهما، لاعتقادهم بأنهما اغتصبا الخلافة من علي (كرم الله وجهه) الذي كان يستحقها في نظرهم.

ومن هنا أصبحت الزيدية تنادي ،تبعا لمؤسسها زيد، أن عليا كان أولى الناس بعد رسول الله(صلى الله عليه وسلم) بالناس ،لفضله وقرابته وعلمه،فهو أفضل الناس جميعهم بعده،وأشجعهم وأسخاهم،ولكنهم أجازوا

---

1 البغدادي:الفرق بين الفرق ،ص25.

- مع ذلك – خلافة أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) ورأوهما أهلا لذلك المكان والمقام ،واحتجوا في ذلك بأن عليّا سلم لهما الأمر ورضي بذلك, وبايعهما طائعا غير مكره ،وترك حقه لهما وقالوا: فنحن راضون بما رضي ، مسلمون لما سلم ، لا يحل له لنا غير ذلك ،ولا يسمع أحد إلا ذلك ،وأن ولاية أبي بكر صارت رشدا وهدى لتسليم عليّ له ذلك ورِضاه ،ولولا رضاه وتسليمه لكان أبو بكر مخطئا ضالا هالكا.

وهكذا جاءت قاعدتهم الأساسية وهي: جواز المفضول مع وجود الأفضل.

ولا شك أن زيدا قد خالف الشيعة الكيسانية الإمامية في كثير من المسائل وأولها مسألة الإمامة ؛فالرافضة(الكيسانية الإمامية) قالت إن الإمامة بالنّصِّ والتعيين ،وليس بالاختيار والوصف ،كما قالت الزيدية الذين ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنهم ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم (إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطميٍّ عالمٍ شجاعٍ سخيٍّ خرج بالإمامةِ إمامًا واجبَ الطاعة, سواء أكان من أولاد الحسن أم أولاد الحسين)[1]. كما أجاز زيد إمامة إمامين في وقت واحد ،بشرط أن يكون كل إمام منهما من ناحية ،وأن يجمع الصفات المطلوبة في الإمام كالعلم، والمعرفة ،والشجاعة, وصارت هذه الخطة منهجا للزيدية فيما بعد.[2]

وعلى أساسها جوز بعضهم إمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابنيْ عبد الله بن الحسين بن الحسن اللذين خرجا في أيام المنصور وقُتلا على ذلك.[3]

1- الشهرستاني: الملل والنحل ،جـ1،ص158.

2- المرجع نفسه ،جـ1،ص29.

3- المرجع نفسه ،جـ1،ص15.

وكان من آرائه أيضا(تجويز إمامة المفضول مع قيام الأفضل. فقال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوّضت أبا بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها)[1].

وعلى هذا لم يكفر زيد أحدا من الصحابة ،ولم يتبرأ منهم ،ولم ينكر تولي الشيخين اللذين كانا يكفرهما الرافضة. والشيء الملاحظ على آراء زيد هذه التي نادى بها ،أنها كانت موافقة لمذهب المعتزلة. فالقول مثلا بإمامة المفضول مع قيام الأفضل من الآراء التي اتفقت عليها الزيدية والمعتزلة ؛وهذا ما يؤكده الأشعري في قوله:(فقد اتفقت الزيدية وجمهور المعتزلة بأفضلية الإمام علي رضي الله عنه على بقية الصحابة وجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل).[2]

ومن الآراء التي وافقت عليها كل من الزيدية والمعتزلة، كذلك،مرتكب الكبيرة ؛فأصحاب الكبائر(كلهم معذبون في النار خالدون فيها مخلدون أبدا ،لا يخرجون منها ولا يغيبون عنها)[3] (ولا يغتفر لهم بلا توبة)[4]

ومن ثم يبدو لنا أن معظم هذه المعتقدات التي نادى بها زيد موافقة لآراء المعتزلة .

1- المرجع السابق نفسه، جـ1،ص15.

2- أبو الحسن الأشعري : مقالات ا لإسلاميين واختلاف المصلين ، تحق: محمد محي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية ،صيدا ،بيروت، 1990م، جـ1،ص134 .

3- المرجع نفسه، جـ1،ص 149.

4- البغدادي: الفرق بين الفرق، ص94.

أما المعتقدات التي لم يؤمن بها زيد ،ولم تؤمن بها الزيدية من بعده ،كالقول بالرجعة وانتصار المهدي ؛ فقد قالوا:(لا ننكر لله قدرته ولا نؤمن بالرجعة ولا نكذب بها)[1] ،وهذا ما حمل الدكتور محسن فياض على القول: (إن الزيدية قد توقفت في أمر الرجعة، فلم تقرها ولم تنكرها)[2]،ولكن هذا القول لا نستطيع بواسطته الحكم على أن الزيدية قد وافقت الشيعة الرافضة في هذا الاعتقاد، كما أنه لا يعني أبدا أن فرقة من فرق الزيدية قد مالت إلى هذا الاعتقاد فنعمّمه على جميع الزيدية .

وقد انقسمت الزيدية بعد مقتل زيد إلى عدة فرق، وصار لكل فرقة اعتقاداتها الخاصة ،ومن بين هذه الفرق(الجارودية) أتباع أبي الجارود،

و(السلمانية) أو(الجريرية) أتباع سليمان بن جرير، و(البترية) أتباع رجلين أحدهما الحسن بن صالح بن حيّ ،والآخر كُثيِّر المِنْواء الملقَّب بالأبتر.[3]

1-النوبختي: فرق الشيعة ، تحق: عبد المنعم الحقي ، دار الرشاد ط1- 1992،الدار البيضاء ،المغرب ،ص37.

2-محسن فياض : أثر التشيع في شعر العصر العباسي الأول ، مطبعة النعمان النجف، 1979،ص33.

3-البغدادي :الفرق بين الفرق ،ص22- 24.

(ج) الشيعة الإمامية:

أصل الشيعة الأمامية هو ذلك الجناح من الشيعة الأوائل الذين كانوا يرون أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نصَّ على استخلاف علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)،وأظهر ذلك وأعلنه ،وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ولذا فإن عليا في عقيدتهم إمام مفروض الطاعة من الله ورسوله بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) مباشرة ،وواجب على الناس القبول منه ،والأخذ عنه، ولا يجوز لهم غيره...

والنتيجة الطبيعية لذلك أنهم يرون ضلال وهلاك من تولاها غاصبا من الخلفاء قبله ،كما يرون كفرَ وضلالَ من خرج عليه، وشهر بوجهه السلاح, وينساق أصحاب هذا الاتجاه من الشيعة الإمامية بعد استشهاد الحسين إلى ابنه عليّ بن الحسين الذي اشتهر باسم زين العابدين ،أو الإمام السجاد؛ حيث اعتزل السياسة لعدم ثقته بالأنصار بعد كل الخذلان والخيانة والكذب ،وتكالب الأعداء والبلاوى التي مُني بها والده الحسين، وقبله عمه الحسن ،وجده عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا والذين ماتوا كلهم قتلا، وبعد ما رأى كذلك من الفجائع القاسية المريرة التي حلت بآل البيت وأنصارهم سواء في كربلاء أو في الحرة وغيرها...فانكب زين العابدين على العبادة حتى رُوي أنه كان يصلي في

اليوم والليلة ألف ركعة، وكان بكاء لله عز وجل ،وصاحب أدعية كانت من أروع نماذج المناجاة لله، وقد دونها الشيعة عنه ـ فيما بعد ـ في صحيفة عرفت باسم الصحيفة السجادية ،أو زبور آل محمد ،ولا تزال موجودة إلى اليوم.[1]

وبعد رحيل الإمام السجاد انتقلت الإمامة إلى ابنه محمد بن علي المكنَّى بأبي جعفر الباقر ،وذلك لكثرة علمه، وانتقلت الإمامة بعد وفاة الباقر[2] ـ بوصية منه ـ إلى ابنه البكر عبد الله جعفر الصادق والذي تنسب الشيعة الإمامية إليه اليوم، فيقال الشيعة الإمامية الجعفرية وذلك أن أكثر فِقهِهِم ورواياتهم منقولة عنه.

وبوفاة عبد الله جعفر الصادق افترقت الامامية إلى فرقتين: فرقة قالت بإمامة إسماعيل جعفر الصادق الذي توفي في حياة والده وأطلق عليها الإسماعيلية ،وفرقة قالت بإمامة موسى الكاظم وأطلق عليها الإثنى عشرية ،ومن ثم انقسمت الامامية إلى فرق كثيرة يصعب على الباحث الدارس معرفتها ومعرفة معتقداتها .والحق أن الإنسان يتوه بين فرق الامامية وهم أكثر فرق الشيعة عددا.

1ـ سعد رستم: الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات ،ص216 ـ 217.

2 ــ ابن منظور :لسان العرب ،مكتب تحقيق التراث ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط1 ـ 1993،مادة (بقر) لأن أصل البقر :الشق والفتح والتوسعة.

ومن فرقهم كما قال البغدادي :(الكاملية ،المحمدية ،والباقرية الناووسية ،السمطية أو الشميطية، العمارية، الاسماعيلية، المباركية، الموسوية، القطعية، الاثنا عشرية،الهاشمية،الزرارية،اليونسية والشيطانية).[1]

وهذه الفرق جميعها قد عدها البغدادي من الفرق الإسلامية ما عدا فرقة (الكاملية) فقد عدها من الفرق الضالة المنحرفة ، ويضيف البغدادي في قوله إن بشار بن برد ينتسب إلى هذه الفرقة[2]؛ أما أكبر هذه الفرق فهي الإسماعيلية أتباع إسماعيل بن جعفر.

1- البغدادي : الفرق بين الفرق ،ص38.

2- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

(د) الشيعة الإسماعيلية:

الاسماعيلية فرقة من الشيعة تفرعت عن حركة التشيع ،وظلت تنمو في اتجاهات متعددة عقائديا ،وسياسيا ،واجتماعيا ،بشكل متباين ،وقد تميز كل اتجاه منها باستقلال ذاتي ،مع ارتباطه بجذوره التاريخية التي يتفق فيها مع الأمامية الاثنا عشرية في أصل موضوع الإمامة ،والوصية ،وصفات الإمام،وتسلسل الأئمة حتى الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق. ظهرت هذه الفرقة بعد وفاة الإمام جعفر الصادق(148هـ).[1]

وذلك بسبب خلاف وقع حول من سيخلفه في الإمامة. وكان جعفر قد نص على إمامة ولده البكر: إسماعيل من بعده ،لكن إسماعيل هذا توفي في المدينة المنورة في حياة أبيه ــ في أكثر الروايات ــ سنة 143هـ ،ودفن في البقيع. ونُظم بوفاته محضر شهده أميرُ المدينة. وقد اختار الإمام جعفر للإمامة ابنه الثاني موسى الكاظم(127- 183).[2]

وقبل جمهور الشيعة بهذا الترتيب, وسار عليه, ولكن فئة منهم امتنعت ولم تسلم بصحة نزع الإمامة من إسماعيل, أو انتقالها إلى موسى؛ لأنه لا يجوز انتقال الإمامة من أخ إلى أخيه بعد الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا ،ويكون انتقال الإمامة إلى الأبكار من الذكور ،وبذلك يكون الإمام ــ بعد وفاة إسماعيل- ابنُه محمد **وورثته** من بعده, وهؤلاء هم الإسماعيلية والتي تعد من الفرق الباطنية لإستنادها إلى التأويل والفلسفة, فهي فرقة شيعية إمامية علوية فاطمية باطنية.[3]

1ــالمرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها..

2ــ المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

3 -سعد رستم :الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات ،ص281.

أما النو بختي صاحب كتاب فرق الشيعة فيسميها(الخطابية)[1] ،وذلك نسبة إلى أبي الخطاب الأجدع الذي كان صديقا لإسماعيل؛ إلا أن الدكتور محمد كامل حسين نجده لا يوافق الشهر ستاني في تسميتها بالباطنية فيقول:(لقد أخطأ القدامى في إطلاق لقب الباطنية على فرقة الإسماعيلية لأن هذه الفرقة تدين بالباطن. والإسماعيلية يقولون بالباطن حقا ،ولكنهم يقولون بالظاهر أيضا).[2]

وسواء لقبت الإسماعيلية بالباطنية أو الخطابية أو لم تلقب ،فإنها ظلت حتى أواخر القرن الثالث الهجري لا يُعرف عنها شيءٌ وظلّ عملها سرا حتى يئس أصحاب الفرقة الإثنى عشرية من انتظار مهديهم أبي الحسن العسكري الذي لم يخرج من السرداب ،فاتجهت أنظار الشيعة الإمامية إلى الفرع الثاني وهم الإسماعيلية. ومن الاعتقادات التي نادت بها الإسماعيلية هو اتخاذهم الأعداد رموزا وبخاصة العدد سبعة؛ حيث قالوا:(بعد موت إسماعيل السابع التام الذي تم به دور الأئمة السبعة ،ثم ابتُدئ منه بالأئمة المستورين).[3]واعتقادهم هذا يخالف اعتقاد الإثنى عشرية الذين ذهبوا حتى الإمام الثـــاني عشـــر.

وقالت الإسمـــاعيلية أيضا :(إن الأمـــــــة تدور أحكامهم على سبعة

---

1 – التوبختي :فرق الشيعة،ص58.

2-محمد كامل حسين :الإسماعيلية تاريخها نظمها ، دار الكتب والوثائق العراقية 1959،ص153.

3-الشهرستاني : الملل والنحل ،جـ1،ص199.

كأيام الأسبوع **والسماوات السبع والكواكب السبع.**[1]

وخلاصة القول مما ما فات أن محور العقائد الشيعية يرتكز حول الإمامة والإمام ،وكما يقول جولد تسيهر: (وليس الاعتراف بالإمام في مذهب الشيعة أمرا تكميليا لصحة العقيدة ،بل هو جزء جوهري من صميم القواعد الإيمانية ،لا ينفصل عن أرفع الحقائق الدينية).[2]

1ـ المرجع السابق نفسه ،جـ1،ص199.

2ـ جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام ،نشر دار الكتب الحديثة مصر، 2008 م ،ص181.

رابعا : الخوارج:

كان التحكيم الذي وافق عليه عليّ بن أبي طالب(كرم الله وجهه)،مرغما، سبباً في غضب جماعة من أنصاره الذين خرجوا عنه إلى حوراء ,ومن العجيب أن يخرجوا عنه وهم الذين أجبروه على قبول التحكيم .(فهم الذين حملوه على التحكيم أولا ،وكان يريد أن يبعث ابن عباس(رضي الله عنه) فما رضي الخوارج بذلك وقالوا: هو منك وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري على أن يحكم بكتاب الله تعالى)[1]، وحاول عليّ بن أبي طالب مصالحتهم للرجوع إليه ليقاتلوا معه ضد معاوية إلا أنهم رفضوا ذلك على شرط أن يعلن التوبة ،لاعتقادهم أنه قد كفر لقبوله تحكيم الرجال في كتاب الله، أي أن الباعث على خروجهم كما يقول فلهوزن هو:(التوبة عندهم إنما تكون في الأفعال. وبهذا طالبوا عليا وسائر القوم أن يتوبوا بالأفعال)[2]،وصاغ واحد منهم ـ وهو غير معروف ـ هذا المعنى في كلمة(لا حكم إلا لله) فإذا بها تسري سريان البرق وتتجاوب بها الأنحاء لتصبح شعار المتخرجة،[3]حيث ظل هذا الشعار سلاحا يشهرونه في وجه عليّ ،ويعارضونه به في الصلاة والخطبة ، وقد فهم بعض منهم هذه العبارة على أنْ لا حاجة للأمة إلى إمام ،وإنما على الناس أن يعملوا بكتاب الله من أنفسهم .

1- الشهرستاني :الملل والنحل ،جـ1،ص.115

2– يوليوس فلهوزن ،تحق: عبد الرحمن البدوي: الخوارج والشيعة ،ص27.

3 – النعمان القاضي: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ،ص160.

وقد رُوي أنّ عليا بن أبي طالب ،لما سمعهم يقولون:(لا حكم إلا لله) .قال: (كلمة حق يراد بها باطل, نعم؛ إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله, وإنه لابد للناس من أمير برّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن ،ويستمتع فيها الكافر ،ويبلغ الله فيها الأجل, ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتُأمَنُ به السبل ،ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح برٌّ ويستراح من فاجر).[1]

وقد قال ابن أبي حديد: (إن الخوارج كانوا في بدء أمرهم يقولون ذلك ويذهبون إلى أنه لا حاجة إلى الإمام ،ثم رجعوا عن ذلك القول لمَّا أمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسي).[2]

و في كل الأحوال؛ فإن جمهور الخوارج قد اتفقوا على النظريتين السابقتين ،و تفرقوا إلى فرق بلغت عشرين فرقة، كل فرقة تخالف الأخرى في بعض تعاليمها، **و** هذا واضح من الطبيعة العربية و البدوية التي ينتمون إليها ،فسرعان ما يختلفون و ينضوون تحت ألوية مختلفة، يضرب بعضها بعضا، و لو اتحدوا لكونوا قوة في منتهى الخطورة على الدولة الأموية، فكانوا فرقا و طوائف تختلف حينا و تتماسك أحيانا أخرى.

وعلى الرغم من كثرة فرقهم إلا أنهم يجمعون على أصول مذهبهم، حيث يروي لـــنا البغـدادي أن الذي يجمــع الخـــوارج على اختـــلاف

---

1 - سعد رستم : الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات ،ص201.

2 – ابن أبي حديد :شرح نهج البلاغة ، تحق: محمد ابراهيم ، دار الكتاب العربي ،ط1 م 2007 ،جـ1،ص215 .

فرقهم هو :تكفير عثمان وعلي وأصحاب الجمل والحكمين، ومن رضي بالتحكيم وصوّب الحكمين أو أحدهما، ووجوب الخروج على السلطان الجائر، ".[1]

وأما رأيهم في قول مرتكب الكبيرة فيرى الأشعري: " أن الخوارج أجمعوا على أن كل كبيرة كُفر ،إلا (النجدات) فإنها لا تقول بذلك"[2]،وهذا يخالف قول الكعبي في: "أن الخوارج أجمعت تكفير مرتكب الكبيرة"[3].

و بالمقابل فإن البغدادي نجده يصوب رأي الأشعري على الكعبي بقوله: "الصواب ما حكاه شيخنا أبو الحسن عنه ،و قد أخطأ الكعبي في دعواه إجماع الخوارج على تكفير مرتكبي الذنوب منهم".[4]

و مهما يكن من هذا الاختلاف الواضح بين هؤلاء العلماء الأجلاء، فإن هذا القول صار فيما بعد من أهم المسائل التي اعترضت المذاهب الإسلامية ،و تجادلوا حولها ،و تناقشوا فيها.

كما أن هذه المسألة هي العقيدة الأساسية التي خرج عليها الخوارج وكفّروا عليّاً ،و الحكمين ،و من اتفق معهم. وهم في هذا الاعتقاد يخالفون سائر المذاهب الإسلامية ما عدا الشيعة الذين اتفقوا مع الخوارج في اعتبار مرتكب المعاصي كافرا مخلدا في النار.

1- **أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين ،جـ1 ،ص168.**

2- **البغدادي، الفرق بين الفرق ،ص 55.**

3- **المرجع نفسه ،ص55.**

4- **المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.**

و أما المعتزلة فقد قالوا إن مرتكبها في منزلة بين منزلتين لا هو كافر و لا هو مؤمن، و أما المرجئة فقد أرجأت الحكم فيها إلى يوم القيامة.

و إلى جانب هذه المعتقدات الأساسية نجد المسائل الفرعية التي اختلف حولها الخوارج، و هي كثيرة بكثرة فرقهم، فالأزارقة ،أتباع الأزرق، ذهبوا إلى معتقدات في مجملها " تكفير القعدة و إباحة قتل أطفال المخالفين والنسوة معهم، و أن أطفال المشركين في النار مع آبائهم، و أن التقية غير جائزة في قول و لا عمل، و أن مرتكب كبيرة من الكبائر كافر ملة"[1]. ومن معتقداتهم أيضا: " أن من ثقل عن هجرته فهو منافق،و استحلال دماء أهل المقام و أموالهم في دار التقية، و برؤوا ممن حرمها، و تولوا أصحاب الحدود و الجنايات من وافقهم، أما مرتكب الذنوب فقد قالوا لا ندري لعل الله يعذب المؤمنين بذنوبهم، فإن فعل يعذبهم في غير النار بقدر ذنوبهم، و لا يخلدون في العذاب ثم يدخلهم في الجنة".[2]

و من أقوال "النجدات" نلاحظ أنهم كانوا يميلون إلى الاعتدال وليس إلى التطرف كما ذهبت إليه الأزارقة، فمرتكب المعاصي عند الأزارقة كافر مخلد في النار، أما عند النجدات فلم يقولوا بتكفيره، و تركوا أمره لله ليحكم فيه القيامة ، و هم في هذا الاعتقاد يوافقون المرجئة[3].

1- **الشهرستاني : الملل والنحل ،جـ 1،ص125.**

2- **أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ،جـ1،ص175.**

3- محمود سليم محمد هياجنة :الخطاب الديني في الشعر العبا سي ، عالم الكتب الحديثة، مصر، 2009،ص76.

و هناك آراء نادت بها "النجدات": "أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط، و إنما عليهم أن يناصفوا فيها بينهم، فإن رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه فأقاموه جائز"[1]،و قولهم هذا أضافوه إلى أقوال جمهور الخوارج الذين رأوا أن الإمامة حق لكل شخص من المسلمين و لو كان حبشيا ،بشرط أن يكون تقيا ورعا. و هذا الإمام إذا جار ،وجب الخروج عليه.

واعتقاد الخوارج في الإمامة مخالف أولا لأهل السنة الذين أوجبوا الإمامة في قريش، و أنها لا تتعداهم إلى سواهم، و ثانيا ،قد خالفوا بذلك الشيعة الذين قالوا إن الإمامة بالنص و التعيين، لا بالاختيار والوصف، و أن أهل البيت أحقُّ بها.

و من الخوارج العجاردة أتباع عبد الكريم عجرد. و هم أكثر الخوارج فرقا فمنهم "الخازمية و الشعيبية و المعلومية و المجهولية ،و أصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها، و الصالقية و الأخنسية...الخ"[2].

ومن الفرق التي انشقت أيضا عن الخوارج : الفرقة الإباضية أتباع عبد الله بن إباض الذين انقسموا إلى عدة فرق منها "الحفصية والحارثية واليزيدية"[3] . و يجمعهم هذا القول:

"إن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر؛ كُفْر نعمة،لا كفر الملة، و توقفوا ،

1-البغدادي : الفرق بين الفرق ،ص 54-55.

2-الشهرستاني :الملل والنحل ،جـ1،ص12.

3-المرجع السابق نفسه ،جـ1 ،ص138.

في أطفال المشركين و جوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام، وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضلا"[1].

و من المعتقدات التي نادت بها الإباضية أنهم مسالمون معتدلون، وهذا ما يؤكده الدكتور حسن إبراهيم حسن في قوله: "و الإباضيون يختلفون عن غيرهم من فرق الخوارج في أنهم لم يُغلوا في الحكم، بل قالوا إنه يحل التزوج منهم ،و يتوارث الخارجي و غيره، و هم إلى المسالمة أميل ،حتى قالوا إنه لا يحل قتال غير الخوارج غيلة ،و لا سبيهم إلا بعد الدعوة، و إقامة الحجة"[2].

1- المرجع السابق، جـ1،ص138.

2- حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية، ط15 - 2010،جـ1،ص409.

خامسا: المرجئة:

فرقة المرجئة هي إحدى الفرق الإسلامية الكبرى ظهرت في بداية العصر الأموي في المدينة المنورة, ويظهر أن رجالها الأولين كانوا من الغزاة الذين عادوا إلى المدينة إثر مقتل عثمان (رضي الله عنه) ،فوجدوا المسلمين يقتتلون فهالهم ذلك ،فآثروا العزلة ،وفضلوا الحياد. ومما يدل على هذا قول ابن عساكر عنهم :(إنهم همُ الشكاك الذين شكوا وكانوا في المغازي، فلما قدموا المدينة بعد مقتل عثمان ،وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحد ليس بينهم اختلاف ، فقالوا: تركناكم وأمركم واحد ليس بينكم اختلاف ،وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون ،فبعضكم يقول :قُتِل عثمان مظلوما ،وكان أولى بالعدل وأصحابه ،وبعضكم يقول: كان عليّ أولى بالحقّ، وأصحابه كلهم ثقة ،وكلهم عندنا مصدق, فنحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما ،ولا نشهد عليهما ونرجئ أمرهما إلى الله حتى يكون الله هو الذي يحكم بينهما)[1].

ويبدو أن المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه المرجئة في هذا النص لابن عساكر واضح، وهو إرجاء الناس إلى الله يوم القيامة ،وترك الحكم له وحده، ويظهر أنه مبدأ يدعو إلى المسالمة والتسامح[2] ،والابتعاد عن الخلافات وترك المنازعات في الأمور السياسية والدينية ،وبخاصة ما يتعلق منها بالأحكام الأخروية من إيمان ،وكفر وجنة ونار ،وما يتعلق كذلك بأمر علي وعثمان وطلحة والزبير ،وعائشة أم المؤمنين وغيرهم ،وما جرى بين علي ومعاوية من

1- ابن عساكر :التاريخ الكبير ، تحق: عبد القادر أفندي بدران ، طبع روضة الشام ، دمشق 1329م،جـ20،ص 577.

2- النعما ن القاضي: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ،ص264.

أحداث، إلا أنه من الملاحظ أنه بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) وبعد ظهور الخوارج والشيعة ،أخذ الإرجاء يتطور تدريجيا ؛فظهر الخلاف في حكم مرتكب الكبيرة ،ومنزلة العمل من الإيمان ،ثم ظهرت جماعة دفعوا بالإرجاء إلى الحد المذموم والغلو, فبدأ الإرجاء يتكون على صفة مذهب ,وقرر هؤلاء أن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان ،وأنه لا تضر مع الإيمان معصية, ولا تنفع مع الكفر طاعة, وأن الإيمان في القلب ،فلا يضر الشخص أي شيء بعد ذلك ؛ولو تلفظ بالكفر والإلحاد فإنه يبقى إيمانه كاملا لا يتزعزع. وهذا بلا شك غلو وتطرف مذموم. وأهل هذه المرحلة ممقوتون, ومذهبهم يفضي إلى درجة الإباحية والتكاسل، والتعويل على عفو الله وحده دون العمل لذلك، وهو أمر تأباه الشريعة الإسلامية.

وكان أول من تحدث في الإرجاء بهذا المفهوم ،هو الحسن بن محمد بن الحنفية ؛حيث كتب في ذلك رسالة ثم ندم عليها ،وكان يتوقف في عثمان وطلحة والزبير فلا يتولاهم ولا يذمهم ،ولعله يطرح فكرة الإرجاء إذ كان يرجو إيقاف الهجمة الهمجية على أمير المؤمنين (عليّ)؛ حيث كان خطباء بني أمية ووعاظهم يسبونه على المنابر أعواما عديدة ،فأراد الحسن بن محمد ابن الحنفية توقيف هذا السبَّ ،وهذه الخطب العدوانية المغرضة. وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن حزب المرجئة هو حزب ديني دعا إلى ظهور هذا التطرف المذهبي الذي أدى إلى تلك الأحكام الجائرة من تكفير الخلفاء والصحابة والمسلمين[1]،وقد عاصرت المرجئة الفرق الإسلامية الكبرى كالخوارج والشيعة والسنة, فوجدت الخوارج يكفرون عليا وعثمان والقائلين بالتحكيم.

---

1 - عبد الحكيم بلبع :أدب ا لمعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري ،مكتبة نهضة مصر، 1959،ص39.

و إنما كان الأمويون ينابذون الشيعة ، ويقاتلوهم لأنهم في نظرهم مخطئون. وهكذا فكل طائفة تدعي أنها على صواب وأن ما عداها فكافر وفي ضلال مبين، فظهرت المرجئة تسالم الجميع ولا تكفر أحدا؛ حيث تركت أمر الجميع إلى الله سبحانه وتعالى ,فهو وحده من يعاقب ومن يسامح على أعمال البشر جميعهم يوم القيامة. ومن هذا الاعتقاد الحيادي للمرجئة ولد الموقف السياسي المحايد من جميع الطوائف المخالفة لهم ،من شيعة ومعتزلة وخوارج وسنة. وقد قام الفكر المرجئ على أصلين أو على رأيين أساسيين :

1-فرأي أوَّلُ يدعو إلى أن الإنسان قاصر عن تشخيص المصيب والمخطئ بل يترك أمره إلى الله عز وجل.

2-ورأي ثانٍ يعرب عن الشهادة اللفظية بالتوحيد أو المعرفة القلبية ، وهي كافية لدخول الإنسان في عداد المؤمنين ،فيحرم قتاله والمساس بكل ما يحيط به. فساعد هذا الاعتقاد على خدمة السياسة الأموية والعباسية ،وأقر مشروعيتها، فترك الحكام فيما

اقترفوه من الأحداث الجسام ،والمظالم العظام، إلى الله عز وجل دون إعلان الثورة والمعارضة والمطالبة بالتغيير والإصلاح.

وكان لشعراء المرجئة الدور البارز والفعال في جذب العواطف وتحريك الأحاسيس لبث عقائد الإرجاء ,ففتحوا بذلك بابا واسعا من أبواب الأدب وبخاصة في العصر العباسي ،وعبروا عن رجائهم وطمعه في عفو الله عن ذنوب العاصين حتى مع عدم التوبة .ومن شعرهم في هذا المجال ما قاله أبو نواس[1].

من بحر **الخفيف**

أيّها الغافلُ المقيمُ على اللّهو ِ ولا عُـــذرَ فـــي المَقــام لِساهِ
لا بأعْمـــالنا نُطيــقُ خـــلاصا يوم تبدو السّماء فوقَ الحَيــاةِ
غير أنّي على الإساءةِ والتّفــ ـــريط راجٍ لحُسن عفوِ الإلـــهِ

ونقرأ لشاعرهم الشهير ثابت قطنة هذه الأبيات من قصيدة له جدّ رائعة تعد وثيقة قيّمة في الإرجاء ،وبيان معتقدات المرجئة ؛حيث يقول[1].

من بحر **البسيط**

يا هِندُ فاستَمعِي لِي إنّ سِيرتَنا أنْ نعبُدَ اللهَ لمْ نُشرِك به أحَـدا
نُرْجِي الأمُور إذا كانتْ مُشبّهـةً ونَصْدُقُ القولَ فيمَنْ جارَ أو عنَدا
كلُّ الخَوارج مُخْطٍ في مَقَالتِـه ولَو تعبّـــدَ فيما قال واجتَـهدَ ا
أمَّا عَلـــيٌّ وعُثْـــــمانٌ فإنّهُـما عبدانِ لم يُشــركا بالله مذْ عبَـدا
وكانَ بينَهــما شَغَبٌ وقد شــهِـدا شقَّ العَصا وبعَينِ اللهِ ما شــهِـدا
يُجزى عَليٌّ وعثمــانٌ بســعْيِهِـمَا ولسْتُ أدْري بِــحقٍّ أيـــــةً ورَدا

والمرجئة انقسمت إلى أربع فرق:[2]

الفرقة الجهمية:

وتتكون من أتباع (جهم بن صفوان) ويطلق عليهم مرجئة أهل خراسان.

الفرقة الغيلانية:

وتتكون من أصحاب (غيلان بن مروان)، وينسبون إلى أهل الشام.

الفرقة الماصرية:

وتتكون من أتباع (عمرو بن قيس الماصر) ،وينسبون إلى العراق،ومنهم (أبو حنيفة) ونظراؤه.

1– أبو نواس: ديوانه ،شرح وضبط وتقديم :علي فاعور ،دار الكتب العلمية بيروت ط2 - 2002، ص195.

1– أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ،تحق: لجنة من الأساتذة ،دار الثقافة ،بيروت، لبنان ،ط 5 – 1981 م، جـ14 ،ص 254-255.

2-البغدادي:الفرق بين الفرق،ص178.

الفرقة البصرية:

وتتكون من أصحاب الحديث ومنهم (سفيان بن سعيد الثوري) ،و(شريك بن عبد الله) ،وابن أبي ليلى)، (ومحمد بن إدريس الشافعي) ،(ومالك بن أنس), ونظراؤهم من أهل الحشر والجمهور حتى أنهم سموا (بالحشرية).

وقد أخذت كل فرقة من فرق المرجئة تضلل أختها ،وتسلك منهجا خاصا في تفسير الإيمان يختلف عن تفسير الفرق الأخرى .وتعددت فرق المرجئة بحسب إمامها ومفسريها .فظهرت فرقة يطلق عليها (اليونسية) وهم أنصار (يونس بن عون) وكذلك فرقة يطلق عليها (الغلسانية) نسبة إلى (غسان المرجئ),ثم فرقة (الثوبانية) الذين يتبعون (أبا ثوبان المرجئ) وفرقة (العبيدية) أنصار (عبيد المُكْتِب بن مهران)،وفرقة (الصالحية) أتباع (صالح بن عمر الصالحي).

والملاحظ في معتقدات المرجئة أنهم اعتمدوا على أصل واحد وهو تحديد الإيمان والكفر ،فكان المقوّم لجميع معتقداتهم وأفكارهم وليس لهم رأي في الموضوعات الأخرى بشكل محدد وخاص . ولأجل ذلك تفرقوا في آخر أيامهم إلى فرق مبددة ،وفرق متضادة ،فترى مرجئا يتبع منهج الخوارج ،وآخر يقتفي أثر القدرية ،وثالثا يشايع الجبرية؛ ثم نجدهم قد ذابوا في فرق شهيرة نذكر منها أربعة وهي:

1ـ مرجئة الخوارج.

2ـ مرجئة القدرية .

3ـ مرجئة الجبرية .

4ـ المرجئة الخالصة.

وأما أفكارهم فكانت كثيرة ؛معظمها يدور حول الإيمان وتفسيراته ، واختلاف الفرق في ذلك. ونجد من هذه الأفكار ما يعبر عن التصديق بالقلب ،أو بعبارة أخرى (معرفة الله عزَّ وجلَّ) ،ثم أضاف بعضهم الإقرار باللسان ،واعتبروه الركن الثاني من الإيمان .والملاحظ أن المرجئة يكادون يجمعون على أن العمل ليس ركنا من أركان الإيمان ،ولا داخلا في مفهومه.[1]

ومن أفكارهم ومعتقداتهم قولهم: إن مرتكب الكبيرة مؤمن لأنه مصدق بقلبه ،فاسق لارتكابه الكبيرة, بل منهم من يقول إنه لا يصح أن يسمى فاسقا مطلقا ،بل يقال عنه فاسق في كذا بتحديد الفعل الذي ارتكبه. وكذلك فكرة أن الإمامة ليست واجبة وأنه يصلح لها من استوفى الأهلية ،ولو كان غير قرشي.

ومن أفكارهم أيضا فكرة الوعد والوعيد ؛فوعد الله لا يتخلف ووعيده قد يتخلف ،لأن الثواب فضل ،فيفي الله به ،والخلف في الوعد نقص والعقاب عدل،

وله سبحانه أن يتصرف فيه كما يشاء، ولا يعد الخلف في الوعيد نقصا. وعلى العموم فإن جميع الطوائف من شيعة ومعتزلة وخوارج وغيرهم مؤمنون ،وقد عَدُّوا أيضا كل من تأَوَّلَ واجتهد مؤمنا ،

1-أحمد أمين ،ضحى الإسلام،ج3،ص316 ومابعدها يتضمن حديثا مفصلا عن المرجئة وآرائها الدينية والعقدية.

وإن أخطأ ،وليس كافرا إلا من أجمعت الأمة على كفره.

ومن الأفكار التي يعتقدونها أيضا قولهم بجواز رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة ،واستدلوا على ذلك بظهور عديد الآيات القرآنية .

وعندهم أن التوبة طاعة واجبة لأنها امتناع عن قبيح غير الله لا يجب سقوط العقاب عندها عقلا وإنما يسقط عندها تفضلا من الله تعالى كما يسقط عند العفو.

وذهبت المرجئة على اختلاف مذاهبها في الأصول إلى أن شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) في إسقاط الضرر لا غير، وأنها لا تكون في زيادة المنافع ،لأن حقيقتها في إسقاط الضرر.

ثم إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ،لأن أمر التصديق دائر بين الوجود والعدم ،ومثله تفسير الإيمان بالإقرار باللسان ؛فهو أيضا كذلك وليس العمل داخلا في حقيقته.

وهناك طوائف منهم قالوا :إن إبليس لم يسأل الله قطُّ النظرةَ ولا أقر بأنه خلقه من نار ،وخلق آدم من تراب ،وآخرون من المرجئة قالوا: إن التوبة تكتسب بالعمل الصالح.

وقد وقف أئمة البيت في وجه المرجئة ،وشنوا حملات قوية ضد الإرجاء ،لما ينطوي عليه اعتقاد المرجئة هذا من انحلال أخلاقي وترك القيم ،بحجة أنه يكفي في إنصاف الإنسان بالإيمان وعداده ضمن المؤمنين ،إقرارُه باللسان أو الإذعان بالقلب ،ولا نحتاج من وراء ذلك إلى

شيء مِن الصوم والصلاة؛ فقام الأئمة الأطهار بتحذير الشيعة وأولادهم من خطر المرجئة ،وقال أحد أئمتهم: (بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة).

وفي مورد آخر تصدى الإمام الصادق لبيان فكرة الإيمان والحُبّ. وأن المرجئة خاطئة في تفسير الإيمان بالمعرفة القلبية والحب الفارغ الملون

بالمعاصي والآثام ،ثم قال الإمام الصادق:(ما أحبَّ الله عز وجل مَنْ عصاه) ,ثم أنشد قائلا[1]. من بحر **الكامل**

تَعْصِي الإلهَ وأنْتَ تُظهِرُ حُـبَّه هَذا مُحالٌ في القِياسِ بَدِيـعُ
لوْ كانَ حُبّكَ صادِقا لأَ طعْتَهُ إنَّ المُحِبَّ لِمنْ أحَبَّ مُطـــيعُ

1 –الإمام الشافعي : ديوانه ، تحق: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، مصر، 2009م، ص 96.

الفصل الثاني
شعر الأحزاب السياسية الكبرى

أولا : شعر الحزب الأموي الحاكم

ثانيا : شعر الزبيريين

ثالثا شعر الخوارج

رابعا :شعر المرجئة

أولا: شعر الحزب الأموي الحاكم:

عبر الشعر الأموي عن عصره خير تعبير ،وقد بلغ مرحلة من الازدهار فظهرت في عالمه أسماء لشعراء من أمثال:الفرزدق والأخطل وجرير وعمر بن أبي ربيعة وغيرهم.

وهذا الشعر ،وإن ظل شطر كبير منه يدور في فلك الشعر الجاهلي وقوالبه الموروثة، فقد ظهرت فيه ألوان طريفة ،وبرزت في إطاره قيمٌ جديدة.

وكان لمجال التّرف والتطور الاجتماعي في بعض البيئات، أثرهُ في إبداع تلك الألوان الشعرية الجديدة ،وأصبح الشعراء يتطرقون لموضوعات اجتماعية، فيها أوصاف صادقة لما تعانيه بيئاتهم من هوان وحرمان ، لم يكن للعرب في العصر الجاهلي عهد بها.

وكذلك كان للحياة العقلية ونهضتها أثر بليغ في نتاج الشعراء ،فأمدتهم بزاد جديد ،أصبح الشاعر من خلالها، يتناول حرفته بطريقة جديدة ،معتمدا في ذلك على البحث والدرس وهو ،وإن كان قد تعلق بالمعاني الجاهلية ،نراه قد أخضع هذه المعاني لهذا البحث وذلك الدرس ؛فبرزت في هذا العصر ظاهرة التخصص ؛حيث نرى شعراء يخصصون شعرهم للتحدث عن ظاهرة أو فن بعينه لا يعْدونه إلى غيره،كما حدث في فنّ النقائض على يد الأقطاب الثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل ،وفي شعر الغزل بأنواعه على يد شعراء لهم باع كبير في هذا المجال ،مثل عمر بن أبي ربيعة ،وكثير عزة، ومجنون ليلى ،وجميل بثينة ،

ومن سار على منوالهم وحذا حذوهم في التعبير عن لواعج النفس ورغباتها ونزواتها ،مما اصطلح عليه الدارسون بالغزل العذري والغزل الإباحي.

وما يهمنا في هذا الموضوع هو الشعر السياسي والذي نعني به ذلك الشعر الذي صدر عن كوكبة من الشعراء ،حرصوا على تأييدهم للحزب الأموي الحاكم يناصروه في أفكاره ،وانتصاراته على أعدائه من منافسيه في الخلافة والحكم .

وكان للحزب الأموي الحاكم شعراء كُثُر يؤيدونه ويناصروه على باقي الأحزاب المنافسة له في الخلافة والحكم؛ فلا يوجد في ذلك الوقت حزب له تلك الأعداد الهائلة من الشعراء الذين يقفون معه سوى الحزب الأموي الحاكم ،وبخاصة أولئك الشعراء الذين يفدون من سائر الأقاليم ،وهم يحملون راية التأييد والدعم لهذا الحزب الذي استطاع أن يستولي على الحكم بيد من حديد[1]. وكانت كثرة الشعراء المؤيدين لهذا الحزب نابعة من سياسة الأمويين أنفسهم فقد كانوا ـ منذ معاوية ـ يتخذون من الشعر وسيلة لدعم حكمهم ؛ولهذا كانوا يبالغون في

إغداق الأموال على هؤلاء الشعراء المادحين لهم ،والمؤيدين لسياستهم ؛وكان استغلال الأمويين للشعر في جانبين مهمين: أحدهما يتصل بتحويل الخلافةإلى ملك وراثي يرثه من يختارونه من أبنائهم. والجانب الثاني يتصل بتأكيد أحقيتهم في الولاية،

1-محمد عثمان علي:في أدب الإسلام ،ص374.

والحكم ،وإكساب هذه الخاصية الثانية صفةَ الشرعية الدينية بالرغم من أن حزبهم لم يقم في الأصل على فكرة دينية ،وإنما قام على فكرة قبلية[1].

أمَّا الجانب الأول ،فقد كان واضحا منذ خلافة معاوية ،وذلك حين فكر في أخذ البيعة لابنه يزيد من بعده ، وكان يعلم أنه سيواجه معارضة كبيرة من قبل فئة من رعيته ،وعلى رأسهم أبناء كبار الصحابة ،والعديد من وجوه البيت الأموي ذاته ،من مثل :عبد الله بن عامر ،وسعيد بن العاص ،ومروان بن الحكم وغيرهم .فلجأ إلى الشاعر مسكين الدارمي ؛حيث جاء في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني :أن يزيد بن معاوية أوْعَزَ إلى الشاعر مسكين الدارمي أن يقول شعرا يعرض فيه فكرة البيعة ،وينشده في حضرة معاوية ،وبحضور هؤلاء النفر. فجاء مسكينُ وأنشد قصيدته التي يقول في بعض أبياتها :[2] من بحر **الطويل**

ألاليْتَ شِعري ما يقُول ابنُ عَامرٍ ومَروانُ أَمْ ماذا يَقُولُ سعيدُ
بَنِي خُلفاءِ اللهِ مَهلاً فإنَّمَـــــا يُبوّئُها الرَّحمنُ حَيْثُ يُريــدُ
إذ المِـنْبرُ الغَرْبيُّ خلاّه ربُّـــهُ فإنَّ أميرَ المُؤمِنــينَ يَــزِيدُ
عَلَى الطَّائرِ المَيمُونِ والجَدُّ صَاعـدٌ لِكلِّ أُنَـــاسٍ طائِــرٌ وجُـدودُ

1-المرجع السابق، ص375.-يبوئها: يضعها بحيث يريد ويمكنها من يشاء من عباده.

2-مسكين الدرامي : ديوانه، جمع وتحق : عبد الله الجبوري وإبراهيم العطية ،مطبعة دار البصري ،بغداد ،ط1- 1970،ص12.

فلما فرغ مسكين من قصيدته قال معاوية: ننظر فيما قلت يا مسكين، ثم نستخير الله قال:ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة. وهذا ماكان يبتغيه معاوية وابنه اللذان أحسنا صلة مسكين [1].ولم يتوقف الأمر عند معاوية ،بل نجد هذه الفكرة يسير عليها خلفاء بني أمية من بعده,فهذا عبد الملك بن مروان يصنع ما صنعه معاوية من

قبل ؛وكان شاعره النابغة الشيباني يقف معلنا أمام الملأ وإخوة عبد الملك بن مروان أنفسهم ،ويقول:[2]. من بحر **المنسرح**

لَابنُـكَ أَولَى بِمُلْـكِ والدِهِ وعَمـــــــّهِ إنْ عَصَـــاكَ مُـــطّرَحُ
داو دُ أعْدَلَ فاحْكمْ بِسيرته وآلُ مروانَ كانُوا للهِ قدْ نَصحُوا
فهُمْ خِيارٌ فاعمَلْ بسُنَّتِـــهِمْ واحْيَ بِخيرٍ واكْدَحْ كَما كدَحُوا

وتبعه جرير في إظهار الفكرة مع سليمان بن عبد الملك ؛حيث يشير إليه في قصيدة مدحه بها ،بأن يجعل الخلافة من بعده لابنه أيوب.يقول:[3] من بحر **البسيط**

إنَّ الإمامَ الَّذي تُرْجَى نَوافِلُهُ بعْـــدَ الإمَامِ ولِـيّ العَـهْدِ أيُّوبُ
اللهُ أعْطـاكُمُ مِن علْـــمِه بِكمُ حُكْمًا وما بَعدَ حُكمِ اللهِ تــعقيبُ
أنتَ الخَليفةُ للرَّحْمنِ يَعْرِفُــه أهلُ الزَّبورِ وفِي التَّوراةِ مَكْـتُوبُ

وأما الجانب الثاني المتصل بأحقية الأمويين في الحكم وإكسابها شرعية دينية،فقد تمثل في معاني التقوى والورع والعدل والاستقامة التي حُلِّي بها الخليفة الأموي،ومن ورث الحكمَ مِن بعده ؛ وركز الشعراء في مدح أمراء بني أمية على هذه

1– أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ،جـ20 ،ص176.

2 - نابغة بني شيبان : ديوانه ،دار الكتب المصرية، ط3 ،2000،ص108

3– جرير : ابن عطية الخطفي ،ديوانه تحق، نعمان محمد أمين طه ،(د .ط) ،القاهرة ،دار المعارف مصر،1961 ،جـ1،ص348-349.-أعدل: عدل وساوى بين شيئين ،والعدل من الناس :المرضي قوله وحكمه.

الصفات لبيان وتأكيد أحقية البيت الأموي بالخلافة والحكم.

وكان خلفاء بني أمية يحبون أن يُمتدحوا بهذه الصفات ،وأن يسلك شعراؤهم هذا المسلك؛ فذهب بعض الشعراء إلى القول بأن طاعة الخليفة الأموي واجبة، إذ هي من طاعة الله عز وجل,والخلفاء هم ورثة الأنبياء ،وأولى قريش بالملك والحكم ، بل هنلك من بعض ولاتهم من يجعل الخليفة والرسول (صلى الله عليه وسلم) في مرتبة واحدة ؛وشاعت هذه المعاني جميعها في شعر شعرائهم ،وبخاصة المادحين لهم,فهذا الأحوص نجده يقول في مدح الوليد بن عبد الملك:[1] من بحر**الطويل**

تَخيّرَهُ ربُّ العِبادِ لخلْقِهِ وَليًّا وكانَ اللهُ بالنّاسِ أعْلَمَا

ونقرأ لعُدي بنِ الرقّاع العاملي في مدحه للوليد أيضا[2]. من بحر **البسيط**

صلَّى الَّذي الصَّلواتُ الطيّباتُ لَهُ والمُؤمنُونَ إذا ما جمَعُوا الجُمعَا
علَى الَذي سبَقَ الأقوامَ ضاحِيةً بالأجْرِ والحَمدِ حتَّى صاحِباه مَعَا
هُو الّذي جمَــعَ الرَّحْــمنُ أمّتَهُ عــــلَى يَدَيْهِ وكانُوا قبــلَهُ شِــيعـَا
إنَّ الوَلِــيدَ أمِيرُ المُــؤمِنيــنَ لــهُ مُلــْكٌ ،عَليهِ أعَانَ اللهُ ،فارْتفَــعَا

وكذلك نجد الشاعرحارثة بن بدر الغداني حين يمدح زياد بن أ بيه لا يخرج عن المعنى الذي رأيناه في شعر الأحوص وغيره فهو يقول .[3] **من بحرالوافر**

إمامُ مَعْـدلةٍ وقصـدٍ وعـزمٍ حيــنَ تخــمُرك الأمــورُ
أخُوك خليفةُ الله بنُ حَربٍ وأنـتَ وزيرُه نـعمَ الوزيرُ
بأمْـرِ الله مَنصُـــــــورٌ مُعانٌ إذا جارَ الرعيّةُ لا تَجُورُ

---

1 – عادل سليمان جمال : شعر الأحوص ،مكتبة الخانجي ،ط3،-1993،ص180.

2 -عدي بن الرقاع العاملي ، تحق: محمد نور الدين ،دار الكتب العلمية ،ط1،- 1990،ص83.

-شيعا : فرقا وأحزابا .

3– المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، طبعة القاهرة، 1324هـ ،ج4،ص125.

وإلى جانب هذا ،نجد بعض الشعراء يجعلون أعداء بني أمية على ضلال وقتلاهم قتلى فتنة, فهذا أعشى همذان يقول حين قضى الأمويون على ثورة عبد الرحمن بن الأشعث بالعراق:[1] من بحر **الطويل**

أبَــى اللهُ إلاّ أنْ يُتمّــم نورَه ويُطـفئَ نورَ الفــاسِقينَ فيخْمُـدَا
ويُنزِلُ ذلاً بالعــراقِ وأهْــلِه بما نقَضُوا العَهدَ الوَثيقَ المُؤكّدَا
وما أحْدثُوا من بدعَةٍ وعظيمةٍ من القولِ لم تصعدْ إلى الله مصعَدَا

وجاء في كتاب الأغاني للأصفهاني أن عبد الملك وإخوته كانوا يحرصون على هذه الصفات الدينية في شعر شعرائهم الذين يمدحونهم, فمن ذلك أن عبد الملك بن مروان استمع ذات مرة إلى ابن قيس الرقيات ،وهو يمدحه بقوله:[2]

من بحر البسيط

إنّ الأغرَّ أبُوه أبُو العَــاصِي عَلَيهِ الوَقَـــارُ والحجبُ
يَعتدِلُ التَّاجُ فــوقَ مَفرِقِهِ عَلَى جَبينٍ كأنّه الذّهَـبُ

فيرد عليه عبد الملك بن مروان: يا ابن قيس أتمدحني بالتاج وكأنني من العجم,وتقول في مصعب بن الزبير:[3] من بحر **الخفيف**

إنَّمَا مُصعَبٌ شِهابٌ مِن اللّـه تَجَلّت ْعنْ وجْهِه الظَّلْماءُ
ملْكُه مُلْكُ عِزّةٍ ،ليسَ فيــه جَــبْروتٌ ولا بِــه كِبريَـاءُ

ولضعف نظرية الأمويين السياسية ،لجأوا إلى مهاجمة خصومهم بالتعريض والسخرية ،محاولين بذلك أن يعوضوا ما فاتهم في مجال السياسة.فمن ذلك ما نقرأ في قول أبي العطاء السندي في بني هشام إذ يقول:[4] من بحر **الطويل**

تَباذَخَتِ الأنصارُ في الناس باسْمِها ونسْبتِها في الأزْدِ عمرُو بنُ عامرِ

---

1 - أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ،جـ6،ص58- 59. -تباذخ:تعالى في فخره.

2-المرجع نفسه، جـ5،ص70.

3– المرجع نفسه جـ5ص70 .

4-المبرد : الكامل في اللغة والأدب ،جـ5،ص127.

وقالُوا لنــا حَقٌّ عَظــيمٌ ومِنَّــة ٌ عَلَى كلّ ِبادٍ مِنْ مَعَـدٍّ وحَاضـرِ
فإنْ تكنِ الأنصارُ آوتْ وقاسَـمَت مَعايِشَها مَنْ جَاءَها قِسْـمَ جَـازِرِ
فقدْ أفسَــدتْ ما كَانَ مِنها بِمنّـِها وما ذاكَ فِعلُ الأكْـرمِينَ الأَكَـابرِ

وإلى جانب هذا نجد سخرية واضحة من آل الزبير ،يدلي بها أعشى ربيعة حين يقول:[1]

من بحر الكامل

آل الزُّبيرِ مِن الخِلافةِ كـالَّتِي عَجِلَ النِّتاجُ بِحمْلِـها فَأَحالَهَا
أَو كالضّعافِ مِن الحُمُولةِ حُمِّلتْ ما لا تُطِيق فَضَيَّعَتْ أَحْمَالَـهَا
قُومُوا إلَيهِمْ لا تَنامُوا عَنهـمُ كَـمْ للغُـــوَاةِ أَطلْـتُمُ إمْـهالَهَا
إنَّ الخــلافةَ فيكمُ لا فيهـم ۠ مـا زلتـمُ أركانَــها وثِمـــالَهـَا

وهناك إلى جانب هذه الأنغام الدينية نغمات أخرى قبَلية ؛حيث لجأ الشعراء إلى إعلاء شأن بني أمية في قريش,فذكروا مآثرهم في الجاهلية من كرم وجود ؛ حيث يقول الأخطل في مدح عبد الملك بن مروان [2]. من بحر**البسيط**

فِي نبْعةٍ مِن قُريشٍ يعْصبُون بها مَا إنْ يُوازَى بأعْلى نَبْتِها الشَّجَرُ
تَعْلُو الهِضابَ وحَلُّوا فِي أَرُومتِها أهلُ الرِّياءِ وأهْلُ الفَخرِ إن فَخرُوا

ونقرأ في شعر جرير وهو يمدح عبد الملك بن مروان أيضا فيصفه بصفات المؤمن التقي العادل في الناس .ومادام هو كذلك فالواجب على كل واحد من رعيته أن يطيعه فيما يأمره به، وذلك لأنه من بني مروان الذين فضلهم الله عزوجل على خصومه من أهل البدع ؛حيث يقول:[3] من بحر **البسيط.**

---

1 – ابن منظور الأنصاري ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل : مختصر تاريخ دمشق ،تحق: رياض عبد الحميد روحية النحاس ، دار الفكر للطباعة والتوزيع ،دمشق 1984،جـ12نص134.

2 الأخطل :ديوانه ، تحق: محمد ناصر الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1994،ط2 ،ص105 .

3– جرير :ديوانه ،جـ1،ص295-296.-النبعة شجرة صلبة تتخذ منها القسي والسهام.-اعصوصب القوم: تجمعوا وصاروا عصبة.-الرياء:الرفعة.

لَوْلاَ الخَليـــفةُ والقرآنُ يقْـــرَؤُه ماقـــامَ للنَّاسِ أحْكـامٌ ولا جُـــمَعُ
أنتَ الأمينُ أمينُ اللهِ لا سَرِفٌ فِيـــما وُلِيـــتَ ولا هـــيّابـــةٌ ورِعُ
أنتَ المُبارَك يُهدِي اللهُ شِيعتَهُ إذا تَفـــرّقتِ الأهـــواءُ والشِّيـــــعُ
فكُلُّ أمـــرٍ على يُمْـــنٍ أَمَرتَ به فِينا مُطـــاعٌ ومهْما قُلْتَ مُستَـــمَعُ
ياآلَ مَـــرْوانَ إنَّ اللهَ فَضّـلكُمْ فَضْلاً عظيمًا على مَنْ دِيـنُهُ البِدَعُ

ويسير الفرزدق في الطريق نفسها حين يمدح يزيد بن عبد الملك مع شيء من الغلو والمبالغة؛حيث يصوره بأنه أصلحُ الناس بالنبوة إن كان هناك نبوة بعد المصطفى (صلى الله ليه وسلم)،ثم يصور بني مروان في صورة ورثة الأنبياء ، يقول .[1]

من بحر **الطويل.**

لَوْ كَانَ بعْدَ المُصْطَفَى مِن عِبادِ هنَبيٌّ لَهمْ مِنهمْ لِأمْـــرِ العَزائِـــمِ
لكُنتَ الَّذي يخْتـــارُه اللهُ بعْدَه لِحَمْلِ الأمَاناتِ الثِّقالِ العَظائمِ
وَرِثتُمْ خَليـــلَ اللهِ كَلَّ خزانـــةٍ وكَـــلَّ كِتـــابٍ بالنُّبـــوة قَـــائمِ
وحَـــبلُك حَبْلُ اللهِ مَن يعتَصِمْ بـــه إذا نـــالَهُ يأخُـذْ بِه حـــبْلَ سَالـــمِ

ويؤكد هذه المعاني عبد الله بن الزبير الأسدي أيام كان على علاقة وطيدة ببشر بن مروان حين كان واليا على الكوفة ؛حيث يقول[2]. من بحر **الطويل**

بِه أمَّنَ اللهُ النُّفوسَ مِن الرَّدَى وكَانـــتْ بِـحالٍ لا يَقـــرُّ ذُبَابـُــهَا
وكنْتَ لَنا كَهْفًا وحِصـــنًا ومَعْقِلاً إذاالفِتْنَةُ الصَّمَّاءُ طارتْ عُقابُـــهَا
وطَّدْتَ لنا دِينَ النَّبيِّ محمَّـــدٍ بِحِلمِك إذْ هرّتْ سَفاهًا كِلابُهـــا

ويقول في المعنى ذاته موجها كلامه إلى بشر أيضا.[3] **من بحرالطويل**

1– الفرزدق :ديوانه ،تحق: شاكر الفحام ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ص82.

2– يحيى الجبوري:شعرابن الزبير،جمع وتحق: يحيى الجبوري،دار الحرية للطباعة ،بغداد، 1974،ص62.

3 – المرجع نفسه، ص62.-الذباب هنا:بمعنى الشر .أي لا يسكن شرها.وهو كناية..-هرالكلب :صات من دون نباح وكشر عن أنيابه،وهي كناية أيضا.

فَأنْتَ المُصَفَّى يابْنَ مَرْوانَ والّذِي تَوافَتْ إلَيــهِ بالعَـــطاءِ القَـبائِلُ
يُرجُّونَ فَضلَ اللهِ عنْدَ دُعائكـــمْ إذا جَمَعتْكُم والحجيجَ المَنازِلُ
ولوْلاَ بنُو مَروانَ طاشَـــتْ حُلُـومُنا وكُـنَّا فَرَاشًا أحْرقتْها الشّـــعائِـــلُ

و شعراء بني أمية كثرٌ ،وشعرهم لا يلم به إحصاء ،وهذا أمر طبيعي لمن كان بيده الحكم والسلطة,وكانت الأموال وفيرة بين أيديهم، وكانوا يغدقونها على الشعراء.ولهذا حققوا ما كانوا يهدفون إليه من نصر وتأييد شعري كبير.

ثانيا: شعر الزبيريين:

لقد انقسم الشعراء الأمويون من الحركة الزبيرية منذ نشأتها إلى وقت اندثارها وزوالها إلى قسمين:قسم قام بمؤازرتها ومنا صرتها,وقسم هاجمها هجوما عنيفا، وأخذ يدافع

عن الدولة الأموية بصفتها الأحق بالخلافة.ويكاد ينحصر شعر هؤلاء الشعراء في موضوع واحد هو السياسة ،وبيان مذهب الزبيريين في الخلافة والشروط التي تجب فيمن يعتلي هذا المنصب[1].

وقد اتضحت أهمُّ مبادئ الحركة في أثناء تلك المعارك التي خاضها عبد الله بن الزبير لبسط نفوذه على العراق ومصر والحجاز؛حيث كانت ترى أن الخلافة يجب أن تكون في قريش ،وأن مقرَّها يجب أن يكون في الحجاز؛ولهذا فإن جميع قادة هذه الحركة اتهَموا بني أمية بالخروج على نظام الشورى الإسلامي ،كما اتهموا بني هاشم بالعصبية التي تتنافى مع الإسلام[2] ؛أما الخوارج فكانت تُهمتُهم كونَهم يرون أن الخليفة يجب أن يكون من عامة المسلمين ،وأنهم يكفرون من ليس على رأيهم. ولهذا فإن ابن الزبير حارب المختار الثقفي وقضى على قواته ،كما نجح كذلك في القضاء على الخوارج الذين كانوا متجمعين بالبصرة[3]. وكان أبرز شاعر اتصل بالزبيريين هو عبيد الله بن قيس الرقيات ،وقد سجل شعرُه كلَّ ما يدعو إليه هذا الحزب من قريب أو من بعيد ،فهاهو هو يمدح عبد الله بن الزبير فيقول:[4]

من**مجزوء الكامل**

أَنْتَ ابنُ مُعتلِجِ البِطَا حِ كُدَيّها فَكَدَائِـهَا

---

1 – شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، دار المعارف بمصر ،-1972،ص292.

2-المرجع نفسه ،ص292.

3-الطبري: تاريخه ،جـ1،ص172 .

4– عبيد الله بن قيس الرقيات :ديوانه ،تحق: محمدفؤاد نجم ،دار صادر ،بيروت ،لبنان 1990، ص117-118.

فَالبَيْتِ ذِي الأرْكَانِ فالـ مُستَنّ مِنْ بَطْحائِهَا
فَمَحَلّ أَعْلاهَا إلَى عَرَفاتِها فَجِرائِهَا
مِن سِرّها فيها ومَعْـ ـدِن بِرّهَا وَوفَائِهَا
أَوْفَى قُريشٍ بالعُلا فِي حُكْمِها وقَضائِهَا
ولأَنْتَ أعْلَمُها بِهَا وأَصَحُّها مِن دائِهَا
ولَدتْكَ عائشةُ الَّتي فضَلَتْ أَرُومَ نِسائِهَا
ولَدتْ أغرَّ مُبارَكًا كالبَدرِوَسْطَ سَمائِهَا

إن الشاعر في هذه الأبيات التي تذكرنا أجواؤها الإيقاعية بمعلقة لبيد ابن ربيعة[1]يجد لذة عظيمة في ذكر أسماء كل ركن في الحجاز فابن الزبير هو أحد أبنائها,وهو عتره قريش السامي ومن أعلى نسب فيها وهو خير من يقوم على رعاية شؤون المسلمين ويقف في وجه أعدائها من بني عبد شمس. وكذلك فإن الشاعر استطاع وبكل جدارة أن يقدم ممدوحه ابن الزبير تقديما مؤهلا للخلافة ،فهو ابن مكة والكعبة المشرفة والمشاعر المقدسة وهو أوفى قريش بالعلا وأحقها في حكمها

وقضائها وأشدها مركزا وأطولها باعاوأعلمها بها وبدائها وبعلاج ذلك الداءوهو أتم قريش نسباوهو مبارك كالبدر وسط السماء.
وهذا الوصف الدقيق للرجل يقوم على صفات تتصل بالأصل والنسب والجسدوالعقل والدين والهمة وهي صفات للحاكم المقتدر الصالح الذي يستحق قبل غيره أن يكون خليفة للمسلمين من الوجهة الإسلامية السمـــــحاء دون أن ننسى استخدام الشاعر

1- لبيد بن ربيعة :ديوانه ،تحق: أحمد وطاس ،دارالمعرفة ،بيروت ،لبنان ،ص111.

- معتلج:اعتلج القوم :اقتتلوا واصطرعوا.وكنى بمعتلج البطاح عن الزبير بن العوام الصحابي الفارس،وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم. –كديّ وكدا:جبلان بمكة.

في أبياته هذه أفعال التفضيل مثل :أعلاها ،أعلمها ،أصحها ،خير ،وذلك بمثابة بناءات لفظية من أجل تحقيق مواجهة التهديد الذي يواجه الزبيريين من بني أمية ،وإلى جانبهم القبائل اليمنية.

ويستمر الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات في تمجيد قريش التي هي عز العرب ،ورمز وجودهم مدى الحياة. يقول [1]. من بحر **الخفيف**

حَبَّذَا العَيشُ حِين قَومِي جَميعٌ لَمْ تُفرّق أُمُورَها الأَهْــواءُ
قبْلَ أَنْ تطْمَعَ القَبائلُ في مُل ــكِ قُريشٍ وتَشمُتَ الأعْداءُ
أيُّهَا المُشْتَــهِي فَنــاءَ قُريشٍ بِيدِ اللهِ عُمرُها والْــفناءُ
إنْ تودِّعْ مِن البلادِ قــريشٌ لايَكُنْ بعْدَهمْ لِحَيٍّ بَــقاءُ
لوتُققِّي وتَتــرْكُ النَّاسَ كانــُوا غَنَمَ الذِّئبِ غابَ عَنها الرِّعاءُ

إنه يوضح أن قريشا هي أصل العرب ،ومصدر عزتهم ومجدهم ،وبقاؤهم لا محالة مرتبط ببقائها ؛فهي راعيتهم ،فإذا غابت عن رعايتهم عبثت بهم الأعداء كما تعبث الذئاب الغنم إذا تركت بلا راع . و نلاحظ في البيت الثاني أنه جعل الملك (ملك قريش) ،ومن ثمَّ فإن كلّ من يفكر بطلبه من غير قريش يُعد طمَعا لا يستند إلى حق ،ولا يقوم على عهد أو شرع.

أما البيت الثالث من النص ،فالشاعر يواجه به الشامتين والطامعين في فناء قريش ويسلم أمر فنائها لله ،لأن الأعمار والآجال بيدالله تعالى وحده.كما يمثل هذا البيت في الوقت نفسه نوعا من التعجيز للأعداء.

---

1 – **عبيد الله بن قيس الرقيات :ديوانه ، ص88.**

ويقول في البيت الرابع ،لو أن قريشا فنيت لكان الناس ،لفني الناس جميعا ، فقريش هي صاحبة الحق في حكم الأمةوفي الخلافة ،واستخدام (لو) الشرطية التي تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط يعكس إيمانه بأن قريشا لن تفنى. وخلاصة الأمر فإن الأبيات غنية بالصور والألفاظ الموحية التي تبرز قوة قريش من جهة، واستحقاقها الملك من جهة ثانية،وأيضا فهي تبرز استحكام العداء في نفوس أعدائها ،ورغبتهم في انتزاع ملك قريش. و أما حبُّ

الشاعر الكبير لقريش فقد برز في مواطن كثيرة من هذه الأبيات ،وذلك في مثل قوله(حين قومي جميع) ،فهذا إقرار بالانتماء، وهو يرى قوة قومه في اتحادهم ووحدتهم، وكذلك في قوله (بيد الله عمرها والفناء) ،وفي قوله أيضا(إن تودع من البلاد قريش). ويستمر الشاعر بعد ذلك في الافتخار بقريش ،وبيان الأسباب التي جعلته يقف موقفه هذا والمتمثل في تفضيل قريش على سائر القبائل بل والناس جميعا؛حيث يقول [1].

من بحر **الخفيف**

لَمْ نَزَلْ آمِنينَ يَحســـدُ نا النـَّـــ ـاسُ ويَجْري لنا بذاكَ الـــثَّراءُ
فَرضِيـــــنَا فَمُتْ بدائِــك غَمًّـــا لا تُمِيـــــتَنَّ غَـــيرَك الأَدْواءُ
لو ْ بكَتْ هذِه السَّمـــاءُ عَلَى قَـــو مٍ كِــرامٍ بكَـتْ علَينا السَّـــماءُ
نحْـــنُ مِنّا النَّبيُّ الأمِّـــي والصَّدِّ يقُ مِنـــَّا التقيُّ والخُلفَـــــاءُ
وقتِـــيلِ الأحْزابِ حَمـــزةُ منَّا أسَـــدُ الله والسَّناءُ سَنَـــــاءُ
وعلِيٌّ وجعفرٌ ذو الجَناحَيْـــــــــ ـنِ هُناكَ الوصيُّ والشُّهَـــداءُ
والزُّبَيرُ الَّذي أجابَ رَسولَ اللَّـــ ـــهِ في الكَرْبِ والبَلاءُ بَـــلاءُ
والَّذي نغَّصَ ابـنَ دَوْمـــةَ ماتـُو حِي الشَّياطينُ والسُّيوفُ ظِمَـاءُ

---

1 – المصدر نفسه ،ص89_ 90.

ثم إن الشاعر في هذه الأبيات يرى أن طمع القبائل في ملك قريش يقوم على الحسد ،ولكن قريش بكل ثقة ،ما تزال آمنة بفضل ربها الذي شرفها بنزول القرآن الكريم بلسانها وعلى أحد أبنائها محمد الصادق الأمين.فهي تنعم بما أفاء الله عليها من نعمة ،وعلى أعدائهم وحسادهم بالموت ،ويرى قريشا أكرم الناس جميعا ،فلو بكت السماء على قوم كرام لبكت على قريش. ثم لا ننسى إستناد الشاعر في تفضيله قريشا إلى أنّ منهم النبيَّ (صلى الله عليه وسلم)، وكذلك الصديق ،والخلفاء الراشدون ،والصحابة: أمثال حمزة وعليّ وجعفر والزبير ومصعب ،كما أن الشاعر في هذه الأبيات وجدناه يهتم بذلك الثراء الذي ينعم به القرشيون في عهد الزبير تحديدا؛ حيث يمثل ذلك سمة مهمة من سمات الدولة الإسلامية التي حكمها عبد الله بن الزبير.

وهكذا نرى أن عبيد الله بن قيس الرقيات في كل أشعاره التي خصصها لمدح الزبيريين ،يلح على فكرة أن الخلافة في قريش وحدها دون غيرها ،ولا يمل من ترديد اسمها في قصائده ،وبخاصة في هذه القصيدة الهمز ية ،ولذلك أصبح هاجس الخلافة هاجسا مركزيا أوثيمة بارزة في شعر ابن قيس الرقيات ؛ فهو يسرد أمجادقريش ومكارم البارزين من رجالها وعلى رأسهم ،طبعا، الزبير بن العوام مؤسس هذه الحركة السياسية ثم ولداه من بعده، عبد الله ومصعب.

ونلاحظ أن همزية ابن قيس الرقيات كأنما تحاكي معلقة الحارث بن حلزة الشهيرة ،ولاسيما على مستوى الإيقاع والأجواءة الموسيقية .

فقد عشنا مع القصيدة درسا وتحليلا وتعليقا ،فوجدنا الشاعر قد تأثر تأثرا ملفتا للنظر بمعلقة الحارث ابن حلزة اليشكري ؛فالقصيدتان همزيتان كما نعرف ومن بحر واحد هو الخفيف، والمدقق يلاحظ بلا شك تأثر ابن قيس الرقيات بالمعلقة ،وذلك على الرغم من أنّه لم يعمد إلى تضمين أو اقتباس .

يقول الحارث بن حلزة **اليشكري** من معلقته الهمزية [1].

من بحر**الخفيف**

إنّ إخوانَنَا الأرَاقمَ يغلُو نَ علَينا فِي قِيلِهِمْ إحْفــاءُ
أيَّمَا خُطّةٍ أرَدتُم فَـــأَدُّو ها إلَينَا تـُشْفَى بِها الأَمْلاءُ
لا يُقِيمُ العَزيزُ بالبَلَدِالسَّهـ لِ ولاَ ينْفعُ الذَّليلَ النَّـجاءُ

ومما لجأ إليه شعراء ابن الزبير في الكيد ببني أمية ذلك اللون من الغزل الذي يشبب بنسائهم تشبيبا فاضحا وقد عرف هذا اللون من الغزل بالغزل(الكيدي) ولابن قيس الرقيات الكثير من الأشعار فيه نذكر بعضه على سبيل التمثيل ومن ذلك قوله في أم البنين امرأة الوليد بن عبد الملك؛حيث يقول:[2] من بحر **الخفيف.**

1-النحاس:شرح المعلقات،تحق:أحمدخطاب،وزارةالإعلام العراق ،دار الحرية للطباعة، 1973،القسم الثاني،ص541.*الإحفاء:

2-عبيد الله بن قيس الرقيات :ديوانه،ص121 وما بعدها.

أتتْنِي فِي المَنامِ فقُلـ تُ هَذا حِينَ أُعقَبــُها
فَلمَّا أنْ فَـرِحْتُ بِها ومَالَ عَلَـــيَّ أعْذَبُـها
شَرِبتُ بِريقِـــها حتَّى نهِلْتُ وبِتُّ أُشــرِبُـها
وبِتُّ ضَجِيعَها جَذْلاَ نَ تُعْجِبُنِي وأُعْجِبُـهَا

يبدو لنا أنه يحاول أن يعتذر عن هذا الإفحاش في غزله حين يجعل ما يحكيه هو عبارة عن رؤية رآها في منامه ،ولكن هذا العذر لايُخفي أبدا الهدف المحدد من ذلك ،وهو محاولة النيل من بني أمية عن طريق هذا التغزل الحسي بنسائهم ،وهو كذلك لا يلبث أن يمدح مُصعبا في خضم هذا التغزل الحسي اللاذع.فيقول:[1] . من بحر**مجزوء الوافر**

لَمُصْعبٌ عنْد جِدّ القَـو لِ أكثرُهَا وأطْيبُها
وأمْضَـــاهَا بألْويـــــَـة يَسُـدُّ الفجَّ مِقْنبُـها

لقد اختار الشاعر مجزوء الوافر لقصيدته هذه ؛حيث استطاع وبكل جدارة أن يوظفه في المديح باختلاف اللغة في الغرضين ؛حيث استخدم ألفاظا بالغة البساطة والرقة وأسلوبا يعتمد على عناصر بديعة من جناس وطباق في غزله دون صنعة أو تكلف.

بينما نجد في مديحه ألفاظ الجدّ التي تنقلنا برغم وحدة الإيقاع إلى جو آخر بعيد عن نعومة الغزل والحلم بأم البنين.ونجد للشاعر قصائد أخرى عديدة فيّ البنين يتفنن في الغزل بها دون مزجه بالمديح للزبيريين وذلك تحقيقا لهدفه في الكيد للأمويين واستثارتهم ؛وفي معظم هذه القصائد يصرح علنًا باسم أم البنين لتأكيد ما يرمي إليه؛وأُولى هذه القصائد التي يقول في مطلعها[2]: من بحر**الكامل**

أُمَّ البَنِينَ سلَبتِنِي حِلْمِي وقَتَلْتِنِي فتَحَمَّلِي إثْمِي

ونجده في قصيدة أخرى يقول :[1] **من بحر المديد.**

قَدْ تَولَّى الحَيُّ فانْطلَقا واستَطارَتْ نَفسُه شِـقَقَا

لمْ تـدَعْ أمُّ البَنـــينَ لَـهُ مَعَـــهُ مِـــنْ عَقلِه رَمَـقَا

وأما في هذه فيذكر أم البنين منذ البيت الأول ؛حيث يقول:[2] من بحر الكامل

أَصَحَوْتَ عَنْ أُمِّ البَنِيـــ ـــنَ وذِكْرِها وعِنائِها

ولعل هذا النمط من الغزل (لا يفي ما في الموقف من افتعال الصور السلوكية التي يغيظ بها الشاعر الخليفة وينال من شرفه ويهزأ به ويعرضه للآ قاويل والشائعات ,وهو منعطف جديد في جزئية من قصيدة المدح الأموي حول الغزل الذي يتحول أيضا إلى سياسة من أوسع وأغرب أبوابها)[3].

والمتأمل في شعر ابن قيس الرقيات يراه واجدا على الأمويين منذ وقعة الحرة التي حدثت عام63هـ وهو العام نفسه الذي قامت فيه الحركة الزبيرية[4].

وقد قتل الأمويون في تلك الوقعة عددا كبيرا من أهل المدينة وفيهم ثمانون من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم).يقول ابن قيس الرقيات في هذه الحادثة المؤلمة:[5] من بحرالكامل

إنّ الحَوَادِثَ بالمَدينةِ قدْ أوْجعْنَني وقَرعْنَ مرْوَتِيَهْ

وَأتَى كِتابٌ مِن يَزيدٍ وقدْ شُدَّ الحِزامُ بسرْجِ بغْلتِيهْ

ينْعَى بَنِي عَبدٍ وإخْوَتِهِـمْ حَلَّ الهَلاكُ علَى أقَارِبِيَـهْ

1 – المصدر السابق نفسه ،ص52.

2– المصدر نفسه ،ص 175.

3-يوسف مي خليف :قضية الالتزام في الشعر الأموي ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة، 1989.ص..

1- المصدر السابق نفسه ،ص134.-المقنب :جماعة من الفرسان والخيل دون المائة تجتمع للغارة.-الفج:الطريق الواسع البعيد.

2– المصدر نفسه ،149.

4-المبرد :الكامل في اللغة والأدب ،جـ 4،ص111.

5- عبيد الله بن قيس الرقيات :ديوانه، ص98.

ونَعىَ أُسامةَ لي وإخوتَهُ فظلَلْتُ مُستَكًّا مَسامِعيَهْ
تبْكِي لَهُمْ أسْماءُ مُعوِلةٌ وتَقُولُ لَيلَى وارَزَيتيَهْ
وللهِ أبْرحُ في مُقدَّمةٍ أَهدي الجيوشَ عليَّ شكَتَيَهْ
حتىَّ أُفْجِعَهُم بإخْوتِهِمْ وأسُوقُ نِسْوَتَهُمْ بنِسْوتِيَهْ

يبدو ذلك التشكيل الصوتي بارزا وممثلا لذلك الحزن الشديد الذي انتظم الشاعر عقلا ووجدانافحرف العين والمد بالياءوبناء القافية يكاد يتسق مع ذلك الألم والحزن الذي يسيطر على وعي الشاعر. لقد كان الشاعر في كل مراحل حياته زبيري الهوى،واستمر على هذا الحال حتى بعد وفاة مصعب وطلبه الأمان من عبد الملك.وقد حاول في هذا الموقف أن يجامل عبد الملك فيمدحه بقصيدة جاء فيها[1]: من بحر **المنسرح.**

إنّ الأغَرَّ الَّذي أبُوهُ أبُو الـ ـعاصِي علَيهِ الوَقارُ والحُجُبُ
يعتَدِلُ التَّاجُ فوقَ مَفْرِقِه على جَبينٍ كأنَّهُ الذَّهَبُ

فاغتاظ عبد الملك من هذا الوصف,وقال له (يابن قيس تمدحني بالتاج وكأني من العجم,وتقول في مصعب:[2] من بحر الخفيف

إنَّما مُصْعبٌ شِهابٌ مِن اللـ ـه تجَلَّتْ عنْ وجْهِهِ الظَّلماءُ
مُلكُهُ مُلكُ عزَّةٍ ليْسَ فِيـ ـهِ جَبَروتٌ مِنْهُ ولا كِبرِياءُ

وأما الأمان فقد سبق لك ،ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا[3].

1– عبيد الله بن قيس الرقيات :ديوانه ،ص10.

2 – المصدر نفسه ،ص12.

3–أبو الفرج الأصفهاني :الأغاني،جـ5،ص70.

ومما لاشك فيه أن تعلق ابن قيس الرقيات وحبه للزبيريين هو الذي جعل شعره في عدوهم يأخذ الاتجاه الذي لا حظه عبد الملك فأغاظه كثيرا وعاقبه بمنع العطاء منه.

وإلى جانب ابن قيس الرقيات نجد شعراء آخرين قاموا بتخصيص أشعارهم في مدح ابن الزبير وأخيه مصعب ولكنها أشعار قليلة جداإذا ما قيست بشعر ابن قيس الرقيات.فهذا النابغة الجعدي يمدح عبد الله بن الزبير طمعا في عطائه عندما اشتدت به الحاجة ،فرفعه إلى منزلة الخلفاء الراشدين ،**وأشاد** بعدله ؛حيث يقول[1]:

من بحر **الطويل**

حكَيْتَ لـنَا الصِّدِّيقَ لمَّا وَلِيتَنا وعُثمانَ والفارُوقَ فارتاحَ مُعْدِمُ

وسوَّيتَ بين النَّاسِ في الحَقّ فاستــووا فعَادَ صَباحًا حَالكُ اللَّيلِ مُظْلِـمُ
أَتــاكَ أبُو لَيــلَى يجُــوبُ بِــه الدُّجَى دُجى الليلِ جوَّابُ الفلاةِ عثَمْثَمُ
لِتَجبُـــرَ مِنــهُ جانِـــباً ذَعْذَعَـــتْ بِـهِ صُروفُ اللَّيالِي والزَّمانُ المُصمِّـمُ

ما نلاحظه في هذه الأبيات أن الجعدي يقرن بين التزام ابن الزبير بإتباع نهج السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم والالتزام بالشرع من عدل ومساواة ونتيجة ذلك الالتزام من راحة للمعدم وعودة الأمل الذي يشير إليه بعودة الليل الحالك المظلم صباحا.

وكان سراقة بن مرداس البار قي كثير الافتخار بالحركة الزبيرية ،وبخاصة عند تمكن مصعب بن الزبير من قتل المختار الثقفي؛حيث وجه كلامه لأبي إسحاق وهو المختار نفسه[2] .

من بحر **الوافر**

---

1 - **النابغة الجعدي:ديوانه ،جمع:واضح الصمد،دار صادر، بيروت،ط1 – 1988 ،ص204.**

2 – **الطبري :تاريخه ،جـ6،ص55.-عثم العظم:ساء جبره.-صمم المرض الشيخ:أصمَّه.**

ألاَأبْلِـــغْ أبَا إسْحـــاقَ أَنِّي رأيتُ البُلْقَ دُهْمًا مُصْمَـتاتِ
أُرِي عَينَـيَّ مالَمْ تُبْصِراهُ كِلانَـــا عَالِـــمٌ بالتّـــرُّهَـــاتِ
إذا قَالُوا أقُولُ لهمْ كذَبتُمْ وإنْ خَرجُوا لبِستُ لهمْ أدَاتي
كفَرتُ بِوحيِكمْ وجَعلتُ نذْرًا عليَّ قِتالَكمْ حـــتَّى المَمَاتِ

أراد الشاعر في هذه الأبيات أن يبلغ الناس نوعا من الرسائل الشعرية الصحفية، إذ أن الشعر في الماضي كان يمثل الصحيفة التي تعرض أحداث الحياة السياسية ،والاجتماعية والوجدانية . وكان مقتل المختار الثقفي من أسباب اهتمام الشعراء بالزبيريين وحركتهم؛ فهاهو أعشى همذان يقول في سخرية بالمختار وادعاءاته الباطلة ،ويمدح الزبيريين الذين تمكنوا من القضاء عليه[1].

من بحر **الطويل**

شهِدتُ عليكم أنّكُـمْ سَبئِـــيَّةٌ وأنّي بِكمْ ياشُرطةَ الكُـفرِ عَارِفُ
وأُقْسِمُ ما كُرسيُّكمْ بسَكـــــينةٍ وإنْ كانَ قد لُفَّتْ علـيهِ اللَّفائِفُ
وأنْ ليسَ كالتَّابوتِ فِينا وإنْ سعَتْ شَبامٌ حَواليـــــهِ ونَـهْدٌ وخَارِفُ
وإنّي امروٌ أحببْتَ آلَ مُحمّدٍ وتابعْتُ وحيًا ضُمّنَتْهُ المَصَاحِفُ
وتابعْتُ عبـــدَ اللهِ لمَّا تَتَابعَتْ علَيهِ قُريشٌ شُمطُها والغَطا رِفُ

إن ألفاظ هذه الأبيات لتدل دلالة واضحة على فساد آراء المختار وبطلانها ،فهم شرطة الكفر وأعوانه وناشروه ، ثم الابتهاج بمقتله والقضاء عليه ،والشاعر يتوقع له ذلك قبل وقوعه إذ يقسم (ما كرسيكم بسكينة)، والشاعـــر هنا يشير إلى حادثة تاريخـــية مشهـــورة فقد كـــان عند المختار

---

1 – المرجع السابق نفسه ،ج6 ،ص141.-المصمت من الألوان :الخالص لا يخالطه غيره.البلق :لون فيه سواد وبياض.-الشمط:الكهول خالط سواد شعرهم بياض.-الغطارف:جمع غطريف،السيد الكريم.

الثقفي (كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزينه بأنواع الزينة وقال: هذا من ذخائر أمير المؤمنين عليٍّ (كرم الله وجهه)،وهو عندنا بمنزلة التابوت في إسرائيل، فكان إذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ،ويقول:قاتلوا ولكم الظفر والنصر، وهذا الكرسي محله فيكم محل التابوت في بني إسرائيل، وفيه السكينة والبقية ،والملائكة من فوقكم ،ينزلون مددا لكم [1].

وفي نهاية أبياته نراه يؤكد حبه للنبي(صلى الله عليه وسلم) ولآل بيته ، ويربط هذا كله بمدحه للزبير بين الذين حققوا له مراده ولذته.

أما شعراء المعارضة فقد تعددت الأسباب التي دفعتهم إلى معارضة الزبيريين في حكمهم ومبادئهم وبعض المواقف الخاصة.

1-الشهرستاني: الملل والنحل ،جـ،1،ص1.

موقف الشعراء المعارضين للحكم الزبيري وقناعتهم بأحقية الأمويين بالخلافة:

ومن الطبيعي جدا أن نجد لشعراء بني أمية الذين يلوذون بحزبه في النهج على الزبيريين أمثال أعشى ربيعة الذي راح يستشير الأمويين في القضاء على الحركة الزبيرية؛ حيث يقول[1]: من بحر**الكامل**

آلُ الزُّبــــيرِ منَ الخِلافـــــة كالَّتي عَجِل النِّتاجُ بحَملِها فأحَـــالَها
أو كالضّعافِ من الحُمولة حُمِّلت مالا تطـــيق فضيَّعتْ أحْمالَـها
قومُــوا إليـــهِمْ لا تنامُـوا عنهُمُ كمْ للغُـــواة أطلــتُمُ إمْهـــالَــها
إنّ الخـــــلافةَ فِيــكمُ لافِـــيهمُ مــازِلتُـــم أركــانَـــها وثِمَـــالَها
أمْسَوا علَى المَعروفِ قُفْلاً مُغْلقًا فانهَضْ بيمِنكَ فافْتتِحْ أقْــفالَهــا

يصف الشاعر آل الزبير بأنهم لا يطيقون الخلافة ،ولا يقوون على تحمل تبعاتها ،ويصور ضعفهم تصويراجليا ،فهم من الخلافة كالدواب الضعيفة التي حملت ما لا تطيق ،فضاقت بأحمالها ،ثم يسِمهم بالغواية ويحض الأمويين على مقاومتهم ،لأنهم ليسوا أهلا للخلافة.

وتذكر المصادر أن مصعب قتلَ امرأة المختار وهي ابنة النعمان بن بشير الأنصاري ،فأغضب ذلك عمرَ بن أبي ربيعة ،فقال :[2] من بحر **الخفيف**

إنَّ مِنْ أعظمِ المَصائِبِ عِنْدي قتْلَ حَوراءَ غادَةٍ عُطْبولِ
قُتِلَتْ باطلاً على غَيـــرِ ذَنْبٍ إنَّ بِهِ دَرَّهـــا من قَتيلِ
كُتِبَ القَتــــلُ والقِــتالُ عَليْـنا وعَلى الغانِياتِ جَرُّ الذُّيولِ

1-أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ،جـ18 ،ص72.-الثِّمال: الملجأ والغياث.عطبول :امرأة فتية جميلة.

2– عمر بن أبي ربيعة : ديوانه ، تحق: محمد حسين الأعرجي ، دار صادر، بيروت ،لبنان ،ص304.

ووجد الشاعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في هذه الحادثة فرصةَ لهجاء الزبيريين هجاء عنيفا،حيث قال:[1] من بحر **الطويل**

أتَى راكبٌ بالأمْرِ ذي النّبأِ العَجَبْ بقتْلِ ابنةِ النّعمانِ ذي الدِّين والحَسَبْ
بقتلِ فَتـــاةٍ ذاتِ دَلٍّ سَتِيرةٍ مُهذّبةِ الأخْـــلاقِ والْـــخِيمِ والنَّسَبْ
مطهَّرةٍ من نسْلِ قــومٍ أكَارمٍ مِن المُؤْثِرينَ الخيرَ في سَالِفِ الحِقَبْ
منَ الغافِلاتِ المُؤْمــناتِ بَريئةٍ مِن الذَّمِ والبُهـــــتــانِ والشَّكِّ والكذِبْ
خَليلِ النبيِّ المُصطفَى ونَصيرِه وصاحِبِه في الحَرْبِ والضَّرْبِ والكُــرَبْ
أَتانِي بأنَّ المُلْحدينَ تَوافَقُوا على قَتلِها،لا جُنِّبُوا القتلَ والسَّلَـــبْ
فَلَا هنأَتْ آلَ الزُّبَيــــرِ مَعيشَةٌ وذاقوا لباسَ الذُّلِّ والخَوفِ والحربْ
كأنّ هـــمُ إذْ أبْـرَزُوها وقُطِّعتْ بأسْيــافهِـم فازُوا بمَمــلكةِ العَـــربْ
عجِبتُ لها إذكُتِّفتْ وهْي حيَّةٌ أَلَا إنَّ هَذَا الخَطْبَ مِن أعجَبِ العَجَبْ

يتجلى غضب الشاعر سعيد بن عبد الرحمن في هذه الأبيات ؛ حيث نراه يشيد بمنزلة النعمان خليل النبي (صلى الله عل وسلم)ونصيره وصاحبه في الحرب والسلم ،ويتهم الزبيريين بالإلحاد عندما توافقوا على قتل هذه المرأة بكل وحشية وهمجية، ثم إنه يصف القتيلة بأنها من المحصنات الغافلات المؤمنات ،ومع ذلك لم يرعَ لها الزبيريون حرمة ،حيث كتفت وهي حية، ثم قطعوها بسيوفهم فرحين بذلك الجرم ،ظنا منهم أنهم فازوا بمملكة العرب كما قال الشاعر ، ونسوا تماما أن ما صنعوه يتنافى مع مبادئ الإسلام ،ولذا تعجب الشاعر في ختام الأبيات(ألا إن هذا الخطب من أعجب العجب).

---

1 – الطبري :تاريخه ،جـ 5،ص15. -هنأ: ساغ ولذّ.-الحرَب بالفتح:الويل والهلاك.

وعندما قُتل مصعب دخل الناس على الملك يهنئونه ،ودخل معهم شاعر فأنشد يقول .[1]

من بحر **الرجز التام**

اللهُ أعْطاكَ الَّتي لافَوْقهـا وقدْ أرادَ المُلحِدُونَ عَوْقَهَا
عنكَ ويأبَى اللهُ إلاَّ سَوْقَهَا إلَيْكَ حتَّى قلَّدُوكَ طـوْقَهَا

ويقف الأخطل التغلبي مناصرا بني أمية ،ومهاجما الزبيريين ،وذلك لأسباب متعددة منها الدينية ،والشخصية ،والقبلية ،والعصبية؛فقد كان نصرانيا ،ومن البديهي جدا أن يناصر أكبرقوة ،وهي قوة الأمويين في مواجهة العائذ بالبيت ابن حَوارِيّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عبد الله بن الزبير ،كما أن قبيلته كانت في قتال مع قيس التي تؤيد الزبيريين ،فضلا عن بذخ الأمويين في صلة الشعراء .يقول الأخطل: [2]

من بحر **الطويل**

أَمعْشرَ قَيسٍ لمْ يُمتَّعْ أخُوكـُمُ عُمـــيْرٌ بأكفـــانٍ ولا بطَـهورِ
تدُلُّ علَيه الضَّبْعَ ريحٌ تَضوَّعَتْ بِلا نفْـحِ كافُـــورٍ ولا بـِعبيرِ
أَلاَ أيُّهذا المُوعِدِي وسْطَ وائلٍ أَلستَ تَرى زَارِي وعِزَّ نَصـيرِي
وغَمْرةَ مَوتٍ لم تكُنْ لتَخُوضَهاوليسَ اخْـتلاسِي وسْطَهمْ بيَسِيرِ
هُمُ فتَكُوا بالمُصْـعبَيْنِ كِليـْهِما وهُمْ سَيَّـروا عَيْـلانَ شرَّ مَـسيرِ
وَناطُوا مِن الكذَّاب كفًّا صَغيرةً ولَيـسَ علَيـهِمْ قتـلُه بِكَـبِير
وَأحْمَوا بلادًا لمْ تكُنْ لتَحُلَّها هَـــوازنُ إلاَّ عُـوَّذًا بأمِـــيرِ
وذادَ تميمًا والَّذينَ يلـُـونَهُـمْ بِها كُلُّ ذيّـَالِ الإزارِ فَـخورِ

فالشاعر يضع نفسه مع قومه من التغلبيين المناصرين للخليفة الأموي في مواجهة

1-ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحق: عبد المجيد الترحيني ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1983، جـ 5،ص159. -ناط:علق،وناط الأمر بفلان عهد به إليه.-عوذا:أي معتصمين محتمين.

2– الحاوي إليا: الأخطل في سيرته ونفسيته، ص 56-58.

قبائلقيس المناصرين للزبيريين ،ويقرُّ أنهم فتكوا بالمصعبيين إشارة إلى مصعب بن الزبير وأخيه عبد الله ،ويصف الأخير بالكذّاب ،ويرى أن قتله ليس بكبير ،وهو نفي يتضمن إثباتا من آخرين بأنه كبير.

ويواجه الشاعر في أكثر من موضع الزبيريين ويهجوهم ،ويقرر أن الله لم يرض عنهم ،ولا عن قيس عيلان الذين ناصروهم ،كما يمدح الخليفة الأموي ويصفه بأنه في هامة من قريش ،وأنهم بيض كناية عن شرف الأصل ،وأنهم أبناء الملوك، وهم حين يطلبون الملك فإنهم يطلبون حقًّا لهم .

وهكذا تبدو المواقف الشعرية تصويرا لرؤية شعرية لتلك الأحداث السياسية الخطيرة التي شهدها تاريخ الأمة الإسلامية ؛وهي مواقف لا تقل أهمية عن مواقف السادة والزعماء من حيث إن الشعر كان هو صحافة العرب وإعلامهم ،وإذاعتهم التي

تعبر عن واقعهم وصراعهم.والقبيلة العربية كانت تقيم الأعراس والأفراح عندما يولد فيها شاعر. فالأخطل عندما هجا الزبيريين ومدح الأمويين ،كان واضحا في إظهار هذه **المواقف ؛حيث يقول:** [1]

من بحر البسيط

فاللهُ لم يرضَ عَن آلِ الزبـــير,ولاَ عَن قَيسِ عَيلانَ حيًّا طالَ ما خَـرَبُوا
يُعاظِمونَ أبا العاصي وَهمْ نفَـــرٌ في هامةٍ منْ قريشٍ دونَها شَــذَبُ
بِيضٌ مَصَا ليتُ أبنَـــاءُ المُلوكِ فلَنْ يــدْرِكَ مَا قـدَّموا عُجـــمٌ ولا عَرَبُ
إنْ يحلُمُوا عنْك فالأحلامُ شيمتُهمْ والموتُ ساعةَ يحْمَى مِنهمُ الغضَبُ

1-المرجع السابق نفسه، ص106—107.-يحلموا:يُعفوا.يحمى:يشتد.

إن يكُ للْـــحقّ أسبابٌ يُمَـدُّ بِها ففِي أَكفِّهِمُ الأرْســانُ والسَّبَبُ

وأما الفرزدق فيقف هو الآخر مادحا عبد الملك بن مروان ومعرضا بعبد الله بن الزبير ؛حيث يصفه بأنه كذاب مكة وكيف أن الزبيريين راموا الخلافة غدرا فأخطأوا وأخطأهم المقدور فيقول:[1] من بحر **البسيط**

إذا أتَيتَ أميرَ المــؤمنيـنَ فقُلْ بالنُّصح والعِلمِ قَولاً غيرَ مكْذُوبِ
أمّا العِراقُ فقدْ أعطتْكَ طاعَتَها وعادَ يُعمَــرُ منْها كلُّ تخْريــبِ
أرضٌ رميْتَ إليها وهْيَ فاسِـدةٌ بصَارِمٍ مِن سُيوفِ الله مـشْبُوبِ
فالأرْضُ للهِ ولاّ ـهــا خَـــليفـتَهُ وصَاحِبُ اللهِ فيــها غَيــرُ مغْلُوبِ

وأما جرير فإنه ،كما يقول عنه المؤرخون ، والدارسون لشعره ،وبخاصة محقق ديوانه،(كان زبيري الهوى ،شأن الشعراء المضريين جميعا ،رغم أننا نجد في كل قصائده بيتا واحدا في مدح ابن الزبير أو أبنائه، أو حتى الموالاة والمشايعة ،ولكن قد يستشف هذا الميل أو الهوى من خلال أهاجيه للفرزدق؛ فقد عيّره وقومه بعدم وفائهم بعهودهم ،وتخلفهم عن حماية الزبير ونصرته، وقد كان يسميه بأحب لقبٍ إلى قلبه(حواري الرسول) ،وسمي يوم مصرعه(يوم الحواري)رثته النجوم)[2]. يقول جرير[3] : من بحر**الوافر**

غَدَرتُمْ بالزُّبيرِ وخُنتُمُوهُ فَما ترْجُو طُهيَّةُ مِن ثَباتِ

1—الفرزدق :ديوانه،جـ1،ص24—25. -السبب: كل شيء يتعلق به.- طهية:من قبائل ربيعة.

2– تاج الدين شلق: شرح ديوان جرير، دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان ،ص11.

3– جرير : ديوانه ،جـ2،ص828.

وكما يقول أيضا من قصيدة أخرى[1]: من بحرالكامل

إنَّ الفَضيحةَ لو بُلِيتِ بقيْـنهِم ومع الفَضيحةِ غُربةٌ وضِرارُ
هلاَّ الزبيرَ مَنَعتَ يوم تشَمَّستْ حَرْبٌ تَضرَّمُ نارُ هُا مِذكـارُ
ودَعا الزبيرُ فما تحَرَّكتِ الحُبَى لو سُمْتَهُمْ جُحفَ الخزيرِ لَثارَوا

وقد وَصف الزبيرَ بالحواري في قصيدة أخرى، وهو يهجو الفرزدق وقومه لتخليهم عن نصرته ،فقال: [2] من بحر**الطويل**

فَما كان جِيرانُ الزّبـير مُجاشِعٌ بألأَمَ مِن جِيرانِ وهبٍ وأغدَرَا
وقالَت قريشٌ لِلحَوارِيّ جارِكُمْ أَرَغْوانَ تَدعُو للجِوارِ وضَوْطَرَا
تَراخيـتُمُ يومَ الزُّبَـيرِ كأنّكُـمُ ضِبـاعُ مَغـاراتٍ يُبـادِرْن أجْعَـرَا

إن ميل جرير إلى الزبير في هذه الأبيات وهجاءه اللاذع والقوي لأولئك الذين تخلوا عن مؤازرته ،ما هو إلا نكاية في خصمه اللدود الفرزدق وقومه،وليس أبدا حبا في الزبير وأبنائه، ولأنه كما قال محقق الديوان:(ومع ذلك ذمَّ ولدي الزبير وعرّض بهما: عبد الله ومصعب.ونسب إلى عبد الله الكفر والإلحاد تزلفا وإرضاء لحكام وخلفاء الأمويين)[3] ،ولجرير أبيات أخرى يشمُت فيها بابن الزبير حيث يقول:[4]

من بحر**الوافر**

1- المصدر السابق نفسه ،جـ2،ص867.

ـجحف الخزير :الحساء من الدسم والدقيق وقطع صغيرة من اللحم.
-مجاشع:اسم رجل،وكنيته رغوان لكثرة كلامه وجهارته فسمعته امرأة فقالت :ما هذا إلا يرغو.

2- المصدر نفسه ،جـ1،ص 47 .

3- جرير :مقدمة ديوانه.

4- جرير :ديوانه ،ج1 ،ص 101-

دَعَوتَ المُلْحـدينَ أبا خُبيبٍ جِماحًا هلْ شُفِيتَ مِـنَ الجِماحِ
فقدْ وجَدوا الخَلـيفَة هِبرِزِيًّـا أَلَفَّ العِيـصِ ليسَ من النَّـواحي
فما شَجراتُ عِيصِكَ في قُريشٍ بعَشَّـاتِ الفُروعِ ولاَ ضَواحِـي
رأَى النَّاسُ البَصيرةَ فاسْتـقامُوا وبيَّنْتَ المِراضَ من الصِّحـاحِ

ولاشك أنَّ لحكام الأمويين وبطشهم وقوتهم وطول باعهم أثرًا بليغا في ترهيب الشعراء ،وكذلك فقد كان لسخائهم وعطاياهم الوفيرة أثر أكبر في ترغيب هؤلاء الشعراء واستمالتهم أوشراء ذممهم،الأمرالذي لم يتوفر للزبيريين لا قليله ولا كثيره.

وأما الشاعر عديُّ بن الأقرع العاملي فقد نشأ في عاصمة الخلافة الأموية(وتحقق عنده الإحساس بكيان الدولة وهي تبني حضارتها وترسخ قواعد بنائها وتقاليدها ،فامتزج هواه بهوى الدولة ،وارتبط وجودُه بوجود خلفائها يمدح حياءهم ،ويمجد

أعمالهم ،ويرثي أمواتهم ،ويرى رأيهم ، ويقول بقولهم ، يدافع عن مبادئ الدولة ،ويؤيد سياستها ،ويتحمس لها ،وقد وظف شعره لنصرتها، وشهر سيفه في وجه خصومها ، وسالم من سالمها ،وعادى من عاداها ، وهو في رأيه هذا لا يصدر عن رهبة ،ولا ينافق عن خوف ،ويعبر عن الحقيقة كما يراها،والعقيدة كما يؤمن بها ، والوفاء كما فرضته أخلاقه لأنه يعتقد بأن نصر الدولة هو نصر من الله الذي لاغالب له)[1] .

1- عدي بن الرقاع العاملي: ديوانه،تحق: حسن محمد نور الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت 1990،ط1 -مقدمة الديوان.-الهبرزي: الخالص.-العيص :الشجر،ومعناه هنا الأصل.

-أبا خبيب:عبد الله بن الزبير.-الجماح :العناد والخلاف.-الملحد:بمعنى المخالف هنا.

ومن تلك القصائد التي تكشف عن موقفه المعارض للزبيريين والمؤيد للأمويين بائيته التي يتحدث فيها عن مقتل مصعب بن الزبير ،والتي يقول فيها.[1]

من**بحرالمتقارب**

لَعمْري لقَد أصْحَرتْ خيلُنا بأكْنـافِ دِجْلـةَ للِمُصـعَبِ
إذا ما مُنافِـقُ أهـلِ العرا قِ عُوتِب ثُمَّـتَ لم يُعتَبِ
دَلفْـنا إليـه بذِي تـُدْرإٍ قَلِـيلِ التفـقُّدِ للغُـيَّـبِ
يَهـزُّون كَلَّ طَويـلِ القَنا ةِ مُلتئمِ النَّـصْل والثَّعْلَـبِ
فِـدَ اوُك أمّـي وأبنَاؤُهـا وإنْ شِئتَ زِدتُ علَـيها أَبِـي

وأما نابغة بني شيبان فيقف وقفة شجاعة يؤيد فيها بني أمية ويعارض الزبيريين مشكلا لهم إطارا شعريا يجمع بين شرف الأصل والنسب القرشي الخالص.إلى جانب القوة والشجاعة فنراه يقول مادحا عبد الملك بن مروان.[2] من **بحرالمنسرح**

أَزحْتَ آلَ الزُّبيـرِ عنَّـا ولَوْ كانَ إمامٌ سِـواك ما صلُـحُوا
إنْ تَلْـقَ بلْـوى فَصابـرٌ أنِـف وإنْ تـُـلاقِ النُّعْمى فلا فَـرِحُ
وآلُ أبِي العاصِ آلُ مَـأثُرةٍ غُرٌّ عِتـاقٌ بالخَـيرِ قَد نَفَـحُوا
خيرُ قُريشٍ وهُـمْ أَفاضِـلُها في الجِدِّ جِدٌّ وإنْ هُـمُ مَزحُوا
أرحَبُـها أذرُعَا وأصْبرُهـا صبرًاإذا القومُ في الوغَى كلَحُوا
أمَّا قريـشٌ فأنتَ وارثُهـا تَكُـفُّ من شغْبِهِمْ إذا طمَحُوا

---

1 – المصدر السابق نفسه، ص59.-ذو تدرإ:ذو حفاظ ومنعة.-دلف:مشى وقارب الخطو.

2 – نابغة بني شيبان : ديوانه ،تحق: محمد نبيل طريفي ،دار الكتب المصرية، القاهرة، 2000، ص 106-107.-وآل أبي العاص: تقرأ(وال)دون همز حتى يستقيم الوزن.-آل مأثرة:تقرأ بالهمز كماهي.

إن المروانيين من بني أمية وهم خير قريش ومن أفاضلها وأرحبها ذراعا ،وأصبرها على الجهاد والقتال ،وهم لهذا وارثوا قريش وأحقها بالخلافة.

وأما الراعي النميري فيرى أن الخلافة قدر قدره الله لبني أمية ،وأن الله أخرج الأمة من داهية عظيمة حين انقادت الأمور للأمويين ؛فنجده يقول في مدح عبد الملك بن مروان[1]:

من بحر **البسيط**

إنَّ الخِلافَةَ مِن ربّي حَباكَ بِها لمْ يُصْفِها لكَ إلاَّ الوَاحدُ الصّمَدَُ
القابِضُ الباسِطُ الهادي لِطاعتِه في فِتنةِ النَّاسِ إذْ أهْواؤُهمْ قِدَدُ
أمْرًا رضِيتَ لَه ثُمَّ اعتمدْتَ له واعْلَمْ بأنّ أمِيـــنَ اللهِ معتَمدُ
واللهُ أخْرجَ مِن عَمياءَ مظلِمةٍ بِحـزْم أمْـركَ والآفــاق تجْتلـدُ
فأصبحَ اليومَ في دارٍ مــباركةٍ عند المَليكِ شِهابًا ضوؤهُ يـَقِدُ

استطاع الشاعر في هذه الأبيات أن يربط ويقرن بين كل أسباب الحياة بنوع من التسليم للمقدور ، فكل شيء يسير في الحياة بمقدار ، وكل ما يناله المرءمكتوب،وهي الفكرة التي بنا عليها الأمويون حكمهم من حيث أن كل شيء لله عز وجل ،سواء توليهم الحكم أو قتل خصومهم من الشيعة أو الزبيريين.

لقد كانت الحركة الزبيرية ذات أصول قوية راسخة في وجدان المسلمين سواء من الناحية الدينيةأو السياسية ،وقد حاولت هذه الحركة أن توقف مسيرة الحكم الأموي ونجحت في ذلك إلى حد كبير حتى كادت أن تستولي على الخلافة الإسلامية دون منازع ولكن خلافها مع الأحزاب الأخرى التي تحالفت على الإطاحة بها وضعف قدرتها السياسية واعتمادها على النزاع القبلي بين القبائل الشمالية والجنوبية وكان كل ذلك من الأسباب التي عجلت بنهايتها.

---

1 – الراعي النمري: ديوانه ، شرح: واضح الصمد ،دار الجيل ،بيروت ،ط1-1995،ص63.

ثالثا: شعر الخوارج:

لو بحثنا في الشعر العربي القديم الذي سجل أحداث الخوارج منذ نشأتهم حتى نها ية القرن الثالث الهجري ،لوجدناه يعبر تعبيرا دقيقا عن حياتهم الاجتماعية ،والدينية ،والسياسية التي عاشوا في ظلها .ومهما كان تداخل أغراض شعر هذا الحزب إلا أن شعراءه جميعا عجزوا عن تقرير وتوضيح مبادئ معتقداتهم وآرائهم عن طريق شعرهم .

والذي لاشك فيه أن الخوارج هم أول من رمى علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) بالكفر ،مرتكزين في حكمهم هذا على أساس ديني؛حيث قالوا:(لا حكم إلا الله)[1] ؛ولا ريب أنهم بحثوا وتجادلوا مع بعضهم ومع مخالفيهم حول قضايا فقهية واعتقادية متعددة إلا أن هذه المسائل والنقاشات بقيت جميعها حبيسة الجلسات التي كانت بينهم ولم تبرز في قصائد شعرائهم الذين لم يعطوها أهمية بقدر ما جعلهم يهتمون بظاهرة الاستشهاد في سبيلها ؛فدار جُلُّ شعرهم حول تضحياتهم وبطولاتهم وتعبدهم وتهجدهم ؛هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن أغلب شعرائهم كانوا من الفرسان وحملة

السلاح، لذلك لم يخرج شعرهم عن دائرة الحروب التي اشتركوا فيها ،والمواقع القتالية التي سقط فيها شهداءهم ؛ثم إن أولئك الشعراء الذين لم يشاركوا في القتال نجدهم قلة ،ومع ذلك ظلوا طوال حياتهم يقدمون الأعذار والأسباب التي حالت دون اشتراكهم في القتال مع أتباعهم ،ثم إنهم ظلوا طيلة حياتهم يتلقون شتى ألوان التقريع والسخرية

1-أحمد الشايب : تاريخ الشعر السياسي، ط5 -1976،مكتبة النهضة المصرية، ص 185.

من أتباع مذهبهم ،فهاهو أبو خالد القناني يؤثر القعود على الاشتراك في القتال فيتعرض للهجاء من قطري بن الفجاءة الذي يخاطبه قائلا:[1]

من بحر **الطويل**

أَبَاخـــــالدٍ انْفرْ فلسْتَ بِخـــالدِ وما جَعلَ الرَّحمنُ عُذرًا لِقاعِدِ

أتَزعُمُ أنَّ الخارِجيَّ علَى الهَوى وأنْتَ مُقيمٌ بينَ لِصٍّ وجاحِــدِ

ويرد عليه أبو خالد مقدما اعتذاره مع السبب الذي منعه عن الاشتراك في القتال ،فيقول[2]: من بحر**الوافر**

لَقدْ زادَ الحَيـــــاةَ إليَّ حُبًّا بنــاتِي أنَّهُنَّ مِن الضِّــعَافِ

أُحَاذِر أنْ يَرِيْنَ الفقْرَ بعْدِي وَأنْ يشْـــربْنَ رَنْقًا بعْدَ صَافِ

من هنا يتبين لنا أن القتال والاستشهاد في سبيل معتقدهم هو الذي كان يستهوي عقولهم وتفكيرهم ،حتى إن الكثير منهم كان يتمنى الموت واللحاق بأصحابهم الذين سبقوهم إلى الجنة كما يعتقدون ويفكرون.لذلك كان عليهم أن تدور أشعارهم في هذا المجال من قتال وحروب، واستشهاد في سبيل عقيدتهم ،وما تعرضوا له من اضطهادات ومحن كل هذه الألوان الحياتية القاسية التي عاشوها طيلة حياتهم كانت سببا في عدم وصول شعرهم إلينا بشكل كامل.

1– المبرد : الكامل في اللغة والأدب ،جـ4،ص167.

-الرنق: رنق الماء:كدِر.

2– المرجع نفسه، جـ 4،ص167.

ومن ناحية ثالثة فإن تمسكهم بالبداوة وبساطتها ثم رأيهم في أن الاتصال بالثقافات الأجنبية المزودة بالفلسفة والمنطق يضعف إيمانهم ويخلخله ؛ ففضلوا الابتعاد عنها ،والتمسك بالكتاب والسنة ،يغرفون منهما مادتهم الشعرية؛ تقول سهير القلماوي :(لم

نجد في أدبهم جدلا أو دفاعا بالحجج والبراهين وإنما وجدنا نغما دينيا قويا في إيمانه ساذجا بسيطا يستمد جماله من هذه القوة وتلك السذاجة والبساطة)[1].

وهكذا ظلت عمق الإيمان وحرارة العاطفة الدينية وحدهما يتحكمان في موهبتهم الشعرية ،ولم يحفلوا بالعقل ولم يخاطبوه كما خاطبه غيرهم من شعراء الفرق الحزبية الأخرى المعاصرة لهم ؛ فهذا فروة بن نوفل أحد شعراء القرن الأول الهجري يدين مبدأ التحكيم ويدعو إلى مفارقة عليّ بن أبي طالب ،لاعتقاده أن عليا قد كفر وضل حين حكم الرجال في كتاب الله ،حيث يقول[2]: من بحر **الوافر**

نُقاتِل مَن يقاتلُـنا ونرْضَى بحُكمِ اللهِ لا حُكمِ الـرِّجالِ
وفَارقْـنا أبَا حَسنٍ عَليًّـا فمَا مِن رجْعةٍ أخْرَى اللَّيالي
فحكَّمَ في كِتابِ اللهِ عمْرًوا وذَاك الأشْعَرِيَّ أخَا الضَّـلالِ

1– سهير القلماوي : أدب الخوارج في العصر الأموي ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1945،ص41.

2– المطهر بن طاهر : البدء والتاريخ ،مكتبة الثقافة الدينية ،بور سعيد ،مصر، جـ5، ص101.

فأبيات فروة هذه تشير إلى اعتقاد واضح من اعتقادات الخوارج وهو تكفير عليّ ومعاوية والحكمين؛ثم هاهو شاعر الخوارج الأبرز عمران بن حطان لا يخرج عن دائرة فروة بن نوفل ،وذلك عندما يحاول تبرئة عبد الرحمن بن ملجم من دم علي رضي الله عنه ،فلا يزيد شيئا على أن ابن ملجم حين قتل عليا كان صائبا في عمله ،وأنه يستحق ثواب الجنة ،فتبريره هذا بعيد كل البعد عن العقل والبراهين والمنطق، بل إنّه لا يتعدَّى خطوط العاطفة والوجدان ، فهو يقول:[1] من بحر**البسيط**

ياضَربـــةً مِنْ تَقــيٍّ ما أرادَ بِها إلاّ لِيبلُغ مِنْ ذي العرْشِ رِضْوانَا
إنّـي لأَذكُرُه يَـومًا فأحْسبُــه أَوْفَــى البريّةِ عنـدَ اللهِ مِيزانـا
للهِ درُّ المُراديّ الَّذي سَفكَتْ كفَّاه مُهْجـةَ شـرِّ الخَلْقِ إنْسـانـا

فعمران في أبياته هذه لم يحاول إثارة القضية التي قُتل عليٌّ بسببها ، وهذا ما دفع سهير القلماوي إلى القول :(وقد كان هنا موضع الكلام عن نظرتهم في التحكيم والدفاع عنها وموضع البراهين والجدل، لكن عمران وإن يكن زعيم فئة قوية هي فرقة(الصفرية) وممن درسوا الحديث وحفظوا القرآن وجادلوا في المذهب ،فإنه لا يذكر شيئا من هذا)[2] .وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على أن شعراء الخوارج كانوا يعتقدون أن إيمانهم يتعزز فقط، بكثرة التلاوة والتهجد والتعبدوإطالة الصلاة ،حتى إن النوافل منعت بعضهم من قول الشعر ،وهذا ما نراه

1نشوان الحميري :الحور العين،تحق:كمال مصطفى ،دار أزال ، بيروت ، ص.136.

2- سهير القلماوي: أدب الخوارج في العصر الأموي ،ص.44

في قول الأعرج المُعَنَّى أحد شعراء القرن الأول الذي تركالشعرواستبدله بالصلاة.حيث يقول[1]: من بحر **الوافر**

تَركْتُ الشِّعرَ واستَبدلْتُ مِنهُ إذا دَاعِي صَلاةِ الصُّبْحِ قَامَـا
كِتابَ اللهِ ليْـــسَ لَهُ شَريـكٌ وودَّعـتُ المُـدَامةَ والنَّـدَامَـى
وحَرَّمتُ الخُمورَ وقدَ أرانِـي بهَا سَدِكًا وإنْ كَـانتْ حَرامـَا

وهذاعيسى بن فاتك الخطي ،شاعر الأزارقة أتباع نافع الأزرق الذي قتل بعد خروج الأزارقة ،في منتصف القرن الأول الهجري، يشير إلى طول سهر أتباعه الأزارقة؛ حيث يبيتون الليل كله في التلاوة والتسبيح والتعبد وذكر الله. إذ يقول[2]:

من بحر الوافر

إذا مَا اللَّيلُ أظلَمَ كابَدُوهُ فيُـــــسفِرُ عَنهُمُ وهُـمُ رُكـــوعُ
أطارَ الخَوفُ نَومَهُمُ فقامُوا وأهلُ الأرضِ في الدُّنيا هُجُوعُ
يُعالُون النَّحِيبَ إليهِ شَـوقًا وإنْ خَفَـضُـوا فَـربُّهمُ سَميـــعُ

فهو يقارن بين أتباعه وأصحاب الدنيا ممّن مذهبُهم غير هذا؛حيث يجعل أتباعه يقضون الليل كله ركّعا سجّدا تقربا إلى الله ،لخوفهم منه ،بينما يرى أهل الدنيا من غير مذهبه ،يقضون ليلهم في النوم العميق ،غير حافلين بربهم.

ونعود إلى فروة بن نوفل لنجده يحاول توضيح إيمان أصحاب عقيد ته ؛ حيث يؤكد لنا أن الصّوم المستمر أضعَفهم وأنْحَلَ أجسادَهم .

1– المرزباني :معجم الشعراء ، تحق: فاروق اسليم ،دار صادر ،بيروت ،ط1-2005 ، ص251-252.

–سدك :سدك بالشيء:لزمه.

2– المبرد: الكامل في اللغة والأدب ،جـ 3،ص256.

فهو يقول :[1] من بحر **الطويل**

تَظَلُّ عِتاقُ الطّيرِ تحَجُل حوْلهُمْ يُعلّـلـْنَ أجْســـادًا قلـــيلاً نعِيــمُها
لِطَافًا بَراهَا الصَّـومُ حتَّى كَأنّها سُيوفٌ إذا ما الخَيلُ تَدْمى كُلُومُها

وعندما ما قتل نفر من رؤساء الخوارج في أواخر أيام يزيد بن عبد الملك وهم:مصعب بن محمد،ومالك بن الصعب ،وجابر بن سعد وغيرهم،قال فيهم أحد من شعرائهم[2]: من بحر**الخفيف**

فِتْيَةٌ تعْـرِفُ التّخَشُّعَ فِيــهِمْ كلُّهُمْ حَكَّمَ القُرآنَ غُلا مَا

قَد بَرى لَحْمَه التَّهجُّدُ حَتّى عادَ جِلْدًا مُصْـقَّراً وعِظامَا

فما نلاحظه في البيتين السابقين أن الشاعر يحاول الإشارة إلى معتقد من معتقدات الخوارج الأساسية وهو (لا حكم إلا لله) ،غير أنه من جهة أخرى نراه يكتفي بربط هذا الاعتقاد الأساسي بتقوى أصحابه ،وإيمانهم ولا يزيد عليه شيئا.

ومعروف عن الخوارج أنهم يرون أن الحروب والقتال في سبيل تحقيق أهدافهم لا يوقفهم عن ذكر الله؛حيث إنهم قبل أن يوجهوا سلاحهم ليغرسوه في صدور أعدائهم ومخالفيهم، كانوا يؤدون صلاتهم كاملة في جماعة متماسكة، لأن الصلاة فرض يجب أن يعطى حقه والجـــهاد كذلك ،فرض ويجب أن يعطى

1– ابن عبد ربه :العقد الفريد ،جـ 3،ص303.

2– المبرد :الكامل في اللغة والأدب ،جـ ،3ص253.

الإيمان[1]. وهذا ما نجده في شعر عيسى بن فاتك ؛حيث يقول[2]:

من بحر **الوافر**

فَلمَّا أصْبَحُوا صلُّــوا وقامُــوا إلَى الجُردِ العِتاقِ مُسوَّمِينَا
فلَمّا استجْمَعُوا حمَلُوا عَليــهِمْ فَظلَّ ذوُوا الجَعائِلَ يُقْتلُونـَا
بَقيَّــةَ يومْهِـــمْ حتىَّ أتاهُـمْ سَوادُ الليــلِ فيهِ يُراوَغُونـَا
يقُولُ بَصِــيرُهُـمْ لمّا رآهُــمْ بِأنَّ القــومَ ولُّوا هَارِبينـَــا
ألْفـــَا مُؤمـنٍ فيما زعمتُـــمْ ويهـزمُهم بآسَـكَ أرْبعُونَـا
كذبتُم ليس ذلكَ كما زعمتُم ولكـنَّ الخوارجَ مؤمِـنُونـَا
هُمُ الفِئـــةُ القَليـلةُ غَيـرَ شــكٍّ عَلى الفِئةِ الكَثيرةِ يُنصَرُونَـا
أَطَعتُـــمْ أمْـرَ جَبـَّـارٍ عَنيــدٍ ومـا مِن طاعــةٍ للظَّالميــنا

يبين الشاعر عيسى بن فاتك ،في أبياته هذه ، إيمان الخوارج المتمثل في الشجاعة والثبات أمام أعدائهم ،ودليله في ذلك هو انتصارهم على الأعداءفي كل ساحات الوغى التي يدخلونها ،على الرغم من قلة عددهم وعدتهم، وكثرة خصومهم ،وهذا في نظره ،إن دل على شئ ،إنما يدل على قوة إيمانهم بخالقهم ومتانة عقيدتهم الراسخة في قلوبهم.وفي هذا يقول الله تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)[3].

1– الطبري : تاريخه ،جـ5،ص314- ذوو الجعائل:جنود بني أمية المأجورون.

2-المصدر نفسه :جـ5 ،ص313.-.-يراوغون:راغ عليه بالضرب اندفع إليه به.

3-سورة الأنفال:آية65.

وكذلك في قوله عزّ وجل: (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)[1].

ونرى أن شدة الخوف من عذاب الرحمن عند الخوارج ،برغم كثرة تعبدهم وطول سهرهم تهيمن على نفوسهم وعقولهم ،مما دفع بعضهم إلى المزيد من المغالاة في تأدية النوافل ؛حيث يقومون الليل وأطراف النهار ،ولم يكتفوا بهذا القدر بل زادوه غلُوا ؛فهم صائمون في النهار ،ومتهجدون في الليل حتى ضعفت أجسادهم واصفرت وجوههم.وهذه الأعمال جميعها لم تكن إلا نتيجة الخوف من عذاب الله الذي كان يلاحقهم.أينما كانوا ؛وهذا ما نجده في قول أحد شعرائهم وهوالطِّرمّاح ابن حكيم[2] : من بحر **المنسرح.**

للهِ دَرُّ الشرَاةِ إنَّهُمُ إذا الكَرَى مالَ بالطُّلَى أرِقُوا
يُرجِّعُونَ الحَنِينَ آونةً وإنْ عَلا ساعةً بهِمْ شهِقُوا
خَوفًا تَبيتُ القُلوبُ واجِفةً تكادُ عَنها الصُّدورُ تنْغلِقُ
كَيفَ أُرجِّي الحَياةَ بَعْدَهُمُ وقَد مَضَى مُؤنِسيَّ فانْطَلَقُوا
قَوْمٌ شُجاعٌ عَلَى اعتِقادِهُمُ بالفَوْزِ مِمّا يُخافُ قَدْ وَثِقُوا

وشعورهم بهذاالخوف من عذاب الرحمن لا يقتصر على تردده عند شاعر واحد من شعرائهم ،بل نجده عند الكثير منهم ؛ حيث يرسمون له صورا وأشكالا متعددة؛ فهذا الأصمّ الضّبّي أحد شعرائهم نراه يؤكد على تبعيته لهذا المعتقد مشيرا إلى خوفهم الدائم والمستمر من الله عز وجل؛فهو يقول[3]**: من بحرالبسيط.**

1– البقرة : آية 247. -الطلى:جمع طلاة،العنق أو صفحته.

2- الطرماح بن حكيم : ديوانه ،تحق: عزة حسن ،نشر دارالشرق العربي ،ط2-2007 ،بيروت، ص578.

3– ياقوت الحموي :معجم البلدان ،دارالفكر ،بيروت ،ص153.

إنّي أَدِينُ بما دانَ الشّراة بِهِ يومَ النَّخِيلةِ عندَ الجوْسقِ الخَرِبِ
النّافِرينَ علَى مِنهاجِ أوَّلِهِمْ من الخَوارجِ قَبْلَ الشَّكِّ والرّيَبِ
قَومًا إذا ذُكِّروا باللهِ أوْ ذَكَرُوا خَرُّوا من الخَوفِ للأذْقانِ والرُّكَبِ
سارُوا إلَى اللهِ حتىَّ أُنزِلُوا غُرَفًا مِن الأَرائِكِ في بيتٍ مِن الذَّهَبِ
ماكانَ إلاّ قلِيلاً ريثَ وقْفَتِهِمْ مِن كلّ أبيضَ صَافي اللَّونِ ذِي شطَبِ
فأصْبحتْ عنهمُ الدُّنيا قدِ انقَطعَتْ وبلُّغُوا الغَرضَ الأقْصى مِن الطَّلَبِ

والشيء الذي نلحظه بقوة ووضوح أن إيمانهم يبرز أكثر في مراثيهم لشهدائهم؛ فالشهادة عند ذكرها في أشعارهم تعد مناسبة لتأكيد حسن تقواهم وطهارة إيمانهم .ومن

ثمّ نجد رثاءهم لشهدائهم لم يكن يقوم على البكاء والعويل والنحيب فقط ،بل هو رثاء من نوع آخر ،له سمات ومميزات تختلف جذريا عن خصائص الرثاء التقليدي؛ فهم لايرثون أشخاصا، بل يرثون المذهب أو العقيدة التي فقدوها في هذا الشهيد ،لأن الاستشهاد في نظرهم جميعا هو مصيرهم الذي ينتظرهم .

وأما الشهيد فلا داعي للبكاء والعويل والنحيب عليه ،لأن مصيره الجنّة ،فهو ينعم بخيراتها ؛ ولهذا نجدهم في شعرهم يتمنون اللحاق به دائما؛ فهذا شاعرهم الوفي عمرو بن الحصين العنبري يرثي أبا حمزة الخارجي وغيره من**الشعر اء ؛حيث يقول** [1]**: من بحرالكامل**

---

1 – إحسان عباس:شعر الخوارج ، دار الثقافة، بيروت ،ط2- 1974، ص224.

-الجوسق: القصر الصغير.-شطب السيف:خطوطه تتراءى في متنه.

يارِبّ أسلُـــكْني سَبيـــــلَهُمْ ذاالعرْشِ واشدُدْ بالتُّقَى أزْرِي
في فِتيةٍ صَـــبَروا نُفوسَـــهُمُ للـــمَشرفيَّة والقَنا السُّمْـرِ
تاللّـهِ أَلْقىَ الدَّهـرَ مِثلَـــهُمُ حَتىَّ أكُونَ رهِينـــةَ القبْرِ
أُوفِي بذِمَّتهِمْ إذا عَـقَـدُوا وأَعِـفُّ عندَ العُسْرِ واليُسْرِ
مُتأهِّبـُونَ لِكُـــلِّ صالِحَـةٍ نَاهُونَ مَنْ لاقُوا عنِ النُّكْرِ
كمْ مِنْ أخٍ لِكَ قَدِ فُجِعْت بِه قَـوَّامِ ليْلَـهِ إلَى الفَـجـْرِ

الشاعر ،في أبياته هذه، لا يخرج عن النهج الذي سار عليه أتباع عقيدته ومذهبه ؛فهو لا يبكي أصحابه أو يذرف الدموع عليهم، بل إنه يكتفي بالتحسر على فراقهم فحسب ؛ثم يطلق العنان في تعداد صفاتهم ومناقبهم، فيصفهم بالصبر والثبات في وجه العدو ،ومشيدا ببطولاتهم وتضحياتهم في سبيل آرائهم ومعتقداتهم ،مؤكدا على تقواهم المتمثل في المداومة على الصلاة وكثرة التعبد والتهجد.

وها هو عمر بن الحسين الإباضي يرثي شهداء الإباضية في قصيدة طويلة ، دون أن يخرج عن خطوات قصيدة عمر بن الحصين العنبري ؛حيث يعدد فيها هو الآخر صفاتِ شهدائه ،مشيرا إلى أخلاقهم ،وشهامتهم ،وعطفهم على بعضهم.يقول:[1]

من بحر**الكامل**

في فِتيةٍ شَرَطوا نُفُوسَهُمُ لِلمشْرَفيَّةِ والقَنا السـُّمْرِ

---

1 – المرزباني :معجم الشعراء ،ص229.

مُتراحِمينَ ذوُوا يَسارِهِـمُ يتعطَّفون علىَ ذوي الفـقْرِ

وذَوُوا خَصاصَتِهم كأنَّهمُ مِن صدقِ عِفّتِهِمْ ذووا وفْرِ
مُتجمّلِين بِطيبِ خِيمِهمُ لايهلعــُون لنبْوةِ الدَّهْــرِ
فكذاك مُثرِيهمْ ومُقْترُهمْ أكْرِمْ بمقــتِرهِم وبالمُثْــري

ويمكننا أن نقول إن الخوارج حين لم يجدوا أنفسهم قد أقاموا دولة إسلامية بكل أسسها وأركانها الديموقراطية القائمة على العدل والمساواة، فلا تجد فيها فرقا بين عربي وعجمي إلا بالتقوى ،وبناء مجتمع اشتراكي شريف، أخذوا ينظرون إلى الحياة بمنظار أسود ،وحاولوا أن يثبتوا للناس أن هذه الدنيا لا خير فيها، ولا فائدة ؛يقول أحدهم حين قدَّمه الحجاج للقتل[1]: من بحر**المنسرح**

وأيْقَنَــتْ أنَّهــا تَعــُودُ كَمَــا كانَ بَراهَا بِالأمْــسِ خَالقُــهَا
يُوشِــك مَــنْ فــرَّ مِنْ منيَّتِــهِ فِي بعْــضِ غِرَّتِــهِ يُــوافقُــهَا
مَنْ لمْ يمُتْ عِبْطةً يَمُتْ هَرمًا والمَوتُ كأسٌ والمَرءُ ذائقُهَا
ما رغْبةُ النَّفسِ في الحَياةِ وإنْ عَاشتْ قليلاً فالمَوتُ لاحِقُها

---

1 – المبرد :الكامل في اللغة والأدب ،جـ ،1ص71. الخيم :فرند السيف.

-يمت عبطة:أي شاباصغيرا. غرة:أتاه على غرة أي على غفلة وفجأة.

فالحياة في نظر صاحب هذه الأبيات لا خير فيها ،لأن الكل مصيره الزوال والفناء.والشاعر هنا يؤكد ما جاء في قوله تعالى :(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ..)[1].

وقد دفعهم حرصهم هذا على الموت وتمثلهم له، في كل حين إلى اتخاذ نظرة نحو الحياة تدل على زهد فيها ،وعزوف عن رغائبها ، فالعيش في الدنيا يعد في نظرهم شقاء وعذابا ،لا يستريح المرء منه إلا باحتساب نفسه لربه، وتهافته المُلحّ على الموت ليحقق سعادته الأبدية ،ويفوز بالجنة.[2]

ومن أبرزالشعراء عندهم في هذا الجانب ،نجد عمران بن حطان ؛حيث يقول في بعض أشعاره[3]: **من بحر الكامل**

حتىّ مَتى تُسْقَى النُّفُوسُ بِكأسِها رَيْبَ المَنُونِ وأنْتَ لاهٍ تَرْتَعُ
أفَقدْ رَضِيتَ بِأنْ تُعلَّلَ بالْمُــنَى وإلَى المَنيّةِ كُلَّ يَــومٍ تُدفَعُ
أَحْــلامُ نــــومٍ أوكَظِلّ زائِـــــلٍ إنَّ اللّبِــيبَ بمِثلِها لا يُخْــدَعُ
فتَزوّدَنَّ لِيــومِ فَقــرِكَ دائِبًـــا واجْمعْ لِنفْسكَ لا لِغيرِكَ تَجْمعُ

والحياة في نظره مثل السحابة العابرة ،لابد أن تنقشع ،ومع ذلك يرى الناس متشبثين بها ،متهالكين على متاعها،منخدعين بسرابها تغويهم وتعريهم وتلهيم عن

الحياة الأبدية التي هم راحلون إليها عاجلا أو آجلا،يقول[4] :

من بحر**الطويل**

أَرَى أشقِياءَ النّاسِ لا يسْأمُونَها عَلَى أنَّهُمْ فِيها عُراةٌ وجُـــوَّعُ

1– آل عمران :آية 185.

2– محمد عثمان علي :في أدب الإسلام ، ص402.

3- البغدادي: خزانة الأدب ولب لسان العرب ،تحق: عبد السلام هارون ،جـ 5،ص360

4-المرجع نفسه ،جـ 5،ص361.

أراهَا وإنْ كانَتْ تُحَبُّ فإنّهَـــا سَحابةُ صَيفٍ عنْ قَليلٍ تَقَشَّعُ
كَرَكْبٍ قضَوا حاجاتِهمْ وتَرَحَّلُوا طريقُهمُ بادِي العَلامةِ مَهيَـعُ

وأما الطِّرماح فإنه يشترك في الثورة على الحياة الدنيا ،معلنا ثورته الجامحة على كل من يحاول إدّخار الأموال واكتنازها ،لأنها لا تنفعه في يوم الآخرة ،وقد تقوده إلى عذاب النار.يقول[1]:

من بحر الخفيف

كلُّ حيٍّ مُستكمِلٌ عِدّةَ العُمْـ ـرِ إذا انْقَضَى عَـددُهْ
عجَبًا ما عجِبتُ للجامِعِ المَـ ـالَ يُباهِـي بهِ ويرتَفِدُهْ
ويَضِيـعُ الّذي يُصـيّرُهُ الْلـ ـهُ إليْـهِ فلَـيسَ يَعْتَقِدُهْ
يومَ لا ينفَعُ المُخَوَّلَ ذاالثَّرْ وَةِ خِـلاَّنُـهُ ولا ولَـدُهْ
يَوْم يُؤتَى بِهِ وخَصْماهُ وسْطَ الـ ـجِنّ والإنْسِ رِجلُه ويَـدُهْ
قُلْ لباكِي الأمْواتِ لا تبْكِ لِلنّـ ـاسِ ولايَسـتنـعْ بهِ فَنَـدُهْ
إنَّمَا النَّاسُ مِثلُ نابتةَ الزّرْ ع مَتَى يأْنِ يأْتِ مُحْتَـصِدُهْ

فالشاعر ،في أبياته هذه ،يحاول إعطاء صورة قبيحة للحياة ،ليبتعد عنها الناس ،ويقبلون على طاعة ربهم ،وتطبيق تعاليم دينهم ؛قبل أن يدركم يوم لا تنفعهم فيه مال تلك الكنوز والأموال؛لذلك فيا إنسان ،لا داعي للتكالب على ملذات الدنيا ومكنوزاتها مادام مصير كل حيّ الزوال والفناء والموت. والشاعر يستند في بعض معانيه في هذا النص إلى القرآن الكريم؛ يقول الله عز وجل: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ *)[2].

1– الطرماح بن حكيم :ديوانه ،ص197-198 . - يستنع :يتمادى—فنده: الحمق والكذب.

2– الشعراء: الآيتان : 88 -89.

والخوارج يعتقدون أن قتالهم للأعداء، ليس من أجل القتال والحرب فحسب، وإنّما يقاتلونهم من منطلق ديني محض ،لأنهم ينظرون إلى عدوّهم على أنه ضلَّ عن الطريق ،وأشرك بالله تعالى .ولذا وجب قتاله ؛وأصبح من الضروري على كل مسلم

أن يقاتله ؛ فهذا قَطري بن الفجاءة يؤكد صدق ما يذهب إليه الخوارج ؛حيث يقول:[1]

من بحر **الطويل**

فلَو شهِدَ تْنا يومَ ذاكَ وخَيلُنَـا تُبيحُ من الكُفَّار كلَّ حَرِيمِ
رَأتْ فِتيةً باعُوا الإلهَ نُفُوسَهُمْ بِجنَّاتِ عَدْنٍ عِندَه ونَعِيـمِ

ولم يكتف اعتقاد الخوارج في مخالفيهم أنهم كفار فحسب، بل تبرأوا منهم براءة أبدية ، لا رجعة فيها ،حتى يعدلوا عن آرائهم، ويتوبوا ،وبعد ذلك يمكن أن ينضموا إلى صفوف المسلمين فيمثلوا أفكار النيرة الواضحة.[2]

فهذا أحد شعرائهم البارزين ،وهو الطائي ،يعلن براءته من سيف بن هانئ والإمام علي بن أبي طالب ،ومعاوية وكل أتباعهم ؛حيث يقول [3]:

من بحر **البسيط**

يا لَهْفَ نفْسي علَى سَيفٍ وشِيعتِهِ لَو كُنتُ ألْحقْتُ سَيفًا بالخَبيثِيـــنَا
أبْرأُ إلَى اللهِ مِن سَيفٍ وشِيعتِـهِ ومِن عَليٍّ ومِن أصْـــحابِ صَفّينَا
ومِن مُعاويةَ الغَـــاوي وشِيعتِـــهِ أخْـزَى إلَهُ الوَرَى تِلـكَ العَثانِينـــَا

---

1 - المبرد :الكامل في اللغة والأدب ،جـ 1،ص29 .العثانين:جمع عثنون، اللحى.

2- إحسان عباس : شعر الخوارج ، ص178.

3– المرجع نفسه، ص184-185.

فالطائي في أبياته السابقة ،ينكر أعمال الجميع الذين ذكرهم ويجعلها أعمالا مضرة بالإسلام ،ومن ثم، فهو يعُدهم من الخارجين على الدين الإسلامي بامتياز ،نافيا على نفسه أن يُعَدَّ من هذه الطبقة المنحرفة الفاسدة الشاذة ،لأنهم في اعتقاده ،عبثوا بالإسلام وتعاليمه ،ومن ثمّ فالإسلام بريء منهم براءة أبدية.

ويذهب بعضهم إلى أبعد من هذا ،حينما يعتبرون أنّ من يعيش بينهم ويتعامل معهم ، يُعد مثلهم في الكفر والضلالة ،ومن ثم يصبح المسلم الحقيقي حرام عليه الجلوس أو التحدث معه ،ويجب عليه الرحيل عنه بسرعة دون إطالة،وإلا أصبح كافرا وضالا مثله.وهذا الاعتقاد نستشفه من قول معاذ بن جوين الطائي عندما همّ المغيرة الوالي الأموي بنفي الخوارج من الكوفة؛ حيث يقول:[1] من

بحر **الطويل**

أَلَا أيُّها الشّارونَ قدْ حانَ لامْـرِئٍ شَرَى نفْسَـــــهُ لله أنْ يتَـــرحَّلا
أقَمتُمْ بدارِ الخَاطئـينَ جَهــالَـةً وكُلُّ امرِئٍ مِنكُـمْ يُصــادُ ليُـقتَلا
فشُدُّوا على القَومِ العِداةِ فإنَّمـا إقامتُـكُمْ لِلـــذَّبحِ رَأيًا مُضـلـَّـلا
ألاَ فاقْصِدوا يا قَومُ للغَـايةِ الَّتــي إذا ذُكِـرتْ كانتْ أبـْرأ وأعْـدَلا

فَيا ليتَنِي فِيكمْ علَى ظهْرِ سابـحٍ شدِيدِ القُصَيْرَى دارعًا غَـيرَأعْزَلا
ويالَيتني فيكُم أُعَادي عَــدوّكُمْ فيسْقيَــني كَــأسَ المَنـــيَّة أوّلا
يعِزُّ عليّ أن تَخــافُـوا وتُطـرَدُوا ولـمَّــا أُجرِّرْ فِي المُحَلّينَ مُنْصُلا

1-الطبري :تاريخه، جـ 5 ،ص43.

-القصيري:أعلى الأضلاع وأسفلها – المُحل: الذي يستحل قتاله أو الذي لاعهد له ولاحرمة.

ومن آراء الخوارج ومعتقداتهم التي عبروا عنها في شعرهم الدعوة إلى الخروج على السلطان الجائر ،مهما كانت وضعيته وشخصيته ،وهذا الاعتقاد نادى به جميع فرق الخوارج دون استثناء ،ولهذا يعد أهمَّ مبدأ من مبادئهم. ولعل مقطوعة الصحاري **بن** الشبيب دليل واضح على نظرة الخوارج للسلطان الجائر؛حيث يقول:[1]

من بحر**المديد**

لمْ أُرِدْ مِنهُ الفــرَيضــةَ إلاَّ طمَـعًا في قتــلِهِ أنْ أنَــالاَ
كلّ جبــَّارٍ عَنيـــــدٍ أراهُ ترَك الحَــقَّ وسَـنَّ الضَّــلاَّلاَ
إنّني شَــارٍ بنفْسِـي لِربّـي تَـــــاركٌ قِيــلاً لديْهِمْ وقَالاَ
بائعٌ أهْلِي ومَالِي وأرْجُو في جِنانِ الخُلدِ أهْلاً ومَـالاَ

وهذا ابن ذكينه أيضا يقوم بتنبيه وتحذير عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي من الكفر والإشراك الذي وقع فيه أبناء قومه من قبله، ويدعوه إلى العمل الصالح والمساواة بين الرعية؛ حيث يقول:[2] **من بحرالبسيط**

قُلْ لِلمُولَّى علَى الإسلامِ مؤتنِفًا وقــدْ يَرى أنَّهُ رثُّ القــوَى وَاهِ
أزْرَى بهِ مَعشَــرٌ غَــذَّوهُ مَأْكَلَــةً بِنخْوةِ الضرّ والانــزاف والبــَاهِ
أنَّا شَــريْنا بدِيــنِ اللهِ أنْفسَنَــا نَبــغِي بذاكَ إليهِ أعْظمَ الجَــاهِ
نَنْهَى الوُلاَةَ بحَدّ السَّيفِ عنْ سَرَفٍ كَــفَى بِذاكَ لَهمْ مِن زاجِرٍ نَـاهِ
فإنْ قصدْتَ سبيلَ الحقّ ياعُــمَــرٌ آخَاكَ في اللهِ أَمْثالِي وأشْباهِي
وإنْ لحِقْتَ بقَومٍ كُنتَ واحِـدَهُــمْ فِي جَوْرِ سِيرتهِمْ فالحُــكْمُ للـّهِ

1– المرجع السابق نفسه ،جـ1،ص138.-مؤتنفا:مترفعا.-أزرى به:عابه.-الإنزاف :السكر.

2- المرزباني : معجم الشعراء، ص233.

ولم يكن التمسك بمعتقدات الخوارج مقصورا على الرجال وحدهم بل شمل نساءهم أيضا ؛حيث يحدثنا أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه عن امرأة يقال لها أمّ حكيم ،كانت مع الشاعر المعروف قطري بن الفجاءة في يوم دولاب ،وكانت تحمل على الناس وترتجز فتقول:[1] من بحر **الرجز**

أحمِلُ رأسًا قدْ سئِمتُ حمْلَهْ وقَدْ مَللْتُ دَهْنَهُ وغَسْلَهْ

ألاَ فتًى يحَمِلُ عَنّي ثقْلَهْ

والحق أن شعر الخوارج كله يزخر بصور التضحية والفداء ،فقد شَروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله ،ووهبوها للجهاد ،لذلك سُمُّوا بالشُّراة ،وفي هذا يقول الطرماح بن حكيم :[2] من بحر **البسيط**

قدْ شَقِيتُ شقـــاءً لا انقِطـاعَ لهُ إنْ لمْ أفُزْ فَــوْزةً تُنْــجي مِن النَّارِ
والنَّارُ لمْ يَنجُ مِن روْعاتــِها أحَدٌ إلاّ المُنِيبُ بقَلبِ المُخلصِ الشَّارِي

ويقول قطري بن الفجاءة في المعنى ذاته:[3] **من بحر الوفر**

أقُولُ لَها وقدْ طارتْ شَعــاعًا منَ الأبْطــالِ ويْحَكِ لَنْ تُراعِي
فإنَّكِ لَـوْ سـأ لْتِ بقَــاءَ يــومٍ على الأجَلِ الَّذي لَكِ لَنْ تُطاعِي
فَصبْرًا في مَجالِ الموْتِ صَبْرا فمَا نيـْلُ الخُــلُودِ بمُستَطــاعِ
سَبيلُ المَـوتِ غَايــةُ كلِّ حَيٍّ فَدَاعيــهِ لأَهْــــلِ الأرْضِ دَاعِ

1– أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ،جـ 6 ،ص66.-شعاعا:خوفا وفزعا.-تراعي :من الروع أي الخوف.

2– البغدادي :خزانة الأدب: جـ8 ،ص75.

3- المرجع نفسه، جـ 8، ص75.

وخلاصة القول في ما مرّ معنا أن معتقدات الخوارج لا تخرج عن فكرة أن الإنسان الخارجي بالذات ومن يتبعه لابد أن يحتاط في كل أعماله الدنيوية فيوجهها للخير والصلاح ،لأن الموت له ولكل إنسان على وجه الأرض بالمرصاد؛ فآخرها الموت الذي يوصله إلى الجنة والسعادة الأبدية ،ولن يتحقق له ذلك إلا بالعمل الصالح وطاعة الرحمن الرحيم.

رابعا : شعرالمرجئة:

لقد اعتقد بعض الباحثين والمؤرخين أن المرجئة فرقة دينية بعيدة كل البعد عن السياسة وأغوارها ،ولكن الأساس الذي قامت عليه هذه الفرقةهو السياسة عينها ؛فظهورها أول مرة كان نتيجة الاختلاف الشديد بين عقائد الشيعة وعقائد الخوارج ،وتطرُّف كل من الفريقين في آرائه وأفكاره.وقد اعتمدت في نشأتها على آراء محايدة نادى بها رجال كان فيهم فريق من الصحابة، أمثال:عبد الله بن عمر ،وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة الأنصاري ،وأسامة بن زيد. وقد اتخذ محمد بن مسلمة سيفا من خشب وقال:بذلك أمرني رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[1]،ولزم سعد بن أبي وقاص بيته ولم يستجب لإغراءات معاوية.وقد أبان عن موقفه من الفتنة بقوله:[2]

من بحر الرمل

إنّ لِلفتْنة ميْطاً عاجلاً فرُوَيدَ الْميْطِ منْها تَعتدِلْ
فإذَا كان عَطاءٌ فانتَهِزْ وإذا كَـــان قِتــالٌ فاعْتزِلْ
إنَّمَا يوقِدُهَا فُرسانُها حَطَبَ النّارِ فَدعْـها تشْتَعِلْ

وكتب إلى معاوية[3]: من بحر**الوافر**

أيَدْ عُــوني أبُوحَــسنٍ عليٌّ فَلَــمْ أَردُدْ علَيــــه ما يَـشاءُ
وقُلتُ لهُ اعْطِنِي سَيفًا قَصيرًا تُمَيَّزُ به العَـداوةُ والْــوَلاءُ
أتطْمــــعُ في الَّذي أعْيَـا عَليًّا عَلَى ما قدْ طَمَعْتَ بِه العَفَاءُ
لَيَــوْمٌ مِنهُ خَــيرٌ مِنــكَ حَيًّا ومَيـتًا أنْتَ للْمرْءِ الفِــداءُ

1-ابن الأثير :أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ،تحق:محمد ابراهيم البنا ، دار ابن حزم جـ4ص330.

2-المرجع نفسه ،جـ4،ص360.

3-المرجع نفسه ،حـ2،ص290. -الميط:الجور والميل.

ما يلاحظ على هذه الأبيات أنها صدى للموقف الذي وقفه سعد بن أبي وقاص من الفريقين المتنازعين،لتحرّجه من الانضمام إلى أحدهما، وهو لا يملك سيفا يميز به المصيب والمخطئ[1].وكذلك رفض أيمن بن خريم مبايعة معاوية ،رغم إغرائه له بناحية من فلسطين،وقال[2]: من بحر **الوافر**

ولستُ بِقاتــلٍ رجُلاً يُصلّي علَى سُلطانَ آخرَ مِنْ قُرَيـشِ
لَهُ سُلطانُــهُ وعَـليَّ إثْمــي مَعاذَ اللهِ مِنْ سَفَــهٍ وطَيــشِ
أَأقتُلُ مُسْلمًا في غَيرِ ذَ نْبٍ فليْسَ بِنافِعِي مَا عِشْتُ عيْشِي

وترجع تسمية المرجئة بهذا الاسم إلى أنهم لزموا الحياد ،فلما نما الصراع بين الأطراف المتنازعة،واختلف الناس في الحكم عليهم ،خرجت المرجئة بفكرة الإرجاء،بمعنى أن يُرجأ أمر المتنازعين إلى الله عز وجل ليقضي بينهم بمشيئته،فهو العالم الخبير؛وبناء عليه ،لم يحكم المرجئة على مرتكب الكبيرة بأنه من أهل النار أو الجنة ،وقالوا إن الإيمان تصديق بالقلب واللسان،ولا شأن له بالعمل ،فكأنهم قد قدموا الإيمان وارجأوا العمل ، وفي هذا يقول شاعرهم ،ثابت قطنة [3]: من بحر**البسيط**

نُرْجِي الأمورَ إذا كَانتْ مُشبَّهةً ونَصْدُقُ القَولَ فِيمنْ جَــارَأو عنَـدَا
المُسلِمُونَ علَى الإسلامِ كلُّهمُ والكَافِرونَ استَوُوا فــي دِينِهِمْ قِدَدَا
ولاَ أَرى أنَّ ذنْبـًـا بالغٌ أحَـدًا مِالنّاسِ شِرْكـًاإذاما وَحَّـدُوا الصَّمَـدَا
كلُّ الخَوارجِ مُخطٍ في مقَالتِه ولَـــو تعبَّدَ فِيــما قالَ واجْتـــــهَدَا
أمَّا عَليٌّ وعُثْـــــمانٌ فإنَّهُـــما عبْـدانِ لم يشْــركَا باللهِ مُذ عبـَــدَا
اللهُ يعْلَـــمُ ماذا يَحْـضُرانِ بِه وكُـــلُّ عبدٍ سيلْـــقَى اللهَ مُنْـفَرِدَا

1– النعمان القاضي: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، ص 512.-مالناس:أي من الناس.

2– ابن سعد :كتاب الطبقات الكبرى ،تحق: محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية ،بيروت، 1990 ،جـ 6 ،ص25.

3-أبو الفرج الأصفهاني :الأغاني ،جـ 14 ،ص254- 255.

وهكذا فمذهب الإرجاء في صورته تلك ،وإن لم يؤيد الأمويين تأييدا إيجابيا، فهو من جهة لم يعارضهم.وهذا كان في صالح الأمويين ،وترتب على هذا أيضا عداء شديد بينهم وبين الشيعة الغالية المتطرفة ،حتى بدوا على طرفي نقيض. وفي هذا يقول أحد الشيعة الغلاة[1] :

من بحر **البسيط**

إذا المُرْجِيُّ سرّكَ أنْ تَراهُ يَموتُ بِدائِه مِن قبْلِ مَوتــِهْ
فَجَدِّدْ عِنْدَهُ ذِكْــرَى عَلِيٍّ وصَلِّ علَى النَّبيِّ وأَهْلِ بَيتِهْ

ويرد عليه محارب بن دثار الد هلي أحد أئمة المرجئة؛ حيث يقول[2]:

من بحر **البسيط**

يُعيبُ عَليَّ أقْوامٌ سَفــــاهًا بأنْ أُرْجِي أبَا حَسنٍ عَلِيًّا
وإرْجَائِي أبا حَسَنٍ صَوابٌ عَنِ العُمَرَيْن بَرًّا أو شَقِيّــا
فإنْ قدّسْتُ قَومًا قالَ قَومٌ أسَأْتَ وكُنْتَ كَذّابًا رَديًّا
إذا أيْقَنْــتُ أنَّ اللهَ ربّــي وأرْسـلَ أحْـمَدًا بَرًّا نَبِيًّا
وأنَّ الرُّسْلَ قَدْ بُعِثُوا بِحقٍّ وأنَّ اللهَ كــانَ لهُـمْ وَلِيًّــا
فلَيْسَ عَلَيَّ في الإرجاءِ بأسٌ ولا لبْسٌ ولسْتُ أخَافُ شيًّا

1-الجاحظ :البيان والتبين ، تحق: عبد السلام هارون ،دار الجيل ، بيروت، ط3- 1988 جـ1 ،ص110.

2– أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ،جـ7 ،ص242.

ولم يتوقف الأمر هنا ،بل نجد ردا هجائيا مقذعا لمنصور النمري الشيعي يعيّر فيه محارب بن دثار الد هلي الذي ذهب إلى أن إرجاء عليٍّ يشبه إرجاء الأنبياء؛حيث يقول[1]: من بحر **الوافر**

يَودُّ مُحَارِبٌ لو قَدْ رآهَا وأَبصَرَهُم حَواليْها جُثَيـًّا
وأنَّ لِسانَهُ مِن نَابِ أفْعى ومَا أرْجَى أبَا حَسنٍ عليـّا
وأن عجُوزَهُ مصَعتْ بكَلْبٍ وكانَ دِماءُ ساقيْها جَريـّا
متَى تُرجئْ أبا حَسنٍ عليًّا فَقدْ أرْجيْتَ يا لَكعٌ نَبيـّا

وقد كثر رد شعراء الشيعة الغالية الذين ساءهم إرجاء عليّ وتسويتهم بينه وبين عثمان ومعاوية والخوارج.فمن ذلك ما جاء في شعر السيد الحميري ؛حيث يقول[2]:

من بحر**المتقارب**

خلِيـلـيَّ لا تُرجِـيا واعلَـمَا بأنَّ الهُـدَى غيـرَ ما تَزْعُـمانِ
ضَـلالٌ فلا تلْجُـجَا فِيـهِما فبئْستْ لعَمْرُكُما الـخَصْـلَتانِ
أيُرجَى عَلِيٌّ إمَـامُ الهُدَى وعُثْمـانُ ما أعتَدَ المُرجِيانِ
ويُرجَى ابنُ حَربٍ وأشيَـاعُه وهُوجُ الخَوارِجِ بالنـَّهرَ وانِ
يكُونُ إمامُـهمُ فِي المَـعادِ خَبيثَ الهَوى مُؤْمِنَ الشّيْصَبَانِ

وهكذا لم ترض أفكار المرجئة الخوارج والشيعة الغلاة ؛حيث وقفت المرجئة موقفا وسطا يتسم بالسلبية وإن كانت هذه السلبية في صالح الأمويين إذ بدأت المرجئة تخوض في أمور لا هوتية حول الإيمان والكفر والجبر والاختـــيار وما

1– المرجع السابق ،جـ 7 ،ص 242.-الشيصبان:من أسماء الشيطان.-هوج:جمع أهوج،الأحمق.

2-المرجع نفسه ،جـ 7 ،ص252.-مصعت بكلب:يعيره وأمّه أي ولدت كلبا .

لبثت أن تشعبت إلى شعب مختلفة ،فظهرت عدة فرق منها : مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ،ومرجئة الجبرية ،ومرجئة الخالصة.وهذه الأخيرة هي التي استمرت في اتجاهها السلبي ،بينما مالت الجبرية إلى تأييد بني أمية تأييدا مطلقا ،باعتبار أن ما يجري من الأمور قدر مقدور ،وأن سيادة الأمويين سبق بها القضاء.أما القدرية فذهبوا في الاتجاه المخالف إذ ناصروا كل الحركات الثورية ضد بني أمية.[1]

وليس هناك شك في أن المرجئة القدرية وراء هذه الحركات الثورية المناهضة لخلفاء بني أمية ،فقد ثار بعض أئمتهم على الدولة،مِثل سعد بن جبير الذي خرج على عبد الملك ،والحجاج فقتل ،وكذلك غيلان الدمشقي الذي صُلب ومثل به في ثورته على الحجاج.[2]

وقد حاول بعض خلفاء بني أمية استمالة أئمة المرجئة القدرية خوفا من خطرهم الذي ازداد قوة. وكذلك فعل:عُمر بن عبد العزيز حينما طلب أئمتهم في الكوفة من أمثال:عون بن عبد الله بن عتبة الهذلي وناظرهم في آرائهم[3].

وقد استطاع إقناع (عون) حتى أنه تبرأ من المرجئة نهائيا؛حيث خرج من عنده

1– **فوزي محمد أمين : في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي ،دار المعرفة الجامعية ،مصر، ص50.**

2– النعمان القاضي :الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ،ص518—519.

3 ابن سعد : كتاب الطبقات الكبرى، جـ 6 ،ص218.

وهو يهاجم مبادئهم على نحو ما يقول[1]: من بحر **الوافر**

وأوَّلُ مَن نُفارقُ غَيــرَ شَكٍّ نُفارقُ ما يقُولُ المُرْجئُـونَ
وقالُوا مُؤْمنٌ مَنْ أَهلُ جَوْرٍ وليْسَ المُؤمنُون بِجائــرِينَا
وقالُوا مُؤمنٌ مَن دمُه حَلالٌ وقد حُرِمتْ دماءُ المُسلِمِينَا

وكانت أكبر ثورة للمرجئة هي التي قام بها الحارث بن سريع ،فقد أعلن أن هدف ثورته هو تحقيق العدل والمساواة بين الجميع ،واتخذ كتاب الله شعارا لثورته.

وهذا التحول في ساحة المرجئة بأطيافها لم يكن إلا لإيمانهم بأن ما ذهبوا إليه في معتقداتهم ، كان يتمثل في السلبية المسيطرة على أفكارهم، فحاولوا أن يثبتوا لغيرهم من المذاهب الأخرى التي لا ترى شرعية الحكم الأموي، بأن المرجئة لا تساوم أحدا على كتاب الله.ولكن هذا التغيير المفاجئ في ساحة المرجئة من السلبية إلى الإيجاب ،لم يكن شاملا للجميع ،بل كان متمثلا في المرجئة الجبرية.

ولم يقابل الأمويون الثورات والفتن التي أعلنتها المرجئة بالقتل ،وسفك الدماء فحسب ،وإنما استخدموا معهم سلاح الدين الذي استخدمته الشيعة والخوارج ضدهم ؛وعُدَّت المرجئة في نظر الأمويين من الخارجين على العقيدة الإسلامية ،بعد أن كانوا الأتقياء الشرفاء، وصارت تهمة الكفر والإلحاد هي التي تطلق على أتباعهم ومعتنقي آرائهم ؛فالحارث بن سريح حين أعلن ثورته في خراسان على الوالي الأموي نصر بن سيار ،كان هذا الأخير يعامله معاملة الشيعة والخوارج، فيرميه ويرمي أتباعه بالكفر والإلحاد ،ويُحملهم مسئولية العبث بتعاليم الدين الإسلامي.وهذا ما نلحظه في قول أحد شعرائهم[2]:

من بحر **البسيط .**

1– الجاحظ :البيان والتبين ، جـ 1 ،ص 228.

2– الطبري : تاريخه ،جـ 7 ،ص 101.

فامنحْ جهادَك مَنْ لمْ يَرْجُ آخِرةً وكنْ عَدوًّا لقَومٍ لا يُصَلُّونَـا
واقتُلْ مُوالِيَهمْ منَّا ونَاصِرَهمْ حِينَا تُكـــفِّرهُم والْعـنْهمُ حِـينَا
والعابِـينَ علَينا دِينَـنا وهُـــمُ شرُّ العبادِ إذا خَابرْتَهُـــــمْ دِينَا
والْقائلِينَ سبيلَ اللهِ بُغْيــتُنا لَبُعــدَ ما نكبــوا عمَّا يقُولُـــونَا
فاقْتلْهُمُ غَضِــباً لله مُنتَــصِراً مِنهُمْ بهِ وَدَعِ المُرْتابَ مفْـتُونَـا

يبدو أن الشاعر في هذه الأبيات يبالغ في حكمه على المرجئة؛ حيث يرميهم بالكفر والإشراك بالله ،ويحملهم مسئولية هدم الإسلام ،وتفريق المؤمنين.وهذه المبالغة ،في عمومها ،تعود لتلك الظروف الصعبة القاسية التي كان يعيش فيها نصر ابن سيار ،وغيره من الولاة الأمويين الذي لم ينتهوا من إخماد ثورة حتى تواجههم ثورة أكثر عنف وشراسة من سابقتها.وصحيح أن المرجئة كان من بينهم من أفحش القول كجهم بن صفوان ،وكان يعتقد اعتقاد المرجئة الجبرية [1] ؛ كما أنه كان يوافق المعتزلة في بعض اعتقاداتهم ، إلاأن هذا لا يعني أبدا أن نُعمّم الحكم على جميع المرجئة ؛فالمرجئة كما نعلم ،لم تظهر على الساحـــــة المذهبية إلا نتيجـــة مباشرة لقول الشيعة والخوارج، برغم اختلافهم المذهبي ،حول مرتكب الكبيرة الذي هو في نظرهم كافر خالد مخلد في النار حتى يتوب ،فهذا التشدد والاعتقاد كان السبب الحقيقي والمباشر لنشأة المرجئة.وكما رأينا منذ أن نشأت المرجئة والأمويون يقدمون لهم الاحترام والتقدير ،لكن حين تحولوا عنهم وأعلنوا ثوراتهم ،لم يهادنوهم أو يتعاطفوا معهم ،بل نكّلوا بهم ،وأثخنوا جراحهم.ولم يبق من فرق المرجئة على ولائهم للأمويين ،وعدم إشهار سيوفهم في وجه أي خليفة من خلفائهم ،سوى المرجئة الخالصة.

---

1 – أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين، جـ ،ص 3.

الفصل : الثالث

الحس المأساوي في الشعر الشيعي

إلى غاية القرن الثالث الهجري

سنحاول في هذا الفصل ملامسة شعر الشيعة الحزين في الحقبة الزمنية الممتدة ما بين العصر الأموي ونهاية القرن الثالث الهجري ،مع محاولة الإنصات لتحقق تجليات الخطاب الديني في شعرهم بما يحوز من إمكانات نصية, على ضوء مرجعياته من الدوال التي يجهر بها المشهد اللغوي.

ولا شك أن فرقة الشيعة قد شكلت حيزا أدبيا نشطا على الساحة العربية قديما وحديثا. وقد اشتركت في هذا الحضور الأدبي عوامل ممتزجة من الدين والسياسة والفلسفة وغيرها، وكانت بواعثه مختلطة من جميع هذه النواحي؛ فظهرت فيه لذلك خصائص واضحة مميزة له عن غيره، تمثلت بوضوح في قوة الشعور، وصدق العاطفة وغزارة المادة ،وقوة الدفاع الديني والاحتجاج لأحقية الخلافة والإمامة ،وهنالك نواح أدبية كثيرة برز فيها أثر التشيع واضحا. وقد انضمت إلى هذه الخصائص خصائص الأدب الإسلامي عامة ،في الحضارة ،والثقافة، والتاريخ ،وفي امتزاج الدين بالسياسة واشتباكه، بعلم الكلام والفلسفة، وقد اختلط الأدب بجميع هذه النواحي اختلاطا بينا[1] ؛فكان للشعراء مجال خصب ومرجعيات وسياسية وثقافية وعقائدية ومذهبية أمدتهم بكل ما كانوا يحتاجون إليه في الدفاع عن آل البيت وأحقيتهم في الخلافة.
ولقد غلب على هذه الفرقة اسم (الشيعة) فغدا وسْما لها ،ولعلَّ الشرعية التي تأسست عليها شرعية مستمدة من الموالاة لعليٍّ وأهل بيته.

1– عبد الله نعمة: الأدب في ظل التشيع، دار التوجيه الإسلامي، بيروت 1980 ص10- 11.

أورد ابن منظور في لسانه:(والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي(صلى الله عليه وسلم)، ويوالونهم[1].

بينما يعرفهم غيره بقوله : معنى الشيعة ،ليس هو حب عليّ فقط، وإنما الاقتداء به، ومتابعته أيضا [2].

ولعل هذه الدراسة ستقوم بتسليط الضوء على الشيعة كفرقة إسلامية شكلت حضورا قويا ،وأثرت تأثيرا واضحا على ساحة المشهد العربي الإسلامي, فكرا وعقيدة وتصورا، وأفرزت في تاريخها الطويل عددا كبيرا من الشعراء الذين تركوا لنا ثروة شعرية ضخمة, لها مرجعياتها ولها سماتها التي تمتاز بها عن غيرها.

ولعل ما يمكن الالتفات إليه أن فرق الشيعة قد احتفت بذكر مناقب الإمام عليّ ،فمدحه شعراؤهم مدحا يكرس أفضليته، ورفعته وعلو منزلته بين الصحابة .وقد تكرر النسق نفسه في مدح الأئمة من ولده؛ فبدأ الخطاب الشيعي يكرس جهده في إبراز تمايز شخصيتهم وانفرادهم عن غيرهم بكثير من الصفات التي تجعلهم يختلفون عن بقية الناس ،فضلا عن قرابتهم لرسول الله (صلى الله عليه

وسلم). والشيعة إذ تعتقد ذلك اعتقادا صارما، لا تغفل أن تضفي صفة الشرعية على مبادئها من النصوص المقدسة، لذا فهي تؤسس شرعية احتجاجها وحججها على أحاديث كثيرة تنص نصا واضحا بيّنا ،لا يقبل التأويل والتفسير ،بل ترى أن إمامة عليّ بن أبي طالب

1– ابن منظور : لسان العرب ،مج 7 ، مادة: يشع، ص2.

2 – محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ،مطبعة دار النجار بيروت ، 1976 ،ص7.

وخلافته جاءت بصريح العبارة التي إذا أوّلت كان تأويلها تعسفا ،وتهربا من مفهومها ومعناها. [1]

ولكي تتضح الرؤية أكثر ،لابد للبحث أن يعرج على بعض الأحاديث التي تحتج بها الشيعة على خلافة عليّ وإمامته ؛فمن ذلك حديث يوم الدار ،حين نزل على رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قوله تعالى : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)[2] ،فجمع النبي (صلى الله عليه وسلم) بني هشام وأنذرهم ،ثم قال :أيكم يؤازرني ليكون أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم من بعدي)، فلم يجبه منهم أحد غير عليٍّ بنِ أبي طالب ؛ فقال (صلى الله عليه وسلم):(هذا أخي ووارثي ووزيري ووصيّي وخليفتي فيكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا) [3].

ومن ذلك – أيضا – حديث يوم الغدير بعد حجة الوداع .وقد نزل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...). [4] فأخذ النبي (صلى الله عليه وسلم)بيد علي وقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه) فلقيه عمر بن الخطاب فقال : هنيئا لك يا بن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مُؤمن ومؤمنة [5].

1- مجاهد مصطفى بهجت :التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ،وزارة الأوقاف ،العراق ط1—1982،ص337-338 .

2- الشعراء :آية 214.

3– عبد الله نعمة : الأدب في ظل التشيع ، ص50- 55.

4– المائدة :آية 69.

5– الرازي: تفسيره ،تقديم الشيخ خليل الميس، دار الفكر ،بيروت، ،1995 مج،6 ،ص 12-53.

والشيعة لا تكتفي بهذه النصوص التي احتجت بها ،بل إنها تحتجّ أيضا بحديث الثقلين يقول رسول لله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا :كتاب الله وعترة أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض).[1] ومما لاشك فيه أن هذه النصوص وغيرها قد كانت المرجع بل الشرعية التي أسست عليها الشيعة بنيانها ،واستثمرتها في تقوية قواعدها التي بها تحتج وعنها تنافح؛ فالإمامة عندهم ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى الأمة، بل هي ركن الدين ؛ويعتقدون أنه ليس من المعقول أبدا أن يغفلها النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) ،بل يجب عليه أن يعين الإمام وينص عليه ،ويعتقدون أيضا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نصّ على إمامة علي بن أبي طالب وأوصى بها ،ويعتقدون كذلك إن نصّه على إمامة عليّ كان نصا ظاهرا وتعيينا صادقا من غير تعريض بالوصف ،بل إشارة إليه بالعين[2]. ولم يقف خطاب الشيعة وعقيدتهم عند هذا الحد، بل تعداه إلى الاعتقاد الجازم والإلحاح الشديد على إمامة أبناء عليّ من فاطمة(رضي الله عنها)؛فقالوا (إن الإمامة انتقلت بالنص من عليّ إلى الحسنِ ثم إلى الحسينِ ؛وعندما قتل الحسين قال قوم منهم ،وهم الكيسانية : إنه نصّ على إمامة ابنه عليّ[3]وقال آخرون:إنه نص على إمامة أخيه محمد بن الحنفية[4] .

1- صحيح مسلم : جـ2، ص238.

2-محسن غياض : أثر التشيع في شعر العصر العباسي الأول، ص26 وما بعدها.

3- المرجع نفسه ،ص27 .

4- البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد : الفرق بين الفرق ،تحق: محمد بدر ،مطبعة المعارف بمصر ،1910 ،ص 228.

و الكيسانية نسبة إلى كيسان وهي إحدى فرق الشيعة ، وقد اختلف في كيسان هذا فقال بعضهم: إنه كان لقبا للمختار بن أبي عبيدة الثقفي زعيم هذه الفرقة ومؤسسها، وقال آخرون: بل هو اسم لمولى من موالي الإمام علي وهو الذي حرض المختار على الطلب بدم الحسين وقد جاء في الملل والنحل أن محمد بن الحنفية كان كثير العلم غزير المعرفة وقَّاد الفكر مصيب الخاطر في العواقب، وقد قيل إنه كان مستودع علم الإمامة حتى سلم الأمانة إلى أهلها وما فارق الدنيا.

ولعل شهرته بهذه المناقب والصفات دفعت الكيسانية إلى القول بإمامته خلافا لما يراه الشيعة في أن الإمامة تكون في أولاد فاطمة من علي فقط، فالكيسانية ترى أن عليا خصّ ابنه محمدا بالعلم الإلهي الذي أخذه عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم)[1].

وخلاصة القول تتجلى في أن هذا الأصل أو المعتقد يعد من الثوابت التي كرست الشيعة جهدها في إثباته حتى أصبح أصلا من الأصول المعرفية العقيدية في روح التشيع لديهم ، والذي عقدوا العزم عليه.

ومن الثوابت ـ أيضا ـ التي لا تقبل الجدل والنقاش عند الشيعة ومعظم فرقها ،اعتقادهم الصارم بالرجعة ،فقد أنكرت الكيسانية موت محمد بن الحنفية ،وقالت: إنه سيعود ليملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا [2].ويقال إن أول من أطلق هذا المعنى هو كيسان مولى عليّ بن أبي طالب في ــــــــــــــــ

1– الشهرستاني : الملل والنحل ، جـ 1 ،ص241.

2– المرجع نفسه، جـ1،ص2 24.

محمد بن الحنفية(وهو ابن علي بن أبي طالب من أم من بني حنيفة نسب إليها) ، فقد زعم كيسان إمامة محمد هذا وأنه مقيم بجبل رضوى. والكيسانية لم تؤمن بموت محمد بن الحنفية الذي مات عام81هـ وصلى عليه أبو عثمان ،وكان والي المدينة، و دفن بالبقيع، بل قالوا، أي الكيسانية، بغيبته وبانتظاره حتى يعود .وكان هذا أساسا لفكرة الإمام المنتظر عند الإمامية الإثني عشرية[1]، أو ما يسمى بالمهدي المنتظر عند أغلب الشيعة إلا الزيدية (وهم فرع آخر من فروع الشيعة الذين تأثروا تأثرا كبيرا بتعاليم المعتزلة، لأن زيدا رئيسهم تتلمذ على يد واصل بن عطاء زعيم المعتزلة) ،وكانوا ينكرون المهدي والرجعة إنكارا شديدا ،وقد ردوا في كتبهم الأحاديث والأخبار المتعلقة بذلك ،ورووا عن أئمة أهل البيت روايات تعارض روايات الأئمة الإثنى عشرية [2]،وفسروا قوله تعالى :(أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا..)[3]، قال :بما صبروا على التقية .وما بلغت تقية أصحاب الكهف،إن كانوا ليشهدون الزنانير، فأعطاهم الله أجرهم مرتين[4].وطبعا يضاف إلى كل ما ذكر شيءٌ في غاية الأهمية ألا وهو فكرة الباطنية.

ويبدو أن أولّ ما نادت بها هي الكيسـانية ، إذ كان عنـدهم لكل ظاهر باطن ،ولكل شخص روح ،ولكل تنزيل تأويل ،وكان لتفسيرهم القرآن تفسيرا

1– أحمد أمين : ضحى الإسلام ،جـ3،ص236-246.

2-المرجع نفسه ،جـ3،ص242-243.

3-القصص: الآية 54.

4-أحمد أمين: ضحى الإسلام ،جـ 3،ص244.

باطنيا ، وتأويلهم الآيات حسب ما يريدون فأثرى تسرب الكثير من العقائد غير الإسلامية إلى الشيعة، وبقيت هذه الفكرة سنة واضحة قوية عند الإمامية والإسماعيلية[1]، فكانت مداد أقلامها، وحجة يقينها، ومصابيح عزتها وكرامتها.

ومهما يكن من أمر ،فإنّ لهذه العقيدة أثرَها الواقعي وصداها الواسع على الوعي والإدراك العربي ،وبخاصة الشعراء ،إذ لم يكونوا بمنأى عن تلك الميول العقائدية، وبالذات ،أولئك الذين اصطبغوا بروح المذهب الشيعي، إذ نجدهم اضطلعوا بمسؤولية الدفاع والنضال بتلك الحجج والبراهين ،فالناظر في شعرهم يتلمس فيضا ضخما من الاقتباسات الضمنية والتي تحكي وتعلن بصوت عال فكرة التشيع. ولا يُغفل في هذا الصدد دور السياق في إضاءة شعرهم عبر قرون ثلاثة. ومن هنا لابد للبحث أن يبدأ بالتوفر على دراسة جملة من النصوص الشعرية ذات التشكيل المعرفي الشيعي.[2]

وقد وجد شعراء الشيعة في هذه العقيدة مجالا خصبا لآمالهم وأخيلتهم الجامحة ،فعبروا عن الأمل في عودة (المهدي المنتظر)تعبيرا معجبا وصوَّروه تصويرا رائعا ،كما عبروا عن سوء حال المسلمين التي لجأت إلى القول بهذه العقيدة؛ وعندما نقرأ هذه الأبيات لدعبل الخزاعي وهو يرثي **الشيعة ويندد ببني أمية وبزياد** ابن أبيه نجده في الحقيقة يعزي نفسه

1-الشهرستاني :الملل والنحل ،جـ 3،ص244.

2-المرجع نفسه ،جـ 2،ص 201.

ويحملها على الصبر في انتظار المهدي الذي سوف يعود ليرد للشيعة حقوقها ،ويسعد الناس بحكمه العادل؛ حيث يقول[1]:

من بحر **الطويل.**

فلَوْلا الذي أرجُوهُ في اليومِ أو غدٍ تقطَّـعَ قلْبي إثــرَهمْ حســـرَاتِي
خُـروجُ إمـــامٍ لا مَحـــالةَ خـارجٌ يقُـومُ على اسْمِ اللهِ و البَرَكَاتِ
يُمَيِّـــزُ فِيـــنَا كلَّ حـقٍّ وباطِلٍ ويُجري على النَّـعماءِ و النِّقَمـاتِ
فيَا نفْـسُ طِيبي ثمَّ يا نفسُ أبْشِـري فغَـــيرُ بَعيـــدٍ كلُّ مـــا هُـو آتِ
و إنْ قرَّبَ الرَّحمنُ من تِلكَ مُدَّتي وأخَّـر منْ عُمْـري لِطـولِ حَياتِي
شفَيْتُ ولمْ أتْـرُكْ لنفْـسيَ ريبَـةً وروَّيْـتُ مِنْـهُمْ مُنصُـلِي وقنَـاتِي

ويتمنى شاعرهم السيد الحميري أن يطول عمره أيضا ليحظى برؤية رجعة ابن الحنفية ويعيش في دولته العادلة ،ولو مع أولئك الذين بغوا عليه، إذ يقول:[2] **من بحر الوافر**

ومالي أنْ أمـــــرَّ بهِ ولَكنْ أُؤَمِّـلُ أن يُؤخَّر يَومُ فقْدِي
فأُدْرِكَ دولةً لكَ لسْتَ فِيها بجبـــَّارٍ فتُوصَفُ بالتَّعَـدِّي
علَى قَومٍ بغَوا فِيكمْ عَلَيْنا لتعْدي منهمُ يا خيرَ مُـعْـدِ
لِتعْلُ بنا علَيهِم حيْثُ كانُوا بغَورٍ مِن تِهامَةَ أو بنَـــجْدِ

1-النعمان القاضي : الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، ص396.

2– أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ،جـ 7 ،ص229.

ولم يتوقف الأمر عند هذا التمني بطول العمر لرؤية عدالة المهدي، بل تعدى ذلك عند بعض الشعراء إلى تصوير صفاته ورسم سماته، بطريقة شيقة تحلو لقارئ أشعارهم ،فهو هاشمي مرضيُّ السياسة ،يكون بمثابة الربيع لأمته ،والأسد المحامي عنها ،والمقوم لاعوجاجها ،كما في قول الكميت [1]:

من بحر **الوافر**

بمرضَيِّ السّياسةِ هاشِـــميٍّ يكُـــونُ حيًّا لأمَّتـــه ربيعَا
و ليثًا في المَشاهِد غيرِ نكْسٍ لتقْو يـــمِ البريَّةِ مُسْتطيعَا

والمهدي في شعر الكيسانية حيّ ،لا يذوق الموت ،ولا يلبث أن يعود قائدا للخيل من هناك؛ حيث كان ينعم في غيبته بكل ما هو طيب ،وعنده العسل **و الماء يسقى بهما**[2]**. يقول: من بحر الوافر**

و سبْط لا يَذوقُ المَوتَ حتَّى يقُودَ الخيلَ يقدُمُها اللِّواءُ
يُغيَّبَ لا يُرى عنْهـــمْ زمـــانا ًبرَضْوى عنْدهُ عَسَلٌ وماءُ

وإذا ما عدنا إلى شعر السيد الحميري فسنجده في إحدى قصائده التي يمدح بها الإمام علي (كرم الله وجهه) يضمنها أهم أدلة الشيعة الإمامية الاثنى عشرية على إمامة عليّ بن أبي طالب ،مع ملاحظة أنها تبدو القصيدة الأكثرُ جمعًا لبراهين الشيعة الإمامية ،ومناقب عليّ وأخباره. ولا يسع قارئها إلا أن يرى فيها فيضا من ذكر مناقب الإمام علي وفضائله.

ومن هنا فالقصيـدة ليست مجرد خواطر أو انفعـالات أو شطحات خيالـية

1- **الكميت : الهاشميات ،شرحها : أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي ،تحق: داود سلوم ونوري حمودة القيسي ،نشر دار الكتب ،مكتبة النهضة العربية ،ط2-1986، ص 3.**

2- **كثيّر عزة : ديوانه ،جمع وتحق: إحسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت ،1971 ، جـ2،ص185.**

هائمة ،وإنما هي عملية هادفة واعية تفيض من رؤيا واثقة مطلقة تتخللها مرجعيات تحكمها ،وتطغى على فاعلية الإبداع فيها، حتى تكاد **تكون** ممارسة لها من الطاقة ما يجعلها قادرة على إضفاء الشرعية على الدعوى التي تريد بلورتها ،أو تصدح بها من خلال إطار نظري واضح المعالم.

تبدو القصيدة **مقسمة إلى** لوحات أو شرائح تسبح في فلك الإثبات؛ والإثبات هو الحكم بثبوت شيء آخر،[1]أوهو(حال التقرير والجزم والحجة والبيئة؛ تقول قول ثابت: أي صحيح، وأثبت حجته : أقامها وأوضحها)[2] ،والإثبات في هذه القصيدة بُني على التماهي مع منطوق الخطاب الشيعي ،ولهذا نلمس في كل لوحة من لوحات القصيدة ذلك الزخم من الصور التي يحتفي فيها الشاعر بممدوحه عليٍ كرم الله وجهه، فيمجده تعظيما وإجلالا ،ويضفي عليه هالة من الأوصاف التي لا تخلو من رموز كما لا تخلو من خوارق وعجائبيات ، ولننشد مع الشاعر:[3]

من بحر **الكامل**

خيْر البَريّةِ بعدَ أحمــدَ مَن لـه منّي الهَــوى وإلَى بَنيهِ تطرُّبِي
أمْسى وأصْبحَ معْصـــمًا منّي لــهُ بِبهْوَى وحبلِ ولايةٍ لم يـُقصَـبِ
رُدَّت علَــيه الشَّمــسُ لمَّا فــاتَـه وقتُ الصَّلاةِ وقد دنتْ للمغْربِ
حتَّى تبلَّـــج نُورُها في وقْتِــها لِلعَصْر ثُمَّ هَوتْ هُوِيَّ الكوْكبِ

1– الجرجاني الشريف علي بن محمد: كتاب التعريفات ،المقدمة ، تحق: محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة بمصر.-د.ت.
2–إبن منظور ،لسان العرب ،جـ2،ص79 وما بعدها، باب- ثبت-
3- السيد الحميري : ديوانه ،تحق: شاكر شكري ،دار مكتبة الحياة ،بيروت، 1970 ،ص 89 وما بعدها .

و عليهِ قدْ حُبستْ بِبابلَ مــرَّةً أُخرى وما حُبستْ لــخلْقٍ مُغرِبِ
إلاّ ليـُوشعَ أوَّلهُ من بَـــــعدهُ ولردِّها تأويلُ أمْرٍ مُــعجبِ

ما يلاحظ على هذه اللوحة أن الشاعر قد بناها على خطاب كرس فيه إثبات أفضلية علي بن أبي طالب وأحقيته بالإمامة والخلافة فجعله ـ أي علي بن أبي طالب ـ خير البرية بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإذا فثمة اعتماد متبادل بين هذا الاستهلال ؛والمعتمد الذي يُعرف من ذلك أن الشاعر على موقف لا يبغي عنه حولا ،ألا وهو عدم جواز ريادة المفضول على الفاضل. ولكي يكون ضامنا لشرط صحة الاستهلال (الحكم الذي صدح به) ضمن اللوحة بما هو خادم لنفوذها العقدي ،أو قل جعل القصيدة مجموعة من اللوحات التي ترسم مشاهد مختلفة، لكنها ذات علاقات مشتركة ،أو صورا من الاستعمال النصِّي التي ترتبط بمجال معرفي واحد ،تخدم ما أقرّه في استهلاله ؛ وهذا واضح جلي في الأبيات السابقة التي ضمنها صاحبها حديث ردّ الشمس لعلي ،إذ ذكر أنها رُدّت عليه أيام النبي (صلى الله عليه وسلم) كما الفرات ببابل.

وإذا انتقلنا إلى لوحة أخرى من القصيدة ،وعاينا توصيفها نجد النسق نفسه الذي عايناه وشاهدناه في اللوحة السابقة ولكن بمشهد آخر يكرس الوعي المعرفي ذاته .أما أبيات هذه اللوحة فهي:[1] من بحر الكامل

ولَقدْ سَرى فيما يَسيرُ بِليلةٍ بعْد العِشاء بكرْبلاَ في مَوكِبِ

1– السيد الحميري :ديوانه ،شرح وضبط: ضياء الأعلمي ،منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت 1999، ص 40- 42.

تأتِيهِ ليسَ بِحَيثُ تلْقَى عامرًا غيرَ الوحُوشِ وغيرَ أصْلَعَ أشْيَبِ
في مُدلجٍ زلِقٍ أشَـــمَّ كأنَّــهُ حُلُقُــومُ أَبْيـضَ ضيّقٍ مُستصْعبِ
هلْ قربَ قائِمكَ الّذي بُوِّئْتَه ماءٌ يصــابٌ فقالَ ما مِـنْ مشرَبِ
إلاّ بغايــةِ فرْسخَـين ومَن لــنا بالمَــاءِ بين نقــًا وقَــيّ سبْسبِ
فَثَنَى الأعِنَّةَ نحْو وعْثٍ فاجْتلى مِلْســاءَ تبرُقُ كاللُّجَينِ المـذهَّبِ
قال اقلِبُوها إنَّكمْ إنْ تقْلِبُــوا تُــرْوُوا و لا تُــروُون إنْ لــمْ تُقْلَبِ

تنطلق هذه اللوحة بصورة تكاد تنطبق على الخطاب ذاته الذي رأيناه في اللوحة السابقة وهو خطاب يعمق في نفسية الشيعي التعلق بعلي إلى حد التقديس ؛فالمشهد بكل ما فيه يصدح بحقيقة الإقرار بمبدأ القدرة على خرق العادات لعلي ،ذلك الفعل الذي لا يأتيه إلا الأنبياءُ؛ فحين نقرأ النص نحس أنه يثير في ذهننا قصة موسى (عليه السلام) عندما التقى ببنات شعيب ورأى ما رأى من فعل الرعاء فسألهن ،فقلن لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ؛فما كان منه إلا أن رفع الصخرة الكبيرة عن البئر وسقى لهن قال تعالى:(وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ...).[1]

وجاء في تفسير الرازي عدة أقوال في شأن الصخرة. فقال:(عمد إلى بئر على رأسه صخرة لا يقلها إلا عشرة وقيل : أربعون وقيل: مائة فنحاها بنفسه

1– القصص: الآيتان:22،23.

-المقصود بالأصلح الأشيب: الراهب.-المدلج: الخفي المستور،وهو هنا صومعة الراهب.-الأبيض:الطائر الكبير من طيور الماء. -النقا: قطعة من الرمل-القي: الصحراء الواسعة.الوعث : المكان اللين تغيب فيه أخفاف الإبل.

واستقى الماء من ذلك البئر)[1] ،لكن الشاعر نراه يضيف في هذا المشهد القصصي الذي يرويه شيئا آخر يكرس حضورا متميزا ميتافيزيقيا .وهو علم ما وراء الحجب إذ يقرر أن عليا قد علم أن تحت الصخرة ماء عذبا سلسبيلا

.ويستمر الشاعر على هذا النسق إلى نهاية اللوحة ؛حيث يصف فضل علي قائلا:

أعْني ابنَ فاطِمةَ الوصِيَّ ومَنْ يَقُلْ في فَضْلِهِ وفِعالِه لَمْ يكْذِبِ

ما نلاحظه في هذا البيت أنه ينهض على فضيلتين عظيمتين هما:أن عليا هو ابن فاطمة واختصاصه – أيضا – بأنه وصي رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ،والعلاقة بينهما تتعمق على أساس ما تحيل عليه فاعلية كل منهما عند الشيعة ؛ففاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أول هاشمية ولدت لهاشمي، ويروى أنها ولدت بالكعبة ولا نظير له في الفضيلة .ولفاطمة من الفضائل والخصائص والشمائل ما لا تحصى وعليٌّ وصي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالإطلاق في أهله وأمته ،والأمر في تسميته بالوصي أشهر من أن يحتج فيه بخير منقول ،ومع ذلك فهم يحتجون بحديث الوصاية الذي يرويه سلمان الفارسي فيقول: سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)من وصيُّك من أمتك؟ فإنه لم يلبث نبيّ إلا وكان وصي من أمته فقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) :(لم يتبين لي بعدُ ، فمكثت ما شاء الله لي أن أمكث ودخلت المسجد، فناداني رسول الله فقال: (يا سلمان سألتني عن وصيّي من أمتي، فهل تدري من كان وصي موسى

1- الرازي ،محمد فخرالدين: تفسيره ،مج12 ،ص240.

من أمّته ،فقلت :كان وصيه يوشع بن نون فتاهَ ،فقال: فهل تدري لم كان وصيه ،قلت :الله ورسوله أعلم قال: أوصى إليه لأنه كان أعلم أمته ،ووصيي و أعلم أمتي بعدي عليّ بن أبي طالب) [1].

والمعروف أن المعتقد الشيعي على جميع المستويات يتمثل في الآتي : (الوصية والمهدية والإمامة والعصمة ،ونظرية الخلافة ومبدأ النيل من الصحابة ...) ، ويبدو أن هذه الشروط الشيعية التي تؤسس فكرهم هي ذاتها الدافع المحوري الذي أنتج هذه القصيدة، بل و المرجع الأساس والحقل المعرفي الذي كرَّس وجوده لتشكيل الخطاب الديني في هذه القصيدة فقد وجهت الشاعر نحو التعامل مع الحس العقائدي بكل أبعاده ومقوماته. والحق أن الشاعر كان يدرك ويعرف المقوم **الذي** يتكئ **عليه. فهو** يقول[2]: من بحر **الكامل**

صِهــرُ الرّسولِ وجارُهُ في مَسجِدٍ طُهْرٍ بطيبَةَ للرَّســولِ مُطيَّبِ
سِيَّـــانِ فيهِ علَيْــهِ غيْــرُ مذمَّمٍ مَمشاهُ إنْ جُنُبًا وإنْ لَمْ يجْنبِ

نلمس في هذين البيتين سماتٍ وخصائصَ تتفاعل وتترابط على إكساب علي بن أبي طالب صفة العصمة ،وطهر الباطن وموافقة باطنه لظاهره، فالمصاهرة للنبي (صلى الله عليه وسلم) فيها خصوصية ،بل خاصية تميز بها عليٌّ عن باقي

الصحابة ، وبخاصة إذا علمنا أن الشيعة يحتجون ويبرهنون على صحة دعواهم بأن أبا بكر خطبها(فاطمة الزهراء) فرده النبي(صلى الله عليه وسلم) .

1– الشريف المرتضى : القصيدة المذهبية للسيد الحميري ،تحق محمد الخطيب ، دار الكتاب الجديد ،1979،ص119 و مابعدها.

2– السيد الحميري: ديوانه ،شرح وضبط ضياء حسين الأعلمي ،ص42.

وقال لم أؤمر بذلك ،ثم خطبها عمر فكان له من الجواب مثل ذلك .فلما خطبها علي قال النبي :(صلى الله عليه وسلم) هي لك .وقال: وما زوَّجتُك إنما زوجك الله من السماء ؛كما أن الشيعة تحتج بأن هذه المصاهرة أكبر دليل على طهارة باطن عليّ وأن ظاهره في الخير والفضل كباطنه ،ذلك أن من يعلم الغيوب لا يختار إلا على الباطن دون الظاهر لعلمه بالباطن.[1]

وأما ذكره للمسجد فإنما يعني به مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،والشاعر واضح في إشاراته إلا أن عليا أحل الله له وخصه بما لا يحل لغيره ،وفي البيت الثاني إشارة إلى أن عليا له أن يمشي في المسجد مع الجنابة وفقدها ؛[2] فالشاعر يستلهم تلك المرجعيات ويجعلها أساس أوصاف شرعية لعصمة علي ،وتقدمه على غيره من الصحابة، ومن ثم أحقيته بالإمامة .ولهذا كان الشاعر مولعا بالبحث في جميع ما ذكر عن علي بن أبي طالب من خصال ومناقب ،وذلك بوصفها علامات يمكن قراءتها للكشف عن مقاصد الشارع في تسويق ما يؤمن به ويعتقد، إذ نراه يعيش حالة وعي كاملة : فهو شاعر مأزوم ،يتمذهب بذلك المذهب ،ويرى رؤيته الإيمانية من خلاله وبه ،ومن الأفكار الشيعية التي يجهر بها الشاعر في نصه هذا تلك المبادئ التي بثها في ثنايا أبيات هذه القصيدة إذ يقول[3]: من بحر **الكامل**

وبخُمَّ إذْ قالَ الإلهُ بعَـزْمةٍ قُمْ يا محمدُ بالولايةِ فاخطُبِ

1- الشريف المرتضى : القصيدة المذهبية للسيد الحميري،ص122.

2- المرجع نفسه ،ص123.

3 – السيد الحميري :ديوانه ،شرح وضبط : ضياء حسين الأعلمي ،ص 46- 47.

وانصبْ أبا حسنٍ لقوْمك إنهُ هادٍ وما بلَّغت إن لم تُنصِبِ
فدَعــاهُ ثمّ دعـاهمْ فأقامَــهُ لهمُ فبيــنْ مصـدِّق ومكذّبِ
جعَل الولايــةَ بعدَه لمُهـذَّب ما كان يجْعلُها لغيرِ مهــذَّبِ
ولهُ مناقِبُ لا تُرامُ متَــى يُردْ ساعٍ تناولَ بعضِها يتذبْـذَبِ

لا ريب في أن هذه الأبيات تتحدث عن قصة غدير خمّ وحديث غدير خمّ من الأفكار التي تحتج بها الشيعة على وجوب إمامة علي بن أبي طالب [1]وهدف الشاعر هو أن يجمع المناقب والفضائل في التوصل إلى الغاية التي شكلت جوهر حياته بكل تجلياتها، وامتلكت عليه وعيه بكل وضوح ؛فالصفات المتزاحمة بكل تجلياتها وفي كل ثنايا القصيدة إشارات تجسد معاني الاستجلاء إلى حق الإمامة والخلافة لعليّ بن أبي طالب هذا الإمام المتصل بالعناية الإلهية والمزكَّى من الحضرة النبوية. وشعوره لا يخفيه بل يعلنه بكل وضوح في ختام القصيدة فيقول[2]: من بحر **الكامل**

إنَّا نــدينُ بـحبّ آل مـحَــمـدٍ دينًا ومَنْ يُحبِبــْهم يستوْجِبِ
منّا المــودّةَ والــوَلاءَ ومـنْ يُـردْ بـــدلاً بآلِ محمَّــدٍ لا يحْـبِبِ
ومتىَ يمُتْ يَرِدِ الجحيمَ ولا يرِدْ حوضَ الرسولِ وإن يَرِدْه يُضْرَبِ
ضربَ المحــاذِرِ أن تعــرَّ ركابــهُ بالسَّوط سالِفَةَ البـَعيرِ الأجْــربِ
يمْحــو ويُثبِـت ما يــشاءُ وعنــدَه عِلمُ الكتابِ وعِلمُ ما لـمْ يُكتَبِ

و هكذا فإن إيمانه بمحمد وآله قد جسد هذا الاعتقاد الراسخ حتى وصل إلى التبــاهي أو الاستغــراق الكامل بحب آل محــمد وحب من يحبهم، وكره من يكرههم ،ولاشك في أن المشاعر الشيعية جزء لا يتجزأ من شاعرية السيد الحميري . ومن ثم فإنها استحوذت على بنية خطابه ووجهت بهذا المستوى: انفعاليا وعاطفيا وشعوريا. ولعل المتتبع للمعتقدات الشيعية في شعرهم لا بد أن يعرج إلى مبدأ التقية التي كانت تؤمن بها أكثر الفرق الشيعية وأشهر الشعراء الذين تمذهبوا بمذهب التقية نقرأ في شعر السيد الحميري.[1]

من بحر **البسيط المجزوء.**

دُونكُمُوها يا بني هاشمٍ فجدِّدوا من آيها الطَّامِسَا
خِلافــةُ اللهِ وسلــطانُــهُ وعُنصرٌ كـان لـَكمْ دارِسَا

وإلى جانب الحميري نرى الأمر نفسه يتكرر في شعر منصور النميري وهو من أكثر الشعراء الذين كانوا يدينون بالإمامة ويمدحون آل الرسول (صلى الله عليه وسلم) سرًّا كما كان يمدح الرشيد[2]. وفي هذا يقول مصطفى الشكعة: (لقد كان منصور النميري من أكثر الشعراء إثارة للرشيد بل هو أكثرهم في ذلك على الأرجح؛ فما رأينا شاعرا لعب بعواطف الرشيد وأثار حفيظته واستحوذ على رضاه مثل النميري) [3] .

ولعل خير ما يمثل مدحه لآل البيت لاميتُه ،إذ يكثر فيها من مدح آل البيت والتنديد بالأمويين والعباسين ،فهو يقول[4]: من بحر**المنسرح**

1-المصدر السابق نفسه، ص47.

2-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تُقتَلُ ذرّيةُ النبّيِ ويَــر جُونَ جِنانَ الخُلودِ للْقاتِـلِ

1-السيد الحميري: ديوانه،شرح وضبط : ضياءحسين الأعلمي ،ص258- 259.

2-عفيف عبد الرحمن :معجم الشعراء العباسيين ،دار صادر ،بيروت ،ط1ـــ،2000ص537.

3-مصطفى الشكعة : الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص604.

4-منصور النَّمري :شعره ،جمع وتحق: الطيب العشاشي ،دار المعارف للطباعة،دمشق 1981،ص121-123.

نَفْسي فداءُ الحُســيْنِ يومَ غدا إلى المَنــايا غُدُوَّ القافِلِ
دينُكمُ جِفْوةُ النَّبيّ ومَا الـــــ جَافِي لآل النبيّ كالواصِل
مَظلــومةٌ والنّبيُّ والدُهــــــا تُديــرُ أرجاءَ مُقلَــةٍ حافِل
ألاَ مســـاعِيرُ يغضــبُون لَـــها بِسَلَّةِ البِيــضِ والقَنا الذُّابِل

لعل الشاعر في البيتين الأخيرين نراه يحرص على تصوير آل البيت بمظهر المظلومين المحرومين والمضطهدين الذين اغتصبت حقوقهم وهو يشير في البيتين إلى إرث(فدك)إذ ينكر موقف أبي بكر وعمر من دعوى فاطمة إرث (فدك) غاضبا لكونهما ظلماها, ومطالبا بمن يثأر لها من ظلَمتِها. [1]

ومن شعراء الشيعة الذين أغرموا بمدح آل البيت دعبل بن علي الخزاعي ،وكان مستبسلا في الدفاع عن عقيدته والولاء لآل البيت والإيمان بحقهم في الخلافة[2] . وشعره في مجمله كان يدور في مدح آل البيت وتعداد مناقبهم وفي رثائهم والتوجع لما أصابهم من ظلم وأذى وفي مهاجمة خصومهم وهجائهم.[3]

ولعل قصيدته التائية الشهيرة قد تلونت وتمذهبت بآراء الشيعة وعقائدهم؛ حيث استهلها بمطلع يقطر حزنا وأسى على منازل آل البيت التي خلت من أهلها نتيجة ما أصابهم من القتل والتشريد والجور والظلم، لذا فهي خالية ممن كان يملؤها بالقرآن ترتيلا ،إذ يقول[4]: من بحر**الطويل.**

1 – محسن عياض :أثر التشيع في العصر العباسي الأول، ص317. السلة:من سلَّ السيف للقتال.

2- المرجع نفسه ،ص207-208.

3– المرجع نفسه ،ص211

4- دعبل الخزاعي:ديوانه، شرح : مجيد طراد ،دار الجيل ،بيروت ،ط1 -1998،ص40-41.

مَدارِسُ آياتٍ خَلتْ مِن تِلاوةٍ ومَنزِلُ وحْـــــيٍ مُقفِرُ العرَصاتِ
لآلِ رسولِ اللهِ بالخيْفِ مِن مِنًى وبـالرُّكنِ والتَّعريفِ والجَمَراتِ
ديــارُ عليٍّ والحُــسينِ وجَــعفرٍ وحَمـزةَ والسـّجّادِ ذي الـثَّفِنات
ديارٌ لعبــدِ الله والفــضْلِ صنْوِهِ نَجيّ رســولِ الله في الخلَــواتِ
منـازلُ وحـــيِ اللهِ يَنزلُ بينَـها على أحمدَ المذكورِ في السَّمَواتِ

ديارٌ عفَــاها جَورُ كلّ مُنابــذٍ ولــم تعْــفُ للأيـــامِ والسَّنواتِ
فيا وارِثِي علـــمِ النَّبيّ وآلِــهِ عَليكُمْ سَـلامٌ دائــمُ النَّفَــحاتِ

مازالت الضغوطات الوجدانية تشتد عليه فتنفجر نفسه بالشعور بالأسى والألم إثر مشاهدة هذه الديار المقدسة فيسألها قائلا:[1] من بحر **الطويل**

قِفا نسْألِ الدارَ التي خفَّ أهلُــها متَى عهدُها بالصَّوم والصَلواتِ؟
وأيْن الأُلَى شطَّت بهِمْ غُربةُ النَّوى أفانِيــنَ في الآفاقِ مفْتــرقاتِ
همُ أهلُ ميراثِ النَّبيّ إذا اعتَزوا وهمْ خيرُ ساداتٍ وخيرُ حُــماةِ
مطالعُ في الإعسارِ في كلّ مَشْهدٍ لقدْ شَـرُفُوا بالفَضْـلِ والبرَكــاتِ
إذا ذُكَـروا قتـــلَى بِبــدرٍ وخَيبــرٍ ويــومَ حُنــينٍ أسْبــلُوا العَبَراتِ

وتزداد انفعالاته قوة وعنفا وغيرة على آل البيت مما أصابهم من الظلم والجور فيرى الناس أعداء لهم ،لقد اجتمعوا على الحسد والكذب وامتلأت قلوبهم بالأحقاد فهو يقول[2]: من بحر الطويل

1– المرجع السابق نفسه، ص41. -الثفنات:جمع ثفنة، وهي في الأصل ركبة البعير، وأطلقت صفة لعلي بن الحسين لكثرة سجوده. –شطت:بعدت.-خف:ارتحل.-مضطغن:منطوي على الحقد.-الإحنة:الحقد والضغن.-وترات:الوتر:الظلم.وتر الرجل:أصابه بظلم أو مكروه،أفزعه.
2 – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وكَيف يُحبُّون النّبيَّ ورهْطَــهُ وهُــمْ تركُوا أحشاءَ هُ ْم وغِراتِ
لقدْ لايَنُوهُ في المقالِ وأضْمَرُوا قُلوبًا على الأحْقادِ مُنطويــاتِ
وما النَّاسُ إلا حاسِدٌ ومكذِّبٌ و مُضْــطغِنٌ ذو إحْنةٍ وتِــراتِ

ولا ينسى تعداد الأمكنة التي امتلأت بقبور آل البيت في الكوفة والمدينة ،وبغداد ،وفي كربلاء "معرسهم فيها بشط الفرات" ، ونفسه تعتصر ألما وحزنا لأنه لا يقدر على زيارتهم وذلك خوفا من عقاب السلطان يقول[1]:

من بحر **الطويل**

وقبــــــرٌ ببغـدادٍ لــنفسٍ زكِيــةٍ تضمَّنها الرحْمنُ في الغُرُفاتِ
فأمَّا المُمــضَّاتُ الــتي لستُ بالـغًا مبالِغَــها منّي بكُنهِ صِفــاتِ
نفوسٌ لدى النهْرينِ من أرضِ كرْبلاَ معرَّسهــمْ فيــها بشــطِّ فُراتِ
أخافُ بــأنْ أزُرْ دارهُــمْ فيَشُــوقُني معرَّسُــهم بالجزْع فالنَّخَلاتِ

وبعد كل هذا نجده يفتخر بعلي وفاطمة وحمزة والعباس وجعفر حيث يقول[2]: من بحر **الطويل**

وإنْ فخرُوا يوماً أتوا بمحَمدٍ وجِبريلَ والفُرقانِ ذي السُّوَراتِ
وعدُّوا عليًّا ذا المناقبِ والعُلا وفاطمةَ الزّهراء خيرِ بَناتِ
وحمزةَ والعبَّاسَ ذا الهَدْيِ والتُّقى وجَعفرَ الطيَّارَ في الحُجُباتِ

وهو لا يخفي حبّه لهم ،فهم عنده أهل الثقة والهداية والرشاد والقدوة, وهم خيرة الخيرة ،ولهذا فهو يعلن مودته لهم بكل افتخار ،فلا يتوانى أبدا في تسليم نفسه لهم طائعا بموالاتهم ،ثم يدعو الله أن يجعل حبهم قربا له

1– المرجع السابق نفسه، ص41.- الوغر :الحسد والغيظ.-أمر ممض:مؤلم موجع.

2– المرجع نفسه، ص43.- السورات:سور القرآن.

وزيادة في حسناته ،فمثلهم من يكون لحمل الديات وفك الأسرى, يقول:[1]

من بحر الطويل

مَلامُكَ في أهْلِ النَّبيّ فإنهمْ أحِبَّايَ ما عاشُوا وأهلُ ثِقاتِي
تخيّرْتُهمْ رُشْدا لأمْري فإنَّهمْ على كلّ حَالٍ خِيرةُ الخِيَراتِ
نبَذْتُ إلَيهمْ بالمودَّةِ صـــادِقا وسلَّمْتُ نفْسي طائـعًا لِوُلاتِي
فَيا ربِّ زِدني مِن يقِينِي بَصِيرةً وزدْ حُبَّهمْ ياربِّ في حَسَناتِي
بنَفسيَ أنتُمْ منْ كُهـــولٍ وفِتيةٍ لِفـكِّ عُناةٍ أو لِحـمْلِ دِيَاتِ

ولكنه في ختام قصيدته هذه نراه يعلل النفس ويؤملها الأمل المعقود على خروج بطل من آل البيت يقوم على اسم الله يملأ الأرض عدلا كما مُلئَت جورا ،ويضع الحق في موضعه ويبطل الباطل؛ويجزي على الخير والشر[2]، فهو يقول:[3] **من بحر الطويل**

فلوْلا الّذي أرجُوهُ في اليومِ أوغَدٍ تقَطَّـعَ قلْبي إثْرهُم حَســرَاتِ
خُـــروجُ إمـــامٍ لا مَـــحالةَ خَارجٌ يقومُ على اسمِ اللهِ والــبَرَكاتِ
يُمَيــزُ فيــنا كــلَّ حــقٍ وباطــلٍ ويُجْزي علَى النَّعْماءِ والنّقَمَاتِ
فيا نفْسُ طِيبي ثُمّ يا نفْسُ أبْشِــري فغَـــيرُ بعِيـدٍ كـلُّ ما هُــو آتِ

لقد حاول الشاعر في قصيدته هذه أن يكرس حالة من الإثبات لأحقية آل البيت بالحكم أو الإمامة ،وهذا الحق شرط وجــودي يتأسس عليه جوهر

---

1 – المرجع نفسه ،ص44.-نبذ:رمى وألقى.نبذت بالمودة :أوقفت محبتي عليهم.

2- عبد الكريم الأشتر : دعبل الخزاعي شاعر آل البيت ،دار الفكر ، دمشق ط3- 1980 ،ص87 .

3– دعبل الخزاعي :ديوانه ،ص 16.

الحياة ،فهو لم يأت من فراغ, بل جاء ضمن وصية ممن اختاره الله خاتم الرسل والأنبياء رحمة للعالمين ؛قال تعالى:(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)[1]،وقال:(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ

وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...)[2]،وهذا ما تحاول الشيعة أن تضفي عليه صفة المرجعية الشرعية المطلقة ،إذ يرون أن الوصية شرط من شروط الإمامة, فكيف إذا صدرت ممن أرسله الله رحمة للعالمين وخاتما للمرسلين,لابد أن تكون شرطا لاستقامة الوجود ،وهذا ما سعى الشاعر إلى تأكيده والإفصاح عنه ضمن روح التشيع التي اتكأ عليها من خلال مضمون شعره.

وأما ديكُ الجِنّ فقد كان من الشعراء الذين برز في شعرهم روح التشيع ؛حيث كرس أكثر شعره في الرثاء ؛وله طريقة انفرد بها[3]،وله أيضا أشعار في المدح والجهاد ؛فمن ذلك قوله في رثاء الحسين ويمدح آل البيت في آن واحد [4]:

من بحر البسيط.

أين الحسينُ وقتْلى من بني حَسنٍ وجعـــفرٍ وعقـــيلٍ غالَهـــمْ غَـــمَرُ
قتلىَ يحنُّ إليـــها البـيتُ والحَجرُ شـــوقاً وتبـكيـــهمُ الآيـــاتُ والـــسُّورُ
رِدُوا هنيئـــــاً مريئـــا آلَ فاطـــمة حوضَ الرَّدى فارتضُوا بالقتلِ واصطبِروا

1- الأنبياء :آية 106.

2- الأحزاب : آية 40.

3 – ديك الجن الحمصي :ديوانه ، جمع وتحق: مظهر الحجّي ،وزارة الثقافة دمشق 1987 ،ص 135وما بعدها.-الغمر: الحِقد والغِلّ.الصّاب والصبر :نباتان مُرّان.

4-المصدر نفسه،ص41.

الحَوضُ حوضُهمُ والجدُّ جدُّهمُ وعنْـدَ ربّهِـم في خَـلقِـه غِـيَرُ
أبْكِيكُمُ يا بَني التَّقْوى وأُعْولِكمْ وأشرَبُ الصَّـبرَ وهْو الصَّـابُ والـصَّبِرُ

الشاعر في هذه الأبيات استطاع أن يملأها برثاء الحسين ومدح الإمام وأبنائه ،ولهذا نلحظ روح التشيع جلية وبارزة في الأبيات ، تتناغم بالأدلة ، ولا سيما في البيت الأخير ، فقد اقتبسه من حديث (يوم غدير خمّ)وشعره يخص به أهل البيت ،فمن ذلك قوله فيهم [1]: من بحر**الكامل** المجزوء.

شرَفَي محبَّة معـــشرٍ شَرُفُوا بِسورةِ :هلْ أَتَى
وَوِلايَ فِيمـــَن فتْكُه لِـذوي الضَّلالةِ أخْبَـتا
وإذا تَكلَّم في الهُدى حجَّ الغَـويَّ وأسْكَـتا
فلفتْـــــكِه ولِهـديِـه سمَّاهُ ذو العرشِ الفَتى
لم يعْبدِ الأصنـــامَ قطُّ ولا أَرابَ ولا عَـــتـَا

الشاعر في البيت الأول يشير بوضوح إلى سورة الإنسان إذ ضمنها قوله تعالى:(هل أتى)وهي مجتزأة من قوله تعالى:(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)2 ،وقد ذكر السورة لتضمنها آية في عليّ ،قال تعالى:(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)3.

1– المصدر السابق نفسه ،ص95-98.

2 - الإنسان :آية 1 .

3 **– الإنسان : آية 8- 9. -الغويّ: الضال.-أراب الشَّخص: صار ذا شك.**

ولعله يريد من ذلك أن الآية فعلا نزلت بحق آل البيت (علي وفاطمة والحسن والحسين).وقد ذكر الرازي في تفسيره أن الآية نزلت بحق عليّ وفاطمة نقلا عن رواية ابن عباس[1]. وواضح طابع التشيع من حيث هذا المدح إذ يذكر فيه تقديم وتفضيل الإمام علي على غيره والشيعة، تحاول جاهدة أن لا تذكر فضيلة لعليّ إلا وتذكرها مضفية عليها صفة القداسة، ومنها أنه لم يعبد صنما في حياته ،وأن الذي تولاّه بالهداية والرشاد هو الله ،فجعله صنوا لمحمد (صلى الله عليه وسلم)إلا أن محمدا منذر وعليا هادٍ فهو القرين لرسول الله في الصيف والشتاء.

وأما الشاعر الحمَّاني العلوي [2]، فنقرأ في همزيته تعصبَه لبني قومه العلويين ؛حيث يقول[3] : من بحر**المتقارب**

عَصيتُ الهَوى وهجَرتُ النِّسَاءْ وكُنــتُ دواءً فأصبحت داءْ
وما أنسَ لا أنسَ حتَّى المَماتِ نَزيبَ الظِّباءِ تُجيبُ الظِّباءْ
دعِيني وصَبْــري على النّائِباتِ فبِالصَّبر نِلْتُ الثّرى والثّواءْ
وإنْ يَكُ دَهْـري لَوى رأسَــهُ فقَد لَقيَ الدّهـرُ منّي الْتِواءْ
ليــاليَ أُرْوي صُـــــدورَ القَــنَا وأُرْوي بهنَّ الصُّــدورَ الظّماءْ
ونحْنُ إذا كانَ شُربُ المُــدامِ شرِبْنَا على الصَّافِـناتِ الدِّماءْ
فحَسْبُــكَ مِن ســؤْددٍ أنَّـــنَـا بحُسْـنِ البَلاءِ كشَــفَـْنا البَـلاءْ

1– الرازي : فخر الدين محمد : تفسيره ،ج،30 ،ص245.

2– هو ابن الحسين بن جعفر العلوي الحماني الكوفي ،نسبة إلى بني حمان الذين كانوا يسكنون الكوفة، نظم مراثي في أقاربه الثائرين ، توفي عام260هـ أو301هـ .

3-فخر الدين الحماني العلوي :ديوانه ،تحق: محمد حسين الأعرجي ،دار صادر بيروت 1998،ص34.

-النّزيب:صوت تيس الظباء عند السفاد.الثرى:الخير.-الثواء:الإقامة وطول البقاء.

ما يلاحظ في هذه الأبيات أنها كرست جهدها الأدبي في إبراز تمايزات العصبية العلوية عن غيرهم من باقي الفرق, على أن الأمر لا يتوقف عند ذلك بل يتعداه إلى اكتسابهم هالة عظمى من القداسة الدينية التي تؤهلهم إلى هذا المصف من التميز ؛فهم دائما في الريادة يقول:[1]

من بحر **الوافر.**

لَنا مِن هَاشمٍ هَضَباتُ عِزٍّ مُطَنَّبةٌ بأبْراجِ الـــسَّمــاءِ
تُطيفُ بِنا المَلائكةُ كُلَّ يوْمٍ ونُكْفَلُ فِي حُجُورِ الأنْبياءِ
ويَهــتزُّ المَقَــامُ لَنا ارْتِياحًا ويَلْــقَانا صَفَــاهُ بالصَّــفَاءِ

فعزّهم محاط بعناية السماء ،ومن ذلك فهم شرفوا عن غيرهم بطواف الملائكة حولهم في كل يوم وليلة ولهم من الكرامات ما لا يوجد عند غيرهم فيلقاهم الصفا بالصفا هياما وعشقا وارتياحا .

والمتفحص لهذه الأبيات يحس بشيء من الشعور بالعزة والأنفة والتفرد في معاني ألفاظها ،ومن ثم فهي ليست جامدة بل تحمل من العلامات الموحية والمعبرة عن عقيدة الشاعر, ومن جهة أخرى فهي تشير إلى جملة من الشروط المادية والفكرية والاجتماعية وحتى الشخصية التي أسهمت إسهاما ضخما في صياغة هذا الخطاب ،وهي بالتالي تؤسس مقالات لإبراز ذات تدعي النقاء والاستــحقاق الكامل لانفرادها وتميزها عن غيرها وفضلا عن اختــزال الآخر إلى نمط يــوافق منظورها كي يتسنى لها البقاء

1– المصدر السابق نفسه، ص34. –مطنبة: مشدودة -الصفا: جبل الصّفاالذي يبدأ منه سعي الحجيج.
والصفاء: نقاء السريرة.

وجودا وجاها وسلطة. ولكي نجسد في أذهاننا روح التشيع الذي يحكم على خطابه كسلطة مزكية ،فهو يقول:[1] من بحر **مجزوء الكامل**

ابْــنُ الَّـــذي رُدَّتْ عليْـــ ـهِ الشَّمسُ في يَومِ الحِجابْ
وابنُ القَسِـــــيمِ النَّـارَ فِـــي يومِ المَـواقِفِ والحِســابْ
موَلاهُـــمُ يَـــومُ الغَـــدِ يـــرِ برُغـــمِ مُـرتَـــابٍ وآبْ

وفي البيت الثاني إشارة إلى الحديث الذي ذكره الإمام علي بن أبي طالب والذي يقــول فيه: أنا قســيم النار يوم القيامة أقول: خذي ذا وذوي ذا[2]. وفي البيت الثالث إشارة إلى حديث الغدير الذي ذكر فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) مولاه علي بن أبي طالب .وهو لا يكف على الإلحاح بشكل صارم على تعصبه للتشيع والدفاع عن مبادئه، فهو يقول: [3] من بحر **الطويل**

وإنَّ بِكمْ يا آل أحْمدَ أشرقَتْ وجُــوهُ قريشٍ لا بِوجهٍ من الـفَــخْرِ

وإنَّ بكُمْ يا آلَ أحمدَ آمنَـــتْ قُريـشٌ بأيـامِ المَـواقفِ والــحَشْرِ
بأمْرِكمُ يا آل أحْمدَ أصبـَحتْ قُريشٌ ولاةَ الأمْرِ دونَ ذوي الـذِّكْرِ
إذا مَا أناختْ في ظلال بيوتها أنختم ببيت الطهر في محكم الـذكر

يبدو لنا أن هذه الأبيات ترتبط بروح التشيع ارتباطا وثيقا لأن الشاعر نراه لا يخرج عن مذهبه الذي اختاره لمعتقـده ،فهو يعتقد اعتــقادا صارمـــا

1– المصدر السابق نفسه ،ص35. –أناخت:أناخ بالمكان:أقام به.آب:رافض.من أبى،يأبى.

2– عبد الحسين أحمد الأميني النجفي : الغدير في الكتاب والسنة والأدب ،دار الكتب الإسلامية ،طهران ،ج3 ،ص361.

3 - فخر الدين الحماني العلوي :ديوانه ،ص72-73.

بأن آل البيت هم سبب هداية قريش وأنهم سبب عزها وفخرها ,وأنهم هم سبب سلطانها وقوتها. ولهذا في نظره ينفرد آل البيت عن غيرهم بما طهرهم الله ،وبما أذهب عنهم الرجس، وذلك إشارة إلى قوله تعالى:(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[1]، وأنهم عدل القرآن الكريم ،وأهل البيان وأنهم أصحاب الحكومة في معركة بدر– تحديدا – إشارة إلى حمزة بن عبد المطلب الذي قاد المعركة وكانت له صولة وجولة في كفار قريش الصناديد الأقوياء ،وكذلك بما فضلوا على غيرهم بخمس الغنيمة,وهذا إشارة إلى قوله تعالى:(واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير)[2] .

وأما عليٌّ فينفرد عن غيره من المهاجرين والأنصار بالمآخاة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبقول رسول الله له:أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[3]. لقد اتخذ الشاعر هذه المرجعيات الدينية ليدلل على معتقد وجب شموليته في الأمة الإسلامية ،بمعنى آخر ،أن هذا المعتقد الخاص بالشيعة يجب أن يعمم على المسلمين كلهم بمختلف أطيافهم ولهذا فالشاعر ولع وأغرم بالبحث في جميع العلل والأسباب من خلال المرجعيات الدينية التي تؤكد ما يعتقد ويؤمن به.

وأما الشاعر (المفجَّع البصري*) الذي كان إماميا؛ حيث شاع مذهب

1-الأحزاب :الآية 33. 2-الأنفال :الآية 413.

3-فخر الدين الحماني العلوي ، ديوانه، ص73.

***-هو محمد بن أحمد أبو عبد الله، كاتب أديب نحوي وشاعر معروف ،عاش في البصرة وكان تلميذا لثعلب ،مدح علي بن أبي طالب كثيرا .توفي عام397هـ ،ينظر :عفيف عبد الرحمن :معجم الشعراء العباسيين، ص528.-الزَّوْل: الغلام والشاب الظريف.**

الإمـــامية في العـــراق ،ولـعل لقبـــه انبثق من كثـــرة تفجـعه على قتـلى العلويين ،وكان يكثر من مديح بني هاشم[1].فمن ذلك قوله[2]:

من بحر **الخفيف.**

أيُّها اللَّائمِي لحُـــبِّي عليـًّا قُمْ ذَميمًا إلى الجَحيم خَزِيًّا
أشْبهَ الأنبـــــياءَ كهْـلاً وزوْلاً و فَطيـــمًا وراضِـــــعًا وغذِيـًّا
كانَ في عِلْمِهِ كآدمَ إذْ عُـلِّـــ ـمَ شرْحَ الأسْـمـاءِ والْمُكَنِ◌يـا
وكنُوحٍ نَجَّى مِن الهُلْكِ مَن سيـ ـــرَ في الفُلكِ إذْ عَلا الجُوديَّا
وجَفا في رِضا الإلَـــهِ أبـَاهُ واجتَـواهُ وعـــدَّهُ أجْنبـــيَّا
كاعْتزالِ الخَلِيلِ آزرَ في اللَّـــ ـــهِ وهِجْـــرانِه أبـــاه مَلـــيَّا
ولَوَ◌ أَنَّ الوصِيَّ حَاولَ مسَّ النَّـ ـــجْمِ بالكَفِّ لم يَجدْه قَصِـــيَّا

إن الإطار الذي تتحرك فيه موجات هذه الأبيات وما تمور به من روح التشيع؛ كلها تحمل هيمنة الإسقاطات العقدية والمرجعيات الدينية إذ يتوجه الشاعر مباشرة إلى حديث أبي هريرة الذي ذكر فيه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال وهو في محفل من أصحابه: إن تنظروا إلى آدم في علمه ونوح في همه وإبراهيم في خلقه وموسى في مناجاته وعيسى في سنه ومحمد في هديه وحلمه فانظروا إلى هذا المقبل. فتطاول الناس فإذا هو علي بن أبي طالب[3].

1-ضيف شوقي :تاريخ الأدب العربي-العصر العباسي الثاني ،دار المعارف بمصر، 1996،ص397.

2 – عبد الحسين أحمد الأميني النجفي : الغدير في الكتاب والسنة والأدب، جـ3 ،ص423، وفي كتاب ضيف شوقي :تاريخ الأدب العربي-العصر العباسي الثاني ،في غير هذه الرواية ،ص39.

3– ضيف شوقي : المرجع نفسه ،ص397، وينظر عبد الحسين أحمد الأميني النجفي :الغدير في الكتاب والسنة والأدب ،جـ3،ص426 وما بعدها ،وكذلك :الرازي :في تفسيره، مج4،ص91.

فالدارس لشعر الشيعة كما مر معنا، يجد فيه عاطفتين بارزتين قويتين يرجع إ ليهما نتاج الشعر الشيعي وهما عاطفة الغضب وعاطفة الحزن.[1]

ويرجع هذا كله إلى أنه عندما قتل الحسين (رحمه الله) وجدوا في جسمه ثلاثَ وثلاثين طعنة .وقد قتل معه من الأنصار أربعة والبقية من أصحابه من مختلف القبائل العربية ،وفي ذلك يقول مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم [2] :

من بحر **الخفيف**

عيْنِ جُودِي بِعَبرةٍ وعَويلِ واندُبِي إنْ ندَبْتِ آلَ الرّسُولِ
واندُبي تِســعةً لصُلبِ عَلِيّ قد أُصِيـبُوا وخَمـسةً لعَقِيـلِ
إبنِ عمّ النَّبيّ عَونًا أخاهُمْ لَيسَ فيما يَنوبُ بالمَــخذُولِ
وسَمِـيُّ النّبيّ غُودِر فـيهِـمْ قدْ علـَوْه بصَـــارمٍ مصقـُولِ
واندُبي كهْلَهمْ فليسَ إذا مـا عُدّ في الخَيركهلُهم كالكُهولِ
لَعنَ اللهُ حَيثُ كان زيـــادًا وابنَــهُ والعجـوزَ ذاتِ البُعُـولِ

ومن أجل هذا قام الشيعة فأنتجوا شعرا مبكيا حزينا وشعرا سياسيا يحمل نبرة المحاجة، فكان لهم في رثاء الحسين أشعارٌ جمة ملتهبة بنيران الحزن والألم والندم على خذلانهم له ،ومن أمثلة ذلك قول عبيد الله بن الحرّ الذي شهد

بأم عينيه مصرع الحسين،حتى إن بعض الدارسين لشعره يعدوه الواضع الأول لتقاليد البكائيين للحسين فهو يقول[3]: من بحر **الطويل**

1 – أحمد أمين : ضحى الإسلام ،جـ3 ،ص300-301.-ذات البعول هنا:هي مرجانة أم عبيد الله بن زياد بن معاوية.
2 - المسعودي :مروج الذهب ج،-3ص-73.
3 -النعمان القاضي : الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ،ص348.

يَقُـــول أمِيرٌ غـــادِرٌ وابنُ غـــادِرٍ ألاَ كنتَ قاتلت الحُسينَ ابنَ فاطِمَهْ
فيا نَـــدَمي ألاَّ أكُـــونَ نصَـــرتُه ألاَ كـلُّ نفْـسٍ لا تُســدِّدُ نادِمَـهْ
وإنّي لِأنّي لمْ أكُـــنْ مِن حُمَـــاتِه لـذُو حَسْـرة مـا إنْ تُفـارقْ لازِمهْ
سَقَى اللهُ أرواحَ الَّـذينَ تـــآزَرُوا عَلَى نصْرِه سُقْـيَا مِن الغَيثِ دائِمَه
وقفْتُ علَى أجْداثِهم ومَجـــالِهم فكَادَ الحَشا ينفَضُّ والعَيْنُ سَاجِمَـه
لَعَمْري لقدْ كانُوا مَصالِيتَ فِي الوَغَى سِراعًا إلَى الهيْجَا حُماةً خَضارِمهْ
تآســوا على نَصـرِ ابنِ بنْـتِ نبيِّـهمْ بأسْيـافِهِمْ آســادَ غِيلٍ ضَـراغِمَه

وما أشد حزن الشيعة وما أجدرهم بأن يتأسوا بهم طلبا للسلوى والعزاء، يقول أحد شعرائهم[1]: من بحر**المتقارب**

تأَسَّ فكَمْ لكَ مـــنْ سُلْوةٍ تُفـــرّجُ عَنكَ غَليلَ الحَـزَنْ
بِمَوتِ النَّبيّ وقَتْلِ الوَصِـــيّ وقَتلِ الحُسَينِ وسَمّ الحَسَنْ

لقد وقعت الشيعة بعد مقتل الحسين في تأنيب الضمير ، فنتج عنها قيام حركة التوابين التي قادها (سليمان بن صرد) والتي ظلت تعمل في السر حتى وفاة (اليزيد) ؛حيث انطلقت بعده تندد بقتل الحسين معلنة العزم على الثأر له ، ولكنهم يتلقون الهزيمة الكبرى أمام جيش الشام ولا ينجو منهم سوى القليل ،ويتولى المختار الثقفي قيادتهم بعد سليمان بن صرد ، فيخرج والي ابن الزبير على الكوفة ويجعل دعوة الشيعة فيها إلى ابن الحنفية صراحة ، وسرعان ما تتكون حول دعوته هذه نظرية الشيعة الكيسانية المتأثرة بأفكار الكيسانية الغالية.

1– المرجع السابق نفسه ،ص 349.- الخُضَارِمُ : السيِّدُ الْحَمُولُ الجواد الكثير العطاء والمعروف والجمع :خَضارم.-تآسى القوم:عزى بعضهم بعضا.

واستمرت هذه الحركة في توسعها فاحتضنت معها أفكارا متطرفة كالتناسخ والرجعة والغيبة والعلم الباطن والغيب ،ثم أضاف المختار إليها شعوذات خاصة كالقول بالحمائم البيض بأنها ملائكة الرحمن تقاتل في صفوفه ،وغيرها[1].

ويروى أن ابن الحنفية قد تبرأ من المختار هذا حين وصله أنه ليس من دعاته ورجاله ،وبخاصة عندما توغل في الضلالات التي ابتدعها وأولها بتأويلات ومخاريق مموهة لا تمت إلى الحقيقة بشيء من قريب أوبعيد[2].

غير أن المختار ينتهز فرصة اضطهاد ابن الزبير لمحمد بن الحنفية وحبسه مع رهط من بني هاشم ، وقد قدموا للحج وتوعدهم بالقتل والحرق إن لم يبايعوه ، فأشار عليه بعض أتباعه بأن يستنجد بالمختار الذي كان يعرض عليه خدماته ليقوى به مركزه ،فما كان من ابن الحنفية إلا أن يستجيب للمختار فقط لأن الضعف قد أصابه أمام ابن الزبير ،فانتهز المختار الفرصة ثانية وأثار عاطفة أهل الكوفة حتى بكوا وطلبوا أن يتقدم لنصرة المهدي ابن المهدي فبعث المختار بجيش عظيم يقوده (أبو عبد الله الجدلي) فدخل هذا الجيش المسجد الحرام ،وقام جنده بتكسير باب السجن وأطلقوا ابن الحنفية وأنصاره ،واستأذنوه في قتال ابن الزبير فلم يستحل القتال في المسجد الحرام فنجا ابن الزبير وعاد جيش المختار إلى ــــــــــــ

1– المرجع السابق نفسه، ص349-350.

2-المرجع نفسه ،ص 353.

الكوفة. وفي هذا يقول كثير عزة:[1] من بحر **الطويل**

ومَنْ يرَ هَذا الشَّيخَ بالخَيْفِ مِنْ مِنًى مِن النَّاسِ يَعلَــمْ أنَّهُ غيرُ ظالِمِ
وصِيّ النبيّ المُصْطفَى وابْن عَمِّــــهِ وفكَّــاك أغْــلالٍ وقاضِي مَغـارِمِ
أبَى فَهْــو لا يَشْــري هُدًى بضَلالــةٍ ولا يتَّــقي فِي اللهِ لومَةَ لائــــمِ
ونحْنُ بحَمــدِ اللهِ نَتلُــوا كِتــابَــهُ حُلولاً بِهذا الخَيْفِ خَيْفِ المَحَارِمِ
بِحَيثُ الحَمامُ آمِنُ الــرَّوعِ ساكــنٌ وحَيثُ العَدوُّ كالصَّديقِ المُسالــمِ
فَمــا فــرَحُ الدّنْــــيا ببَاقٍ لأهْـلِهِ ولا شِـدَّةُ البَلْـوى بِــضرْبَةِ لازِمِ
تُخــيِّرُ مَن لاقَــــيْتَ أنّــكَ عائــدٌ بلِ العَائدُ المَظْلومُ في سِجنِ عَـارِمِ

وفي آخر المطاف يسقط المختار ويسيطر ابن الزبير على البصرة والكوفة معا إلا أن أثر هذه الشخصية لم تسقط ،وتبقى في سياسة وعقيدة الشيعة ؛ لقد أدى مقتله إلى تطور بالغ في تاريخ الشيعة على مر عصورها بالدعوة والمقاومة السرية ،ونشأ على إثر ذلك مبدأ (التقية) الذي تبناه ابن الحنفية ذاته وكذلك شاعره (كثير) الذي تبعه في ذلك ،وقد ظلت الشيعة تعمل في سرية مكتومة زمنا طويلا حتى عهد هشام ابن عبد الملك الذي خرج عليه زيد بن علي ،ولكن هشام بن عبد الملك تمكن منه فقتله وصلب جثته على جذع نخلة ،وبقيت كذلك إلى أن مات هشام .فقال حكيم بن عياش الكلبي شاعر بني أمية [2]: من بحر**الطويل**

صَلَبْنا لَكُمْ زيْدا عَلَى جِذعِ نخْلةٍ ولَمْ أرَ مهْدِيًّا علَى الجِذْعِ يُصلَبُ

1 – كثير عزة : ديوانه ،ص،ص .225،224

2 – النعمان القاضي : الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ،ص355.

وقِستُمْ بعثْمانٍ عليًّا سَفـــاهَةً وعُثمانُ خَيرٌ مِن عَليٍّ وأطيَـبُ

وقد كان لمقتله وصلبه هذا فاجعة ورنة حزن كبيرة في شعر الشيعة فبكوه بكاء متألما حزينا ،يقول المفضل المطلبي[1]: من بحر **الوافر**

أَلَا يا عيْنِ لا تَرقِى وجُودي بدمعِكِ ليسَ ذا حِينَ الجُمُودِ
غداةَ ابنِ النّبيّ أبو حُسَينٍ صَليبٌ بالكُنـــاسةِ فوقَ عُـودِ
يَظَلُّ علَى عمُودِهمْ ويُمْسي بنفْسِي أعْظـــمٌ فَوقَ العَمـُودِ
تعدَّى الكافرُ الجَـــبّار فيـــهِ فأخْرَجـهُ من القَبـر اللَّحـــيدِ
فطالَ بِه تلعُّبـــُهمْ عُتُـــوًّا وما قدَروا علَى الرُّوحِ الصَّعِيدِ
وجَارُوا في الجنانِ بني أَبِيه وأجْدادًا همُ خيرُ الجُـــدودِ
فكمْ من والدٍ لأبي حُسَـــينٍ مِن الشُّهـــداءِ أو عمٍّ شَهـــيدِ

وعلى هذه الصورة من اللوعة والحزن كان بكاء الشيعة لزيد وحسرتهم على قتله ونبش قبره ،وإخراجه ثم صلب جثته والتلاعب بها ،ولم يكن أول من فعل به هذه الفعلة الشنعاء بل إن أعمامه وأبناء أعمامه قد لقوا المصير نفسه ، فكيف لعين الشاعر أن تطمع في الهجود بعد زيد وكيف نومه على الفراش ولم تحشد الكتائب لحرب الأعداء وعقابهم بمثل ما فعلوا في زيد . فراح الكثير من شعراء الشيعة يبكون زيدا ويرثونه مفجوعين بقتله. يقول في مثل هذا شاعرهم أبو ثمين الأبار[2]: من بحر

الكامل

يَابَا الحُســـينِ أعادَ فقْدُك لَوعةً مَنْ يَلْقَ مَا لاقَيْتُ منْها يكمَدِ

1 - المرجع السابق نفسه ،ص355.

2 - المرجع نفسه، ص 356.

فغَدا السُّهادُ ولَوْ سِواكَ رمَتْ بِهِ الـ ـأقْدارُ حَيثُ رمَتْ بِه لمْ يشْهَدِ
ونَقولُ: لا تبعـــَدْ وبُعْـدُك داؤُنا وكَذاك مَن يلْـقَ المنيَّةَ يَبعُـــدِ
كُنتَ المُؤمِّنَ للعَظائمِ والنُّهـــَى تُرْجَـــى لأمْـرِ الأمَّـــةِ المُتـــأوِّدِ
فقُتِلْتَ حِين نَضَلْت كُلَّ مُناضِلٍ وصَعدْتَ في العَليـــاءِ كلَّ مَصْعَـدِ
يا ليْتَ شِعْري والخُطُوبُ كَثيرةٌ أسْبـــــابُ مـــوردِها ومَا لَمْ يُورَدِ
ما حُجَّةُ المُـستَبْشِرين بقتْلِـــــهِ بالأمْسِ أو ما غَدرُ أهْلِ المسْجِـدِ

ولقد شاع في رثاء زيد الندم على خذلانه وعدم نصرته كما نرى في شعر الكميت بن زيد ؛حيث يقول[1]: من بحر الوافر

دعَانِي ابْنُ الرّسولِ فلمْ أُجِبْهُ ألَهْفي لهْفِ لِلقلْبِ الفَروقِ
حِذارَ منيةٍ لا بُدّ منْهَـــا وهَلْ دُونَ المَنيَّةِ مِنْ طَرِيقِ

وعندما وصل رأس زيد بن علي إلى المدينة بعد أن مات هشام بن عبد الملك قال شاعر أنصاري يحمل البغضاء على زيد [2] :من مجزوء**الوافر**

ألا يا ناقِضَ الميثـــــا قِ أبشرْ بالّذي ساكـَا
نقضْتَ العَهدَ والميثـــا قَ مدْمَاكًا فمَدْ مَاكًا
لقد أخلَفَ إبليسُ الَّذي قــدْ كَـــانَ منآكَــا

فيقال له: (ويلك أتقول هذا في زيد؟ قال : إن الأمير غضبان فأردت أن أرضيه) ،فرد عليه شاعر من الزيدية يقول :[3] من مجزوء **الوافر**

1- الكميت : الهاشميات ،ص 157.-الفروق الخائف الجزع.-نضلت:غلبت.

2– الطبري : تاريخه ،جـ8 ،ص 271. -المدماك:الصف من البناء،هدمته صفا صفا.

3 - المرجع نفسه ،جـ8 ،ص 271.

ألاَ يا شاعرَ السّـــوءِ لقدْ أصبحْتَ أفَّاكًا
أَشَتْمُ ابْنِ رَسولِ اللّــ ـهِ يُرضي من تولاّكـَا
ألا َصبَّحَكَ اللّـــــهُ بِخِــزي ثُــمَّ مَسـّــاكًا
ويومَ الحــشْرِ لاشَكَ ّ بأنّ النَّــار مثْــواكـَا

وتستمر هذه المأساة في آل البيت أهل الشيعة إذ يلقى يحيى بن زيد مصير أبيه فيعيش أياما في السجن مكبلا بالسلاسل ،ومرات أخرى يتنقل من مكان إلى آخر في ضيق شديد ،يذكر الشاعر ما يُصنع بيحيى[1]:

من بحرالطويل

أَلَيسَ بعيْنِ اللهِ ما تصْنعُونَهُ عَشِيّةَ يحْيى مُوثَقٌ في السَّلاسِلِ

كما يقول فيه شاعر شيعي آخر وهو أبو ثميلة الأبار[2] : من بحر **الكامل**

فَلَعلَّ رَاحِمَ أمِّ مُوسى والَّذي نجَّــاهُ من لُجَــجٍ خِضــمٍّ مُزبِدِ
سيُسِرُّ رِيطةَ بعدَ حُزنِ فُؤادِها بيَحيىَ ويَحْيى في الكَتائِبِ مُرتدِي

ولكن أعداؤه لم يتوقفوا عنه فتقع معركة طاحنة بينه وبينهم فينتصرون عليه ويصاب بسهم فيقتل قتلة شنيعة يأمر بعدها الخليفة الوليد بن زيد بقطع رأسه وصلبها على عود نخلة ،ثم إحراقها حتى يصير رمادا ليلقى في الماء.

ولعل حياة الظلم والشقاء والعذاب التي عاشتها الشيعة هي وحدها كانت من وراء اعتقادهم برجعة المهدي بن الحنفية ،ورغم أنهم تأثروا في اعتقادهم هذا باليهود ؛حيث إ ن أوّل من نادى به هو اليهودي المعروف

1– النعمان القاضي : الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ،ص 358.

2– المرجع نفسه ،ص 358.*ريطة:أم يحيى بنت أبي هاشم عبد الله محمد بن الحنفية.

بعبد الله بن سبأ ،إلا أن ميل الشيعة إلى هذا الاعتقاد والتعصب لم يكن إلا بسبب تلك المعاملة القاسية التي لا قوها من الأمويين والعباسين في آن واحد ؛فظلوا ينتظرون عودة هذا الإمام ظنًّا منهم أنه سيكون على يده خلاص الشيعة من هذه الأمة الطاغية والحكام الظلمة، وذلك بعد أن عجزوا عن تحقيق أهدافهم ورفع الظلم عنهم بالسيف والقوة .

لقد حاولوا أن يجدوا لأنفسهم وسيلة يمكن بوساطتها كفّ أعدائهم عن معاملتهم بهذه المعاملة القاسية ،فأخذوا ينادون برجعة الإمام الذي سوف يخلصهم من كل هذا العذاب والألم. ولم ترد في القرآن كلمة المهدي وإنما ورد ذكر المهتدى في قوله تعالى :(وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ) 1.

وكذلك وردت كلمة الهادي : في قوله تعالى : (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) [2] .

وأما في الشعر فقد ورد الكثير كما جاء في شعر حسان بن ثابت الأنصاري يصف الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالمهتدى فيقول:[3]

من بحر **الكامل**

بِأبِي وأمّي مَن شهِدْتُ وفاتَه في يوْمِ الِاثْنيْنِ النّبيّ المُهتَدِي

ويصفه أيضا بالهادي فيقول: [4] من بحر **البسيط.**

تَاللهِ ما حمَلتْ أُنْثَى ولاَ وضَعَتْ مثلَ النَّبيّ رسُولِ الرَّحْمةِ الهَادِي

1– الإسراء : آية 97 .

2 - الرعد : آية 7.

3- حسان بن ثابت : ديوانه ،ص65

4– المصدر نفسه، ص 66.

ويستمر حسان في وصف الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالمهدي وذلك حينما رثاه فيقول: [1] من بحر**الكامل**

مَـــا بالُ عَينِكَ لا تَنامُ كأنَّمَا كُحِلَتْ مآقيها بكُحْلِ الأرْمَدِ

جزِعًا علَى المَهْديِّ أصْبحَ ثاويًا يا خَيرَ مَنْ وَطِئَ الحَصَـــى لا تَبْعدِ

وقد وردت لفظة (المهدي)وصفا لعلي في بعض الأحاديث النبوية الشريفة إذ قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) :(وإن تُؤمّروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الصراط المستقيم)[2] وقد أطلقه شعراء بني أمية هذه الصفة حتى على بعض الخلفاء ؛فقال نهار بن توسعة في سليمان بن عبد الملك :[3] من بحر **الطويل**

لَهُ رايةٌ بالثَّغْرِ سَوْداءُ لمْ تزَلْ تُفَضُّ بها للمُشرِكـينَ جُموعُ
مُبارَكةٌ تهْدي الجُنودَ كأنَّهـا عُقابٌ نحَتْ مِن ريشِها الوُقوعُ
علَى طاعة المَهْديِّ لم يبْقَ غيرُها فأُبْنَا وأمْرُ المُسلِمينَ جميـعُ

وهي في معناها اللغوي الديني رجل هداه الله فاهتدى ،لكننا نراها تتخذ معنى جديدا في عصر أهل الشيعة فتأتي بمعنى الإمام المنتظر الذي سيأتي ويملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا ،وأول من أطلقها بهذا المعنى هو:(محمد بن الحنيفة بن علي بن طالب من أمٍّ من بني حنيفة نسب إليها[4] ؛حيث زعم كيسان هذا إمامة محمد بن الحنفية وأنه يقيم بجبل يسمى (رضوى) وهو جبل قريب من المدينـــة ، وإليه أشــار كثير عزة ــــــــــــ

1- المصدر نفسه، 65.

2-ضيف شوقي : تاريخ الأدب العربي-العصر الإسلامي ،ص236.

3-المرجع نفسه ،ص 236.

4-أحمد أمين : ضحى الإسلام ،جـ 3 ،ص236.

في أبياتـــه التي يقول فيها معتقـدا برجعته لاحقا: [1] من بحر **الوافر**

ألاَ إنّ الأئمَّةَ مِن قُريـشٍ وُلاَةَ الحــقّ أربَعـــةٌ سواءُ
عليٌّ والثَّلاثـــةُ مِن بنِـيهِ همُ الأسباطُ ليس بهِمْ خَفاءُ
فسِبطٌ سبــطُ إيمـــانٍ وبرّ وسبـــطٌ غيَّبَـــتْهُ كربَـــلاءُ
وسِبطٌ لا تَراهُ العَينُ حتَّى يَقودَ الخَيلَ يقدُمُها لـــواءُ
يُغيَّبَ لا يُرى عَنهمْ زمـانًا برضْوى عِندَهُ عسَلٌ ومَـــاءُ

وهذا الاعتقاد الشيعي برجعة ابن الحنفية (المهدي المنتظر عندهم) نجد السيد الحميري يؤكده أكثر من مرة في العديد من قصائده ؛حيث يقول [2]:

من بحر **الوافر**

أَلَمْ ترَ أنَّ خَولةَ سَوفَ تأتِي بِوارِي الزّند صَافي الخِيمِ نَجْدِ
يفُوزُ بِكُنيتِي واسْمِي لأنّي نَحَلْتُهُمَاهُ ،و المهدي بعْدِي
يُغيَّبُ عَنهُمُ حتَّى يقُولُـــوا تَضَمَّـــــنَهُ بِطيبةَ بَطنُ لَحْـدِ
سِنينَ وأشهرًا ويُرَى بِرضْوَى بشِـعْبٍ بيْنَ أنْمَـــارٍ وأُسْـــدِ
مُقيـــمٌ بيْـــنَ آرامٍ وعِيـــنٍ وحفَّـــانٍ تَـروحُ خِلال ربْدِ
تُراعِيها السّباع وليـسَ مِنها مُلاقِيـــهُنَّ مفتـــرِسا بحَـــدِّ
أَمَنَّ بهِ الرَّدَى فَرتعْنَ طَورًا بِلا خَـــوفٍ لدَى مـرْعًى ووِردِ

فالسيد الحميري في هذه الأبيات يؤكد أن ابن الحنفية لم يمت ولم يقتل ،بل إنه هناك بجبل (رضوى) ؛حيث ينعم ويهنأ بحياة رغيدة مطمئنا

1- كثير عزة : ديوانه ،جـ 2،ص 184.-الخيم: الأصل.-نجد: شجاع.

2- السيد الحميري : ديوانه ،ص39.-الربد:السباع.-حفان:صغار النعام والإبل،وصغار كل جنس.وهي هنا صغار الضباء والغزيل تحرسها الأسود ولا تؤذيها.-الورد:المورد،مورد الماء.

لما يدور حوله ،وسيبقى على هذا الحال سنين وأشهرا حتى يظن ضعاف الإيمان بأنه قد مات ،لكنه سيرجع إلى الدنيا فيجدها مليئة بالجور والكفر، فيبدل هذه الحياة كلها بالعدل والإيمان .ويقول السيد الحميري أيضا مكررا هذا الاعتقاد في رجعة ابن الحنفية : [1]

من بحر **الوافر**

تغيَّبَ غَيبةً من غيرِ مَوتٍ ولا قَتــلٍ وسارَ به القَضاءُ
فَحلَّ فمَا بِها بَشـــرٌ سِواهُ بِعَقْــوتِه لَهُ عَسلٌ ومَـــاءُ
إلَى وقْتٍ ومُـدَّةِ كلّ وقـتٍ وإنْ طالتْ علَيه لَها انقِضاءُ
فداءٌ لابنِ خَولةَ كلَّ نـذْلٍ يُطيـــفُ بِه وأنْتَ لهُ فِداءُ
كأنَّا بِابنِ خَولةَ عنْ قَريـبٍ ورَبُّ العَـرشِ يفعَلُ مـا يشاءُ

ونجده في أبيات أخرى يستجدي جبل رضوي في أن يعطف عليه ويخرج من بطنه ابن الحنفية ،غير أنه يبقى مصرا ومقتنعا اقتناعا تاما بأن ابن الحنفية سيعود آجلا أم عاجلا فيقول[2]: من بحر **الطويل**

أياشِ ِعْبَ رَضْوى مَا لِمنْ بِكَ لا يُرَى فَحتَّى متَى تخْفَى وأنتَ قَريبُ
فيا بْنَ الوصِيّ ويا سَميَّ مُحمدٍ وكنْيتَه نفْسي علَيكَ تَـــذُوبُ
فلَو غابَ عنَّا عُمــرَ نُوحٍ لأيقنَتْ منّا النفُـــوسُ بأنّهُ سيَـــؤُوبُ

1-المصدر السابق نفسه ،ص 39 . العقوة: الساحة وما حول الدار.

2 – السيد الحميري: ديوانه ،ص 11.

ونراه يكرر تأكيده على خروج ابن الحنفية من الجبل الذي يعيش فيه،فيقول[1]:

من بحر **الوافر**

ألاَ حَيِّ المُقـيمَ بشِعْبِ رضْــوى وأَهْـدِ لهُ بمَنْـزِلِـه السَّـلامَا
وقُلْ يا بْن الوصِيّ فدتْكَ نفْسي أطلْت بذالِك الجَبلِ المُقامَا
أضَــرَّ بـمعْــشرٍ والُــوك منـــا وسمَّـوك الخليـــفةَ والإمامَا
وعادوا فيك أهلَ الأرض طرًّا مُقامــكَ عنهمُ سَبعِينَ عـامَا
لقَد أمْسَى بمُورقِ شِعْبِ رضْوى إمــامٌ عَـــادِلٌ يتلُـــو إمَامَـا
وما ذاقَ ابنُ خَولـةَ طعْمَ موْتٍ ولا وَارتْ لهُ أرْضٌ عِظـامَا
وإنَّ لَــهُ بــهِ لمَـقيلَ صِـــــدقٍ وأنْـديةً تُحَـــدِّثُــهُ كِرامَـا

وعند ما كان أهل الكيسانية يعتقدون بأن ابن الحنفية سيعود لا محالة بعد غيبة أقصاها سبعين عاما ،إلا أنه لم يرجع في تلك الفترة التي حددوها له وصاروا

يطالبون بالخروج حتى يؤكدوا لمخالفيهم من الشيعة ومن الفرق المذهبية الأخرى بأن اعتقادهم هذا لاشك فيه .فقد دفع السيد إلى القول[2] من بحر: **الكامل**

يا شِعبَ رضْوى ما لِمنْ بكَ لا يُرَى وبِنا إلَيكَ مِن الصَّبابةِ أوْلــقُ
حتىَّ متىَ وإلى متىَ وكمِ المَدى يا بْن الوصيّ وأنت حيٌّ تُرْزقُ

والقول بعودة الإمام ابن الحنفية إلى الدنيا نراه عند أغلب شعراء الشيعة الرافضة (الكيسانية والإمامية)؛وقد ظل هذا الاعتقاد مسرحا تراجيديا للتعبير عن آمال الشيعة وآلامهم في عودة المهدي الذي يكون على يديه خلاصهم من حياة الجحيم والظلم التي يعيشونها .

1 – المصدر السابق نفسه ،ص96.

2 – السيد الحميري: ديوانه ، ص 77 . - الأولق: الجنون أوشبهه.

والاعتقاد بفكرة المهدي لاقت رواجا وذيوعا في شعر الشيعة واعتبروها جزءا من الإيمان كوصف الإيمان والحاضر والغائب ، وقلما نجد شاعرا منهم لم يذكر في شعره هذا الاعتقاد ؛فدعبل الخزاعي مثلا نراه يطمئن الشيعة على أن حياة البؤس والشقاء والعناء التي يتعرضون لها من الحكام الظلمة ليست إلا أيام قليلة ثم تزول بعد ذلك وتعود إلى حياة كلها سعادة وهناء ، وذلك حين عودة المهدي **الذي** سيعيد للشيعة حقهم الديني وسلطانهم المغتصب ، ويخلصهم من هذه الحياة البائسة السوداء ، والمهدي في نظر دعبل لا مجال للشك في عودته ،ولولا هذا الاعتقاد الراسخ في قلبه لامتلأ صدره بالأحزان والحسرات على ما يعانيه الشيعة وما يعترض سبيلهم من مشاق وآلام ،ومن سفك للدماء وتشردهم خارج أوطانهم. يقول دعبل الخزاعي:[1] من بحر **الطويل**.

فلَولا الَّذي أرجُوهُ في اليوم أوغدٍ تَقَطّــعَ قَــلْبي إثرَهُمْ حَسَراتِ
خُــــروجُ إمــــامٍ لا مَحــالةَ خــارجٌ يقُــوم على اسْمِ اللهِ والبَرَكَاتِ
يُميـّـزُ فيــــنا كــــلَّ حَــقٍّ وباطِــــلٍ ويُجْزِي علَى النَّعْمــاءِ والنَّقَماتِ
فيا نفْسُ طِيبي ثُمَّ يا نفسُ أبْشِري فغَــير بُعيــــدٍ كــــلُّ ما هــو آتِ
فإنْ قرّبَ الرّحمنُ من تلك مُدّتي وأخَّــر من عمـْري لطولِ حَياتِي
شفــيت ولم أتــركْ لنـَفْسي رزِيـةً وروّيتُ منــهمْ مُنــصُلي وقنَــاتِي

لقد كثر شعر الشيعة وامتلأ سخطا ومرارة على الأمويين وولاتهم والذين أمعنوا في تعذيب أئمة الشيعة وقتــلهم ونبش قبــورهم ثم صلــبهم على الأعواد في الساحات والأسواق [2] .

1- دعبل الخزاعي : ديوانه ،ص144.-المنصل:السيف.

2- النعمان القاضي : الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ،ص365.

فلا صلاح لأمر الدنيا ،ولا استقرار للشيعة فيها ما دام ملوك السوء من بني أمية الذين طال ملكهم وكثرت بدعهم وتفننوا في سفك دماء الشيعة بلا

شفقة ولا رحمة .يقول الكميتُ داعيا الله أن يكفَّ عنهم هذا العذاب وهذا العناء[1]:

من بحر الطويل

فَتلْك مُلوكُ السُّوءِ قد طالَ مُلكُهُمْ فحتَّى مَ حتَّى مَ العَناءُ المُطـوَّلُ
لهُمْ كلَّ عامٍ بِــدعةٌ يُحْــدثُونَها أزَلُّوا بِها أتبــاعَهُمْ ثمَّ أوْجَـلُوا
كما ابتَدعَ الرُّهبانُ مالمَ يَجئْ بِه كتابٌ ولا وحْيٌ مِن الله مُنــزَلُ
تَحِلُّ دِمــاءُ المسْلِــمين لَديْــهِمُ ويُحرَّمُ طَلْعُ النّخلةِ المُتــهدِّلُ
فيا ربِّ هلْ إلاَّ بك النَّصرُ يُرتَجَى عليْهِمْ وهلْ إلاَّ عَلــيكَ المُعوَّلُ

والقارئ لشعر الكميت يجده حزينا متألما على أئمته الذين سفك الأمويون دماءهم بلا رحمة ولا شفقة ،فصار الكميت وأمثاله يبكونهم ويندبونهم بدموع لا تجف ، وربما كان هذا الطابع أهم ما يميز الشعر الشيعي عموما في هذا العصر ؛ لقد أصبح شعرَ دموع وزفرات على الحسين وأتباعه، وقد سجلت قصائده التي مدح بها بني هاشم وتعرف بالهاشميات أصدق مشاعر المحبة والولاء، وقد ولع بها شعراء الشيعة وزادوا فيها من خواطرهم، ولم يبتعدوا عن روح الأسى التي طبعت بها هذه القصائد.

1– الكميت : الهاشميات ،ص 162.-أزلوا:من الزلل أي الخطأ والضلال.

-أوجلوا:من الوجل أي الخوف.-المتهدل:المتدلي."كان رجل من الأزارقة يمشي بين النخل فأصاب تمرة فأكلها،فلامه صاحبه فقال بأي شيء تستحل هذا؛ ثم لقي اللائم رجلا فقتله، فقال آكل التمرة: أما أكلت تمرة فلمتني عليها فبأي شيء استحللت قتل الرجل"قول الشارح،ص162.

و للكميت له صلة قوية بالهاشميين بدأت مبكرة فلم يبق في قلبه شيء للغزل ولا للحب سوى حب بني هاشم ؛ومن أجمل قصائده في مدحيث يقول[1]:

من بحر **الطويل**

طربتُ وما شَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ ولاَ لَعِبَــاً أذُو الشَّيــبِ يَلعَبُ
ولم يُلهِــنِي دارٌ ولا رَســمُ مَنــزِلٍ ولم يَتَطَــرَّبنِي بَنــانٌ مُخَضَّبُ
وَلكِن إلى أهلِ الفَضَائِلِ والنُّهَى و َخَيرِ بَنِي حَوَّاءَ والخَيرُ يُطلَبُ
إلى النَّفَرِ البيضِ الذِيــنَ بِحُبِّهِم إلى اللّــه فِيــمَا نَابَنــي أتَقَرَّبُ
بَنِي هَــاشِمٍ رَهــطِ النَّبِيِّ فإنَّنِي بِهِم ولَهُم أَرضَى مِرَاراً وأَغْــضَبُ
خَفَضتُ لَهُم مِنّي جَنَاحَيْ مَوَدَّةٍ إلى كَنَفٍ عِطفَاهُ أهلٌ وَمَرحَبُ
وَكُنتُ لَهُم من هَــؤُلاكَ وهَــؤُلا مِجَنــّاً عَلَى أنّي أُذَمُّ وأُقْــصَبُ
وأُرمَى وأَرمــي بالعَــدَاوَةِ أهلَها وإنّــــي لأُوذَى فِيــهُمْ وأُؤَنَّبُ

ونجده يقول في مدح الأئمة من الهاشميين:[2]

من بحر الخفيف

والحُماةُ الكُفاةُ في الحربِ إنْ لـَ فَّ ضِرامًــا وَقُــودُها بضِرامِ

والغُيُــوثِ الذين إنْ أمحَـلَ النـّا سُ فَمأْوى حواضنِ الأيتامِ
غالِـبيّينَ هاشِمـــيّينَ فـي العِلْـــ مِ رُبـَـُوا مــن عطيَّة العـَلَّامِ
وهُـمُ الآخِــذونَ منْ ثقــةِ الأمْـــ ـرِ بتَقواهـمُ عُرًى لا انفِصامِ

وحق الهاشميين في رأي الكميت لا يعتمد على الإقناع العاطفي وإنما

1– الكميت :هاشمياته ،ص43وما بعدها.

2-المصدر نفسه،ص11وما بعدها.

يعتمد قبل كل شيء على الإقناع العقلي ،وذلك باتخاذه لنفسه طرقا ثابتة لا يحيد عنها ،فهو يعتمد على النظر العقلي المحض والآيات القرآنية وما تقرره في حق الأقربين إذيقول:[1] من بحر **الطويل**

بخاتِمِكُم غَصْباً تُجوزُ أمورُهمْ فلَــمْ أرَ غصْبا مثْـلَه يتغَصَّبُ
وجَدْنا لَكمْ في آلِ حَاميمَ آيَـةً تأوَّلَــهَا منَّـــا تَقــيٌّ ومُعْــرِبُ
وفِي غيــرِها آيــاً وآيــاً تتَــابعَتْ لكمْ نَصَبٌ فيها لِذي الشَّكِ مُنْصِبُ
بحقِّكمُ أمْستْ قُريشٌ تقــودُنــا وبالفَذِّ منها والرَّديفينِ نُركَـبُ
و قالــوا ورِثْنـــا ها أبَانــا وأُمَّنَــا وما ورَّثتْـــهُمْ ذاكَ أمٌّ وَلا أَبُ
يروْن لهمْ فضلاً علَى النَّاسِ واجباً سِفاها وحقٌّ الهاشميّين أوْ جَبُ
ولكنْ مَواريثُ ابْنِ آمِنَةَ الَّذِي بــِهِ دانَ شَــرْقيٌّ لُكمْ ومَغرِبُ
فِدىً لك موْروثاً أبِــي وأبُــو أبِي ونفْسي، ونَفسي بعْدُ بالناسِ أطيَبُ

يتضح من هذه الأبيات وما بعدها في هذه القصيدة الطويلة أنها تدور حول تأكيد حق البيت الهاشمي في الخلافة ؛حيث يستخدمه اليوم بنو أمية غصبا من أصحابه الشرعيين ؛ونراه في أبيات أخرى ينصر إمامه من بني هاشم بلسانه وشعره ،فيقول:[2] من بحر **البسيط**

أَهْوى عَليًّا أميرَ المُؤمنينَ ولا أرْضَى بشَــتْمِ أبِي بكْرٍ ولا عُمَرَا
ولا أقُولُ وإنْ لمْ يعْطِيَا فَدَكـًا بنْتَ النَّبـيّ ولا مِيـــراثَه كفَـرَا
اللهُ يَعلــَمُ ماذا يأتِــيانِ بِــــهِ يومَ القِيامَةِ مِن عذْرٍ إذا اعْتَذَرا

1- المصدر السابق نفسه ،ص48.

-فدك:واحة كانت للنبي صلعم أعطاها لابنته فاطمة،وبعد وفاة النبي انتزعها منها أبو بكر الصديق.

2– الكميت : ها شمياته، ص35.

إنَّ الرَّسولَ رسولُ اللهِ قال لنا إنّ الوليَّ عليٌّ غيرَ ما هجَـــرَا
في موقف أوقف الله النَّبيَّ بهِ لمْ يُعْطهِ قبلَه مِن خَلفِه بَشـــرَا

فالكميت في هذه الأبيات يوضح لنا موقف الزيدية من الرافضة الذين افترقوا عن زيد بن علي بن الحسين ، ويؤكد لهم بأنه لا يستطيع موافقتهم على

اتهام الشيخين بالكفر والشرك ،وذلك بسبب منعهما ميراث النبيّ (صلى الله عليه وسلم)عن ابنته ،فيقول:إنه من الأفضل أن نفوض أمرهما إلى الله عزّ وجل ليحكم فيهما كما يشاء .والكميت هنا نجده يعتقد اعتقاد فرقته الزيدية التي لم تكفر الشيخين اللذين كفرتهما الرافضة .

وهذا التطرف الغريب من الرافضة دفع أبا نواس إلى القول:[1]

من بحر**الكامل**

للهِ رافِـــضةٌ بُلِيتُ بِـــهِمْ يتَلاحظُونَ بأعيُنٍ خُزْرِ
يرضُون أنْ أرضَى أبا حَسَنٍ لَهمُ وأبْرأ َمنْ أبِي بَكْرِ
فَلَأجْمَعنَّ علـَى عَداوتِـــه ولأشْهدنَّ عليهِ بالكُـفْرِ
ولأشكـــرَنَّ لراحةِ ضَربَـتْ تِلكَ المَـفَارقَ آخِرالدَّهْرِ

وبرغم حب الشيعة لآل البيت والتفاني في خدمتهم ،والولاء لهم ، إلا أنهم كانوا حين يتقابلون مع أصحاب السلطة والحكم يخفون هذه العقيدة ، وربما كان بعضهم يتبرأ منها حتى أن بعضهم كان يسب آل البيت ولا يرى أحقيتهم في الخلافة ،لكن هذه الأعمال لم تكن محرمة وممنوعة في اعتقادهم بل إنها جائزة ،ويحق للشيعي أن يجهر لعدوه بأنه على حبه ــــــــــ

1– نشوان الحميري : الحور العين ،ص 56.

وولائه له ،لكنه يخفي مقابل هذا الجهر عقيدته ومبدأه الذي يؤمن به وهذا ما يطلق عليه مبدأ (التقية)؛ وأهل الشيعة يتفقون عليه وهو أن تبدي لعدوك شيئا وتخفي عنه أشياء أخرى ، ولذلك نجد معظم شعراء الشيعة قد مدحوا بشعرهم الحكام الأمويين والعباسيين ،ولم يخاصموهم؛ وربما أظهروا لهم أنهم حقا أصحاب الحق والسلطان ، لكنهم في داخلهم كانوا يخفون حق آل البيت في الإمامة .وأن الأمويين والعباسيين وصلوا إلى الحكم عن طريق الاغتصاب والقوة وسفك الدماء .لذلك فهم في نظر الشيعة كفار ،وكما يقول طه حسين : (كان مدح الشيعة يأخذ وجهين : وجها تجاريا ينشرونه فيما بينهم وبين الناس ليعيشوا ويستمتعوا بملذات الحياة والأمن ،ورأيا آخر يخفونه على الناس جميعا إلا أنصارهم وأوليائهم)[1].

والشيعة في اعتقادهم هذا يخالفون الخوارج الذين لم يعرفوا المراوغة والخوف من بطش أعدائهم .ولهذا نرى معظم شعراء الشيعة قد أخذوا بمبدأ(التقية) وعملوا به في مدحهم للأمويين والعباسيين ،وكثيرا ما كان الشاعر منهم يُكشف أمره فيقتل أو يشرد في البلاد.

ونجد هذه الفكرة تتمثل في شاعر الكيسانية (كثير عزة) فهو رغم شدة إيمانه بعقيدته التي يرى فيها أن الإمامة انتهت عند ابن الحنفية ،ولا إمام بعده إلا أنه يمدح مروان بن الحكم الأموي ،ويعده سادس الأئمة من بعد آل البيت فيقول:[2] من بحر **المتقارب.**

1 - طه حسين : حديث الأربعاء ،جـ2 ،ص24.

2 – كثير عزة: ديوانه ،ص268.

شَهيدانِ مِن بعْدِ صِدّيقِـهِمْ وكانَ ابنُ خَوْلَي لهُمْ رابِـعَا
وكانَ ابنُهُ بعْـدهُ خـــامِـسا مُطـيعا لِمـن قَبـلَه سـامِعَا
ومَروانُ سادِسُ منْ قدْ مَضَى وكانَ ابنُــهُ بعْدَهُ سابِـــعَا

فالواضح من هذه الأبيات أن كثير يوافق على خلافة مروان بن الحكم وابنه ،وطبعا أن هذا الكلام يتنافى مع عقيدته الشيعية التي ترى أن الحكام الأمويين كفار ،وحكمهم غير شرعي وليس مقبولا عند الله لأنهم سلبوه واغتصبوه عنوة من يد آل البيت .والحقيقة أن كثير لا يريد من وراء هذا سوى رضا مروان بن الحكم عليه ، وحبًّا في عطفه وماله حتى يعيش مطمئنا آمنا على نفسه وأسرته من القتل والتشرد ، ولكنه كان في داخل نفسه يخفي عقيدته وولاءه للشيعة ،ولم يكن قوله هذا إلا تضليلا لمروان ومن معه جميعا.

ونجد إلى جانب كثير عزة الشاعر الشيعي منصور النمري يصرح هو الآخر بأحقية العباسيين في الخلافة ،لكنه ،مثل كُثيّر، يستخدم مبدأ التقية ويمدح الرشيد فيقول:[1] من بحر **البسيط**

يا ابْنَ الأئمةِ مِن بعْـدِ النّبيّ وَيـا ابْنَ الأوصِياءِ أَقرَّ الناسُ أمْ دَفَعُوا
إنَّ الخِلافةَ كانت إرثَ والِدِكـمْ مِن دونِ تيْـمٍ وعفْـوُ الله مـتَّسعُ
لوْلاَ عَدِيٌّ وتَيْمٌ لَمْ تَكُنْ وصَـلَتْ إلَى أُمَيَّـةَ تَمْـرِ يها وتَرتَضِـعُ
وما لِآلِ علِـيّ فـي إمـارَتِكُـمْ ومَا لهُمْ أبَـدا في إرثِكُمْ طَـمَعُ
العَمُّ أَوْلى مِن ابنِ العَمِّ فاسْتـمعُوا قَولَ النَّصيحَةِ إنَّ الحقَّ مُستَمَع ُ

1– ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،جـ 2 ،ص859.

لكن حقيقة منصور النمري وحبه لآل البيت ما لبث أن ظهرت وعرف الرشيد أن ميله للعباسيين لم يكن ميلا عن عقيدة وإيمان بل كان رياء وكذبا. ولكنه يذكر سبب ولائه للعباسيين ؛حيث يقول:[1] من بحر**الكامل**

آلُ النَّبيّ ومَنْ يُحبُّهـمُ يتَطامُنونَ مَـخافَةَ القَتْلِ
أَمِنُوا النَّصَارى واليهُودَ وهمْ مِن أمَّةِ التَّوحيدِ فِي أزْلِ

ونراه في أبيات أخرى يؤكد فيها ولاءه لآل البيت ساخرا من العباسيين والأمويين في وقت واحد .فيقول :[2] من بحر**المنسرح**

شَاءٌ مِن النَّاسِ راتعٌ هَاملٌ يُعلِّلونَ النّفوسَ بالبَـاطِلِ
تُقْتلُ ذرّيــة النَّــبيّ ويَــر جُونَ جِنان الخُلودِ للـقاتِلِ
ويْلكَ يا قاتِلَ الحُسَينِ لقَدْ بُؤْتَ بِحِمْلٍ ينُوءُ بالحَـامـلِ
أيُّ حِباءٍ حبَوْتَ أَحْمدَ فِي حُفرتِــهِ من حَرارةِ الثَّاكِـلِ

بأيّ وجْهٍ تَلقَى النَّبيَّ و قَدْ دَخلْتَ في قتْلِه مَعَ الدَّاخلِ
مَظلُومةٌ والنّبيّ والِـــدُها قَــريرُ أرجــاءِ مُقـلةٍ حَـــافِلِ
أَلا مَصَاليتُ يغْضبُون لـَــها بسَلَّةِ البيضِ والقَنـا الذَّابـلِ

ويسلك المفضل المطلبي مسلك الكميت ذاته ،لكنه بطريقة معتدلة فلا ينبش

1– المصدر السابق نفسه ،جـ2 ،ص860.

2– المصدر نفسه ،جـ 2 ،ص860 – التبريزي :حماسته ،تحق: محي الدين عبد الحميد ،مطبعة بولاق الإسكندرية مصر ،جـ1، ص74.-مظلومة :هي فاطمة رضي الله عنها.- مصاليت:أصلت السيف ،جرده من غمده.

في أحقاد الماضي الدفينة ،وبدون انفعال ولا كراهية, يقول: [1] من بحر السريع

مهـلاً بَني عمّـنا مهْـلا مَوالِـينا لا تنبِشُوا بينَنا ما كانَ مدفُـونـَا
لا تطمَعوا أن تُهينُونا ونُكرمكُم وأنْ نَكُفَّ الأذى عنكمْ وتُؤذُونَا
مهلاً بني عَمّنا عنْ نحْتِ أثْلتِنا سيرُوا رُويدًا كما كنْتمْ تَسيـرُونَا
اللهُ يعـلَم أنَّـا لا نُحـــــبُّكم ولا نلـومُــكمُ أنْ لا تُحـــــبُّونَا
كلٌّ لهُ نيَّةٌ في بعضِ صَـــاحِبِهِ بنِعمـــةِ اللهِ نَـقْلِيـــكُمْ وتَقْـلـُونَا

وأما ابن خريم فيجعل الشيعة أرفع مرتبة من غيرهم لأنهم عصمة الدين يقضون نهارهم في التعبد والمكابدة والصوم ، وليلهم في الصلاة والتهجد ، ولهذا كانوا في الدنيا أسرع إلى البلاء والتعرض للمحن من قتل وسجن وتنكيل يقول:[1]**من بحر : الوافر**

نـهارُكُمُ مُكابَدةٌ وصَومٌ وليْلُـــكُمُ صلاةٌ وافتِراءُ
وُلِيتُمْ بالقُرَانِ و بالتزَكِّي فأسْـرعَ فيكُمُ ذاك البلاءُ
أَأَجْعلُكمْ وأقوامًا سَواءً وبينكُمُ وبينَهُمُ الْـــهواءُ
وهمْ أرضٌ لأرجُلِكمْ وأنتمْ لأرْؤُسِهِمْ وأعْيِنهمْ سَماءُ

ومن هنا يمكننا القول إن الدارس لشعرهم يجده مليئا بالحزن والألم على أئمتهم وشهدائهم الذين قتلوا بلا رحمة ولا شفقة، ولهذا تحول شعراؤهم إلى البكاء والندب على مصيرهم بدموع لا تنضب ، ولا تتوقف فكان هذا الطابع أهم ما يميز الشعر الشيعي في عمومه . فهو دموع وعبرات وزفرات فلا يستطيعون مغالبة الدموع حين يسقط أحد أفراد هم شهيدا؛ حتى أنه أصبح مثلا يضرب لرقة دموع الشيعة. يقول أحد الشعراء[2]: **من البسيط المجزوء**

أرقُّ مِن دَمعةٍ شيعيَّةٍ تَبكي علِيَّ بنَ أبي طالبِ

1– أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، جـ20،ص273.-الأثل: الأصل.-قلاه: أبغضه.

2– النعمان القاضي: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ،ص373.

وهذه المأساة والآلام التي يعاني منها الشيعة بسبب شقاء واضطهاد آل البيت لم تتوقف عند بكائهم ودموعهم السخية ،بل إن الكون كله ليبكي حزنا وألما من هول الفاجعة في فقد الحسين .يقول شاعرهم سليمان بن قتة[1] : **من بحر الطويل**

مَررَتُ على أبياتِ آلِ محَـــمـدٍ فلَمْ أرَهَا كعــهدِها يومَ حلَّـــتِ
وكانُوا رَجــاءً ثمَّ صــاروا رَزيَّـةً وقَد عظُمتْ تلكَ الرَّزايا وجَلَّـتِ
ألَمْ ترَ أنّ الشَّمسَ أضْحتْ مَريضةً لفقدِ الحُسينِ والبــلادَ اقْشعرَّتِ
وقَد أعْوَلَتْ تبكِي السماءُ لِفقدِه وأنجمُها ناحَــتْ علَيه وصلَّـــــتِ
فلا يُبْعِــدِ اللهُ الدِّيــارَ وأهْلَـها وإنْ أصْبحتْ منهُمْ برُغمٍ تخَلَّـتِ

يبدو أن هذه الأبيات تُرى للعيان وكأنها لوحة طبيعية حزينة تصور الحياة الإسلامية في مأتمٍ كوني حزين يغرق في الألم والبكاء لمصيبة ألمَّت بسيد الشهداء الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما).

ولم يكتف الشيعة بحديثهم عن حزن الكون والسماء لفقد الحسين بل ذهبوا إلى أن الملائكة الزهر في السماء ،وهي راكعة ساجدة ،قد بكته وحزنت عليه .فهذا أحد شعرائهم يقول [2]: من بحر **الكامل**

هلاَّ بكَيْتِ على الحُسيْنِ وأهلِه هَلاَّ بكيْتِ لِمنْ بكاهُ محمّدُ
فلقَد بكتْهُ في السَّـماءِ ملائِــكٌ زُهْرٌ كِـرامٌ راكِعـونَ وسُجَّدُ

وهناك روايات عديدة تذكر أن الجنَّ رثى الحسين وأهله بمقطعات، وقد تجاوبت معه الأرض وسمعت الملائكة ،وهي تنوح بعد الواقعة الأليمة [3].

يقول السيد الحميري في هذا المعنى[4]: من بحر **الخفيف**

1– ضيف شوقي : تاريخ الأدب العربي-العصر الإسلامي ،ص 316.

2– محمد علي بن شهر المازندراني : مناقب آل أبي طالب ، طبعة الراشد بن علي الحيري ، إيران، جـ 3 ،ص 263. -حل البيت:سكنه. –أعول: رفع صوته بالبكاء.

3-الطبري : تاريخه ، جـ 6 ،ص270.

4 محمد بن علي بن شهر المازندراني : مناقب آل أبي طالب ،جـ 3 ،ص212-213.

بكَتِ الأرضُ فقْدَهُ وبكَتْ باحْمرارٍ له نَواحي السَّـــماءِ
بَكتَـَـا فقدَهُ ارْبعِــينَ صباحا كلَّ يومٍ عندَ الضُّحى والمَساءِ

وأما كثير فيشير في بعض أبياته إلى أن الملائكة قد شاركت معه في القتال بمعركة كربلاء ،وكذلك الجن قاتلت معه وندبته وناحت عليه حين استشهد . يقول:[1]

من بحر **البسيط**

احمرَّت الأرضُ من قتلِ الحُسينِ كَما اخْضرَّ عندَ سُقوطِ الجُونةِ العلَقُ
يا ويْــلَ قاتِلـــــهِ يا ويــلَ قــاتلـــــهِ فإنَّــهُ فِي شَفـير النَّار يَحْتَـــرقُ

وهناك مقطوعة طريفة يعتقد أنها لجان من الجنون الذين رثوه .وقد ذكر فيها نوح وعويل نساء الجن وندب النساء الهاشميات، ولطم خدودهن يقول:[2]

من بحر **الهزج**

نِساءُ الجِــنِّ يبْكيــنَ من الحُزنِ شَجِياتِ

ويسْعَدْن بنَوحٍ لِلنّـــ ـــساءِ الهَاشِميّـــاتِ
وينْدُبْنَ حُسـينًا عَـــ ـظُمَتْ تِلكَ الرَّزِياتِ
ويَلطِمْنَ خُدُودا كالـ دَّنانيـــرِ النَّـــقِيـــاتِ
ويلبَسنْ ثِيابَ السُّـــو دِبعْـدَ القَصَبيّـــاتِ

وعلى هذا كان لكل شاعر شيعي إحساس في نفسه يتخبط في حزن عميق ودائم وكان الكثير من شعراء الشيعة يضيف إلى بكائه على مقتل الحسين تحريضا على الأخذ بالثأر ليغسلوا عنهم عار السكوت عن نصرته ومن دافعوا عنه من رفاقه .يقول شاعرهم عوف بن عبد الله بن الأحمر الأزدي [3]:

من بحر **الطويل**

1 – الطبري تاريخه،جـ6،ص270.-قصب الثياب :خيوط من الفضة أو الذهب يحلى بها.
2 - محمد بن علي بن شهر المازدراني :مناقب آل أبي طالب ،جـ3،ص212-213.
3 -ضيف شوقي: العصرالإسلامي ،ص 316.

لِيَبْكِ حُسينًا كُلَّمَا ذَرَّ شَارقٌ وعِند غُسُوق اللَّيلِ مَنْ كانَ باكِيَا
ويا لَيتنِي إذْ ذاك ًكنتُ شهِدتُه فضَاربْتُ عنه الشَّانئينَ الأعَادِيَا
ودَافعتُ عنْه ما اسْتطعْتُ مُجاهِدا وأعْمِلْتُ سَيفِي فيهُمُ و سِنَانِيَا

ويروى لنا أن عبيد الله بن الحر قد خرج في جماعة من أصحابه ؛حتى أتى كربلاء فرأى مصرع الحسين وبعضا من رفاقه فقام فاستغفر لهم ثم ذهب وهو ينشد: [1] من بحر **الطويل**

ويا ندَمي أنْ لا أكُونَ نصَرْتُهُ أَلاَ كلُّ نفْسٍ لا تُسـدِّدُ نـــادِمَهْ
وإنّي لأنّي لمْ أكُنْ مِن حُماتِه لَذُو حسْرةٍ مَا إنْ تُفارقْ لازِمَـهْ

ولما قتل زيد بن علي بن الحسين بكاه الشيعة بحرقة كبيرة وهم ينذرون ويهددون أولئك الذين تسببوا في قتله من بني أمية ،فنجد المفضل المطلبي يرثيه ويبكيه ،وفي نفسه رغبة ملحة في قتل من قتلوه ؛حيث يقول[2]:

من بحر **الوافر**

ألاَ يا عَينِ لا ترقِي وجُـــودي بدمعِك ليسَ ذا حِينَ الجُمودِ
وكَيفَ تَضِنُّ بالعَبراتِ عَيْـنِي وتَطمَعُ بعدَ زيدٍ في الـــهجُودِ
وكيْفَ لَها الرُّقادُ ولمْ تَـــراني جِيادُ الخَيـــلِ تَعْدُو بالأُسُـــودِ
بأيْدِيـــهِمْ صفائحُ مُـرْهَفـاتٌ صَوارِمُ أُخْلصتْ مِن عَهد هُودِ
بها نَسْقِي النُّفـوسَ إذا التَقَيْنا ونقــتُـلُ كـــلَّ جبَّـــارٍ عَنـــيدِ
ونُحْكِمُ في بَني الحَكَمِ العَوالي ونَجْعلُهمْ بِها مِثلَ الـــحَصِيدِ

1ـــالمرجع السابق نفسه ،ص219. -أخلصت: اختيرت.
2-المرجع نفسه،317. -ذرّ: بزغ وطلع. -تضن:تبخل.

ويعلق شوقي ضيف على هذه الأبيات بقوله(وعلى هذا النحو كان الشاعر الشيعي يطوي في نفسه حزنا عميقا على أئمته المستشهدين ،ورغبةً عنيفة في سفك دماء من قتلوهم ،ولكن أنَّى له ذلك وسيف بني أمية بالمرصاد لكل من يخرج عليهم ،وإنهم ليتعقبوهم وولاتهم أحياء ، ويعدون أنفاسهم عدا) [1] .

وإذا تابعنا قراءتنا لأشعار الشيعة في فاجعتهم التي ألمت بهم في مقتل الحسين وجدناهم محزونين ومتألمين ؛بحيث يمكننا القول إنه لا يوجد محبٌّ لأهل البيت له القدرة على نظم الشعر لم يرثِ الإمام الشهيد وأصحابه الأوفياء. وقد ظهرت معظم قصائد الرثاء الحسيني بعد نهاية القرن الأول الهجري. يقول أبو الفرج الأصفهاني: (وقد رثى الحسينَ بن علي (رضي الله عنهما) جماعةٌ من متأخر الشعراء استغنى عن ذكرهم في هذا الموضع كراهة الإطالة ، وأما من تقدم فما وقع إلينا شيء رُثي به،وكان الشعراء لا يقدمون على ذلك مخافة من بني أمية و خشية منهم)[2].

وكان عبد الله بن الحر قد رثى الإمام الحسين بعد استشهاد ه فتعرض لملاحقة عبد الله بن زياد حاكم العراق من اضطره إلى الفرار [3] . و لكن قسوة النظام الأموي وبطشه ودمويته جعل حجم الأشعار الرثائية ضئيلا إذا ما قيس بالمراثي التي نظمت بعد نهاية القرن الأول الهجري.

ويمكن القول أن نساء بني هاشم كنَّ الرائدات في شعر المراثي .فما إن وصلت أنباء كربلاء إلى المدينة حتى خرجت زينب بنت عقيل من دارها لتندب شهداء كربلاء :[4]

1-المرجع السابق نفسه ،ص 317.

2-أبو الفرج الأصفهاني : مقاتل الطالبين ،منشورات الشريف الرضى ،ط2 (1416هـ) .ص 121.

3- **أبو مخنف : مقتل الحسين ،تحق ،حسين الغفاري ،المطبعة العلمية ،بيروت ، ط1،(1403هـ) ص245.**

4 –المسعودي : مروج الذهب ،جـ 3 ،ص 81.

ماذا تقُولونَ إنْ قالَ النّبِيُّ لكمْ ماذا فعَـــلْتُمْ و أنْتمْ آخـــرُ الأُمَـمِ
بعِترَتي وبأهلي بعدَ مُفتقَدي نصفٌ أُسارَى ونصفٌ ضُرِّجوا بِدمِ
ما كانَ هذا جَزائي إذْ نَصَحْتُ لكُمْ أن تَخلِفُوني بسُوءٍ في ذَوي رحِمي

وتبقى مرثيات أم البنين والدة العباس أخو الإمام الحسين في طليعة المشهد الرثائي حول مأساة كربلاء ؛ يذكر أبو الفرج الأصفهاني أنّ أم البنين كانت تمسك بيد حفيدها عبد الله بن العباس وتذهب صوب البقيع ،فيجتمع أهل المدينة حولها ويبكون لرثائها ، وقد أبكت لواعجها وأشجانها عدو آل البيت اللدود مروان بن الحكم [1]. تقول أم البنين[2]: **من بحر الكامل**

يا مَنْ رأى العبَّاس كـــ ـرَّعلَى جماهِير النَّقدْ
ووَراءهُ منْ أبناءِ حيْ دَرَ كـلُّ ليــثٍ ذي لبــَدْ

أُنْبِئــت أنَّ ابــنِي أُصيـ بَ برأسهِ مقْطــوعُ يَدْ
ويلٌ علَـــى شِبــلِي أَمَــا لَ برأسِه ضربُ العَمدْ
لوْلا كانَ سيفُك فِي يَدَيْـ كَ لَما دنَا منْــك أحَدْ

وعندما عادت قافلة سبايا كربلاء إلى المدينة المنورة طلب الإمام زين العابدين من بشير بحزم أن يسبقهم في دخول المديـــــنة ناعيا شهداء كربلاء ،فانطلق بشير ودخل المدينة ووقف قرب مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) وهتف بأعلى صوته يقول:[3] من بحرالكامل

1- أبو الفرج الأصفهاني :مقاتل الطالبين ،ص90.-النقد:السفل من الناس.

2- أبو مخنف :ذيل كتاب مقتل الحسين، تحق الغفاري ،ص181.

3 - ابن طاوس : اللهوف،ترجمة :محمد طاهر الدرقولي ،مؤسسة الأنصاري، ط،1 1378هـ ،ص 284 . –العترة :نسل الرجل ،ورهطه،وعشيرته.

ياأَهلَ يثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ بِهَا قُتِلَ الحُسَـينُ فأدْ مُعي مِدرارُ
الجسْمُ منهُ بكرْبلاءَ مُضَـرَّج والرَّأْسُ مِنهُ علَى القَناةِ يُـــدارُ

ومن بين شعراء الشيعة في القرن الأول الهجري عقبة بن عمرو وعبد الله بن الحر الذي مر معنا ، وعوف بن عبد الله الأحمر الأزدي وقد رأوا جميعهم الإمام الحسين ،ويروى أن خالد بن معدان كان في الشام ؛حيث رأى الحسين فوق رمح طويل فقال: [1]

من بحر **الكامل**

جَاؤوا برأسِك يا بْنَ بنتِ مُحمَّدٍ مُتَـــزَمِّلاً بِدمَـــائِه تَـــزْمِيلاَ
وكأنَّما بِكَ يا ابنَ بِنْتِ مُحُمَّدٍ قَتَلُوا جَهارًا عامِـــدينَ رسُولاَ
قتَلُـــوكَ عَطشـــانًا ولم يتَـــرقَّبُوا في قتْـلِك التَّنزيلَ والتَّأويـلاَ
ويُكَـــبِّرون بأنْ قُتِـلْتَ وإنَّـما قَتَـــلُوا بِكَ التَّكْـــبيرَ والتَّهلِيـلاَ

ومن بين الشعراء الذين رثوا سيد الشهداء عبد الله بن الحر ؛حيث يقول في مطلع إحدى قصائده [2]:

من بحرالطويل

يقُولُ أمـــيرٌ غـــادِرٌ وابنُ غـــادرٍ أَلَاكنْتَ قاتلْتَ الشَّهيدَ ابنَ فاطِمَهْ
فيَا نـــدَمي ألاّ أكونَ نصـــرتُه ألا كـــلُّ نفـــس لا تُســدد نادِمَـة
وإنّي لأنّي لَم أكنْ مِنْ حُماتِه لَذُو حَسْـــرةٍ مـا إنْ تُفـــارقْ لازِمَه

فتعرض لملاحقة ابن زياد فامتطى صـهوة جواده وهرب، ولم يمسك به أحد.

---

1 – الأمين السيد محسن : أعيان الشيعة ،دار التعارف للمطبوعات ، جـ 1 ،ص60.

2- أبو محنف : مقتل الحسين ، تحق: الغفاري، ص 180 .-متزملا: مغطى.

وعندما ينتهي القرن الأول الهجري يشتغل الحكم الأموي بمعالجة الأوضاع السياسية المتفجرة هنا وهناك ، ويبدأ النشاط السياسي العباسي في التقدم إلى الأمام فتضعف سلطة الأمويين ،ويتراجع بطشهم للشيعة، مما يجعل اهتمام أئمة الشيعة ينصب على إحياء شعر الرثاء الحسيني والأدب الكربلائي ، فيبدأ كبار شعراء الشيعة ينشدون مراثيهم في مجالس الأئمة الأطهار من مثل :الكميت بن زيد والسيد الحميري ،وسفيان بن مصعب العبدي ، ومنصور النمري ، ودعبل الخزاعي وغيرهم...

يقول سفيان بن مصعب العبدي : (دخلت على أبي عبد الله، قال: قولوا لأمّ فروة تجئ فتسمع ما صُنع بجَدِّها .قال: فجاءت ،فقعدت خلف الستر ثم قال: فأنشدها.

فقلت: فَروَ جُودي بدمعِك المسكُوبِ .قال:فصاحتْ وصِحْنَ النساءُ)[1]

كما يروي لنا أبو الفرج الأصفهاني عن إسماعيل التميمي:(كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد إذ استأذنه السيّد فأمره بإيصاله وأقعد حرمه خلف ستر، ودخل مسلم وجلس فأنشد له قوله :[2]

من مجزوء الكامل.

أُمرر ْعلَى جَدَثِ الحُسيـ ـنِ وقُلْ لأَعْظُمِه الزَّكِيّهْ

1– عبد الحسين الأميني: الغدير،جـ 2 ،ص 294- 295.

2– أبو الفرج الأصفهاني :الأغاني ، جـ7 ،ص234-235.

يا أعْظُـمًا لا زِلْتِ مِنْ وَطْفـاءَ سَـاكبـةٍ رويَّـهْ
فَإذَا مَـــررْتَ بقَـبرِه فأَطِلْ بِه وقْـفَ المَطِيَّهْ
وابْكِ المُطهَّرَ للمُطَهّـ ـــر والمطـهَّرَةَ النَّـــقِيَّهْ
كبُكاءِ مُعْـولةٍ أتـتْ يومًـا لِواحِـدِها المَـنيّهْ

قال فرأيت دموع جعفر بن محمد تنحدر على خده وارتفع الصراخ والبكاء من داره ،وكان بعضهم ينشدون كثيرا أشعار السيّد الحميري في رثاء الحسين في مجلس الإمام الصادق فيبكي الإمام بأسىً ،وربما كان الإمام الصادق نفسه يطلب من أحد أصحابه – أبو عمار مثلا - أن ينشده أشعار العبدي في رثاء الحسين فينشدها في حضرته1.

ولم تتوقف مأساة كربلاء على الحسين وحده بل تعدته إلى سائر الشهداء من ذرية النبي (صلى الله عليه وسلم).

فمأساة مسلم بن عقيل ،وهانئ بن عروة فجرت عيون الشعر العربي في رثاء أبطال سقطوا وهم يقاتلون الطغاة – في نظرهم – فهذا شاعر منهم يقول بأَسًى وحزن عميقين :2 من بحر **الطويل**

إلى بطَلٍ هَشَّمَ السَّـــيفُ وَجـهَـــهُ وآخَرَ يُهْوِي من طَــمارٍ قَتِيـــــلِ
أصَابهُــما أمرُ الأَمـــــيرِ فـأصْـبحَــا أحَاديثَ من يسْعَى بكلِّ سَبيـــلِ
إذا كنْت لا تدْرينَ ما الموتُ فانظُري إلَى هانئٍ في السُّوق وابْن عَقِيلِ
فتىً هــو أحْيىَ مِن فَتــاةٍ حَيــِيَّــةٍ وأقْطــعَ مِن ذي شَفْــرَتين صَقيـلِ

1- المرجع نفسه ،جـ7 ،ص235. -الطّمار:المكان العالي المرتفع.

2-المسعودي : مروج الذهب ،جـ 3، ص70.

ولشعراء الشيعة مرثيات في زيد الشهيد ونجله يحيى ورموز الثورات التي قادها أحفاد الإمام الحسين المسبط في العصر العباسي ،وسقطوا شهداء في ساحة الوغى، ومن هؤلاء الشعراء : علي بن عبد الله الخزاعي، والمشبع المدني والأشجع بن عمر السلمي ،وأبو طالب القمي الإمام الرضى [1].

وتأتي مرثيات الشهيد يحيى بن عمر الطالبي في المرتبة الثانية بعد رثاء الإمام الحسين ،وكان يحيى قد ثار سنة 248هـ في الكوفة فلقي مصرعه على يد محمد بن عبد الله بن طاهر[2].

وقد رثاه القريب والبعيد ،وبكاه الكبير والصغير على حد تعبير المسعودي في مروجه[3].

وقد أشار أبو الفرج الأصفهاني إلى كثرة المراثي التي قيلت وأنشدت بحق يحيى بن عمر الطالبي [4].

وجاء رثاء آل البيت عند الشيعة بهذا الشكل وهـذا العمق الحــزين المؤلم لأن الشــيعة في معظــمهم يحــاولون الإشــادة بأهل آل البيت،

1- السيد محسن الأميني :أعيان الشيعة ،جـ1 ،ص 170.

2- المسعودي : مروج الذهب ، جـ4، ص1148- 149.

3- المرجع نفسه ،جـ4 ،ص150.

4- أبو الفرج الأصفهاني :مقاتل الطالبين، ص 511.

وتخليد مناقبهم، وصف فضائلهم ساعين إلى نشر التشيع من خلال التركيز على محوره الأساسي في إمامة الإمام علي (رضي الله عنه) وقد تبارى في هذا الميدان شعراء كبار من قبيل الفرزدق والكميت بن زيد ودعبل الخزاعي والسيد الحميري وسليمان بن منصف العبدي وغيرهم كثير.

فالسيد الحميري مثلا نجده قد أوقفكل حياته بمناقب أمير المؤمنين ، وكان لوحده يمثل أكبر جهاز إعلامي لمدرسة أهل البيت .ولهذا فقد حظي لدى الشيعة في عصره بمنزلة رفيعة جدا . ويحكي لنا أبو الفرج الأصفهاني أن السيد الحميري أوقف ألفان وثلاثمائة قصيدة كلها في ذكر آل البيت رثاء وتخليدا لمناقب هم وفضائلهم ،كما ذكر أيضا أن السيد الحميري كان يتردد على منزل سليمان بن مهران الأعشى فيسمع منه فضائل أمير المؤمنين ويقوم بتسجيلها ثم ينظمها شعرا[1]

وجاء في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني أيضا أن السيد الحميري حضر مجلسا تدور فيه أحاديث عن الزرع والنخيل فبقي فيه وقتا قصيرا ثم نهض ، فقالوا له يا أبا هاشم لما القيام فقال:[2] **من بحر الكامل**

إنّي لأَكْرَهُ أنْ أُطِيلَ بِمَـجْـلِسٍ لاَ ذِكْـرَ فيهِ لِفَضْلِ آلِ مُحَـمَّدِ
لا ذِكْرَ فيهِ لأحمَـدَ ووصِـــيِّه وبنِيــهِ ذلكَ مَجْلسٌ نَطفٌ رَدِي
إنَّ الَّذي ينْســاهُمُ في مجْلِسٍ حتَّى يفارقَــه لَــغَيْرُ مُســدَّدِ

1- المرجع السابق نفسه، ص530.-نطف:ملطخ بالعيب.-غير مسدد:غير موفق.

2- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، جـ 7،ص257.

كما رو صاحب الأغاني أيضا ،أن السيد الحميري كان يأتي إلى أعشى همدان، فيكتب عنه فضائل علي (رضي الله عنه)،ويخرج من عنده وهو يقول في تلك المعاني شعرا، فخرج ذات مرة من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمله على فرس وخلع عليه ، فوقف بالكناسة ،ثم قال: إن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) عزم على الرُّكوب ؛فلبس ثيابه وأراد لبْس الخُفّ ، فلبس أحدَ خُفّيه ، ثم أهوى إلى الآخر ليأخذَه فانقضَّ عُقابٌ من السماء عليه وحلّق به ،ثمّ ألقاهُ، فسقط منه أسودُ، فدخَل جُحرا ؛فلبس عليّ الخفَّ .قال : ولم يكن قال في ذلك شيئا ،ففكر هنيهة ثم قال:[1]

من بحر **الوافر**

ألا َيا قوْمُ لِلعَجَبِ العُــجابِ لِخُفّ أبي الحُسينِ ولِلحُـبابِ
عدوٌّ من عِـداةِ الجِـنّ وغْـدٌ بعيدٌ في المُـرادِ منَ الصَوابِ
أتَى خُــفًّا لهُ وانسَــابَ فِيــه لِينْهَــشَ رِجْلَــهُ مِنه بِنــابِ
لِينْهشَ خيرَ مَنْ ركِبَ المَطايا أميــرَ المُؤمنــينَ أبــا تُـرابِ

فخَـرَّ مِن السَّماءِ لَـــهُ عُقـابٌ من العِقْبـــانِ أو شِبــهِ العُقــابِ
فَطـــارَ بِــه فَحلــَّقَ ثُمَّ أهْـوَى به لِلأرضِ مِـــنْ دُونِ السَّحابِ
إلَى جُحْـــرٍ لَــه فانْسَــابَ فِيــهِ بَعِيــدِ القعْــرِ لمْ يُــرتَجْ بِبَابِ
كريهِ ُالوجْه أســودُ ذو بصِيصٍ حديدُ النَّــابِ أزرقُ ذو لُعَـابِ
ودُوفِع عنْ أبِي حَــسَنٍ عَلِــيّ نَقِيــعُ سِمـــامِه بَــعدَ انسِـيابِ

ومن الشعراء الذين نظموا في مناقب وفضائل أمير المؤمنين عليّ (رضي الله عنه) أيضا وأكثروا ، وأجادوا الشاعر : سفيان بن مصعب العبدي ؛فلم ير له مديحا في غير محمد (صلى الله عليه وسلم) [2] ، وقد أنشد الشعراء في رثاء ــــــــــــ

1ـــالمرجع السابق نفسه ،جـ 7 ،ص 276- 277.- أسود: ثعبان.-يرتج:يسد.

2– المرجع نفسه ،جـ7 ،ص295.

الإمام الرضا قصائده كثيرة أمثال الإمام الصادق مناقب علي ،فيقوم العبدي فينظمها شعرا[1]،وكان الإمام الصادق يقول (يا معشر الشيعة علموا أبناءكم شعر العبدي فإنه على دين الله)[2] ، علي بن عبد الله الخوافي ،ومشبع المدني، وأشجع بن عمرو السلمي، وأبو طالب القمي[3].وعندما قتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعا كثيرا ورثاه القريب والبعيد، وحزن عليه الصغير والكبير، وجزع لقتله المَلِيءُ والدنيء.[4]وهكذا كانت قلوب شعراء الشيعة كلهم تمتلئ بالحب الصادق لآل البيت كما جاء في قول أبي الأسود الدؤلي[5]: من بحر **الوافر**

أُحِبُّ مُحمَّدا حُبًّــا شديدًا وعبَّـاسًا وحمَـْزةَ والـــوَصِيَّا
أُحبُّـــهُمُ لحــبِّ اللهِ حــتَّى أجِيءَ إذا بُعِثْتُ عَلى هَوِيَّا
هَوًى أعطيتُه مُنذُ استدارتْ رحى الإسلامِ لمْ يعدِلْ سوِيَّا
بنُــو عَــمِّ النَّـــبيّ وأقْـربُـوهُ أَحَبُّ النَّـــاسِ كلُّهـــمُ إلَـيَّا
فإنْ يَكُ حبُّهُمْ رُشدًا أَصَبْتُ ولسْتُ بِمخْــطِئٍ إنْ كانَ غَيَّا

كما يقول عبد الله بن كثير السهمي في المعنى نفسه: [6] من بحر**الكامل**

إنَّ امرأً ا أمستْ معايـــبُه حُبَّ النَّــبيّ لَغَـــيرُ ذي ذنْبِ
وبنِي أبِي حَسنٍ ووالدِهــمْ مَن طابَ في الأرحامِ و الصُّلبِ
أيُعَـــدُّ ذنْــبًا أنْ أُحبَّهُــمْ بلْ حبُّــهُم كفَّـــارةُ الذَّنْــبِ

1– المرجع السابق، جـ7 ،ص5 29. -المليء:الغني المقتدر.

2 - السيد محسن الأميني : أعيان الشيعة ،جـ1 ،ص180.

3– المرجع السابق نفسه في الأجزاء (4- 8- 10) .

4-المسعودي : مروج الذهب، جـ4 ،ص 114.

5-ضيف شوقي :تاريخ الأدب العربي- العصر الإسلامي ،ص 318.

6-المرجع نفسه ،ص 318.

وواضح من كل ما سبق أن شعراء الشيعة عموما كانوا يحبون آل البيت لجَدِّهم صلوات الله عليه وسلامه ،وهو حبٌّ دفع بعضهم إلى هجاء خصوم آل البيت ؛حتى غدا هجاؤهم لأعداء آل البيت يشكل قصائد ومقطعات شعرية من أكثر الوسائل الدعائية والإعلامية تأثيرا في نفوس الشيعة كلهم .

وقد انبرى شعراء الشيعة للدفاع عن كيان التشيع من خلال هذا الهجاء الذي كان يستهدف طغاة بني أمية في الغالب من أمثال: معاوية بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة، ،وعمرو بن العاص . وكان شعر الهجاء الشيعي الموجه إلى مثل هذه الشخصيات من بني أمية غالبا ما يبقى دون إعلان عن قائله ، كما هو الحال في هذا البيت الذي ظهر بعد هلاك يزيد بن معاوية1: من بحر **الرجز**

يَا أيُّها القبْرُ بِحوَّارِينَا ضَمَمْتَ شرَّ النّاسِ أجْمَعِينا

ومن أفضل شعر الهجاء في بني أمية ما قاله الكميت: [2] من بحر **الوافر**

فقُلْ لِبنِي أميّةَ ؛حيثُ حلُّوا وإنْ خِفْتَ المُهنَّدَ والقَطِيعَا
أَجَاعَ اللهُ منْ أشْبعــتُمُــوهُ وأشْبَعَ مَنْ بِجُورِكُمُ أُجِيعَا

يقول شوقي ضيف:(وكان الشيعة في كل مكان : في العراق ،وخراسان والحجاز يرددون هذه الأبيات وأمثالها من أشعار الكميت الأزدي ،وأحس الأمويون ووالِيهم في العراق يوسف بن عمر الثقفي خطرا في أشعار الكميت) .[3]

وأما أبو الفرج الأصفهاني فيقول في الكميت الأزدي: (ذاك أشعر الأولين والآخرين) [4] .

---

1 – المرجع السابق نفسه ،جـ3،ص65.

2ـــالجاحظ: البيان والتبين ، ج3،ص 365.

3- ضيف شوقي : الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور ،دار المعارف بالقاهرة 1990،ص36.

4 – أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ،ج17 ،ص36.

وقال أيضا إن سبب هجاء الكميت أهل اليمن ،أن شاعرا من أهل الشام يقال له حكيم بن عياش كان يهجو عليّ بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وبني هاشم ، وكان منقطعا إلى بني أمية ، فانتدب له الكميت فهجاه وسبه، فأجابه وولج الهجاء بينهما ، وكان الكميت يخاف أن يفتضح في شعره عن عليٍّ لما وقع بينه وبين هشام ، وكان يُظهر هجاءه في العصبية بين عدنان وقحطان[1].

وقد يعمد بعض الشعراء للرد على شعراء بلاط بني أمية دون التصريح بأسمائهم كما هو الحال في سعيد بن حميد في عهد المستعين (العباسي) وكان من قبلُ شعراء لم يصرحوا بأسمائهم ، ولكن الناس تناقلوا أشعار الهجاء فيه . وفي تلك الفترة كان الشاعر عليّ بن الجهم في طليعة أعداء أهل البيت ، وله قصائد تكشف عن حقد ه على الإمام علي ،بل إنه تحصل من المتوكل نفسه على مكافأة لم يحظ بها شاعر من شعراء البلاط على امتداد تاريخ الإسلام .

وقد انبرى شعراء الشيعة له بالهجاء من قبيل عليّ بن محمد بن جعفر العلَوي ، فهاجم ابن الجَهم وطعن في نسبه المزعوم.

ولأبي الأسود الدؤلي شعرٌ يهجو به ابن زياد ،جاء فيه:[1] من بحر**الوافر**

أقُولُ وذاكَ مِنْ جَزعٍ ووجْدِ أزالَ اللهُ ملْكَ بنِي زِيـــادِ
وأبْعدَهُمْ بِما غدَرُوا وَخَانُوا كَما بَعدَتْ ثمُودُ وقَومُ عَادِ

1– المرجع السابق نفسه ،جـ 17، ص 37.

2– عبد المحسن الأميني : الغذير ،جـ 2 ،ص256.

وهجا السيد الحميري قاضيا ردّ شهادته –السيد- بسبب تشيعه قائلا :[1]

من بحرالمتقارب

أبُوكَ ابنُ سَارِقِ عِـــنزِ النَّبيّ وأنْتَ ابنُ بِنْتِ أبِي جُحْدُر
ونحْنُ علَى رغْمِكَ الرَّافِضُونَ لأَهْـــلِ الضَّـــلالـــةِ والمُنْكرِ

ومن جملة شعراء القرن الثالث الهجري الذين قاموا بهجاء مسئولين كبار في الدولة العباسية الشاعر أبو نعامة الدقيق الذي اتهمهم بارتكاب الفضائح ؛حيث لقي مصرعه على يد مفلح أحد قادة الأتراك في الدولة العباسية.[2]

1- المرجع نفسه ،جـ 2 ،ص 256.

2-ضيف شوقي :تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الثاني ،دار المعارف بمصر ط1 ، 1996 ،ص 388.

الفصل الرابع
الخصائص الفنية للقصيدة الشيعية

أولا : بناء القصيدة :

لم يهتم شعراء الشيعة في شعرهم بالتأثر بالتقاليد الفنية القديمة أو المستحدثة فيما بعد ، ولم يهتموا بالمحافظة على هيكل قصائدهم الطويلة كما حافظ القدماء عليها ، لأن الهدف من قصائدهم في مجملها، لم يكن لإدهاش سامعيهم بطول مقدمتها ،وترابط أفكارها وكثرة صورها الفنية ، وإنما كان هدفهم الوحيد هو إيصال أفكارهم ومعتقداتهم التي يؤمنون بها إلى عقول الناس ،وترسيخها في أذهانهم ، وكما خلت قصائدهم من المقدمات على اختلاف أنواعها ، خلت من المقدمة الطللية ، والغزلية بصورها التقليدية القديمة ، وأصبح البكاء على الديار ، والنحيب ، والتحسر على المحبوبة لا يحمل في جوانبه إلا الحديث عن الآراء التي ينادي بها أتباع معتقداتهم وأفكارهم .

والدارس لشعرهم بلا شك لو تفحص وأطال النظر في مقدمات قصائدهم لما وجد فيها ما يعكس هذا الرأي ،ولم يعثر على ذلك الجسر التقليدي القديم الذي ثبّت قواعدَه وجسد بناءه القُدماء ، وتفننوا في تزيين وزخرفة حواشيه ، ولم يبتعدوا عنه إلى موضوعاتهم الأخرى إلا بعد كل عناء وكدّ وأعطوه أكثر مما يستحق .

كل هذا لم يجعل شعراء الشيعة يتمسكون بهذا النظام الذي طال أمده في حياة القصيدة العربية القديمة. صحيح إن بعضهم قد مرّ على هذا الجسر ولكنهم ساروا عليه باتجاه معاكس ، اختلف اختلافا تاما عن نهج القدماء؛ ولم يحفلوا بما كان يتكلّفه الشاعر ،وما يلاقيه من معاناة حتى يصل إلى موضوعه.

كل هذا أصبح عند شعرائهم لا لزوم له ، حتى إن بعضهم أعلن صراحة الثورة على القديم ،وطالب الشعراء بترك الوقوف على الطلل والبكاء والنحيب عليها ، وكان يمثل هذه الثورة :الكميت بن زيد الذي بدأ قصائده بمقدمات أحيانا ، ولكنها لا تشبه تلك المقدمات التقليدية التي عهدناها عند شعراء الجاهلية وصدر الإسلام، والتي كانت تدور في مجملها حول الوقوف على الأطلال ، وبكاء الديار ،ووصف الدمن والآثار، وإنما نجدها تدور في عكس هذا الاتجاه تماما ؛حيث حبّب إلى الكميت أن يهتم بالنسيب بطر يقة مخالفة حين يذكر في أشعاره أن قلبه ليس ملكا للغواني، ولا يطمح إلى حبّ الحسناوات من النساء جميعهن ،بل إن قلبه مخصص فقط لحب آل النبيّ (صلى الله عليه وسلم) ؛وهو لهذا كان يخرج عن هذه المقدمة إلى موضوع قصائده مباشرة دون أن يَعبُر على ذلك الجسر التقليدي الذي كان الشعراء من قبلِه لا يجدون مفرًّا من عبوره . فلنستمع إلى مقدمة قصيدته البائية لنرى إلى أي حدٍّ كانت ثورته على المقدمة القديمة ،ونتعرفَ على الدوافع التي كانت تقف من خلف هذه الثورة ،يقول:[1] من بحر **المنسرح**

أَنَّىَ ومِن أيْن آبَكَ الطــربُ مِن حَيثُ لا صَبوةٌ و لا رِيبُ
لا مِن طِلابِ المُحجَّباتِ إذا أَلْقَى دُون المَعَاصِرِ الحُجُبُ

ولا حُمـُولٍ غَدتْ ولا دِمنٍ مــرَّ لَهــا بعْدَ حِقبــةٍ حِــقَبُ

---

1 – الكميت :الهاشميات ص78- 80 - المُعصر: الفتاة إذا بلغت شبابها.

ولم تَهِجْني الظُّؤارُفي المنْزِلــ القفْـر بُرُوكاً ومــا لَها رُكَبُ
مَالـــيَ في الدَّارِ بَعْـدَ ساكِنِهَا ولو تَـذكَّرتُ أهلَـــها أَرَبُ
لا الدَّارُ رَدَّت جَوابَ سَائِلِـها ولا بَكتْ أَهْلَها إذا اغْتَـرَبُوا
يا بــاكِيَ التَّلْـــعَةِ القِــفارِ ولَمْ تبْكِ علَيكَ التِّـلاعُ والرَّحَبُ
أَبْرِحْ بِمَــنْ كلُّ ــف الدِّيارَ ومَا تزْعُم فِيه الشَّــواحِجُ النُّعُبُ
هَذا ثَنَ ائي عَلى الدِّيــار وقــدْ تأخُذُ منّي الدِّيــارُ والنَّسبُ

فالكميت في هذه المقدمة نجده يسخر ممن يقف في قصائده تلك الوقفة التي كان يقفها القدماء ،كما يسخر أيضا ممن يستهل قصائده بالبكاء والنحيب على الديار لأنها لا تسمع هذا الباكي ولا ترى و لا تحس بهذه الدموع ،لذلك فلا داعي للوقوف عليها ومخاطبتها وهي صماء بكماء .وهذا أحد أسباب ثورته على هذه المقدمة ،وهو سبب أقل درجة مما سيأتي في قوله:[1]

من بحر الطويل

طرِبتُ وما شوقًا إلى البِيضِ أطْرَبُ ولا لعِبًا منّي أَذو الشّيبِ يلَعَبُ
لمْ يُلهِني دارٌ ولا رسْـــمُ منزلٍ ولمْ يتطرَّبْنِي بنانٌ مُخضَّــبُ
ولا السَّانِحاتُ البارِحاتُ عشـيَّةً أمَرَّ سليمُ القَرنِ أمْ مرَّ أعضَبُ
ولكِنْ إلى أهْلِ الفَضائلِ والنُّهى وخيرْ بَنِي حوَّاءَ والخيرُ يُطْلَبُ

فالكميت في هذه المقطوعة الأخيرة نراه يبين لنا السبب الذي شغله عن ذكر

---

1 – المصدر السابق نفسه ،ص48.-السانحات البارحات:السانح ما ولاك عن يمينك من الحيوان أو الطائر،والبارح ماجاءك عن شمالك ؛ومن عادات العرب التيمن بالسانح والتطر من البارح. -أعضب: مكسور القرن.

الديار والبكاء عليها، وعن ذكر النساء والفاتنات الجميلات فهو حب آل البيت.
و هذا الحب هو وحده الذي شغل عقله وقلبه ،وملأ عليه حياته ودنياه.

وبهذا استطاع الكميت أن يحوّل النسيب في مقدمات قصائده إلى حديث عن شوقه وحبه لآل البيت ، وحقّهم في الإمامة وقضاياهم السياسية والدينية ؛ فهو لم يتخذ في مقدمته شكل الثورة على القديم بمعناها المعروف، وإنما كانت المبادرة لأبي نواس ليعلن ثورته الجامحة على الافتتاحية الغزلية والتقليدية ،والدعوة إلى نبذها وتحقيرها. وسواءٌ فتح الكميت قصائده بمقدماته هذه البابَ لأبي نواس أم لمْ يفتحْ ،فشعراء الشيعة في قصائدهم على اختلافهم لم يسيروا في فلك القدماء ولم

ينهجوا نهجهم ، ولم يتأثروا في مقدمات قصائدهم بالمقدمات التقليدية الموروثة ،ولم يتنقلوا على ذاك الجسر التقليدي الذي أحْكَم بناءَه القدماء ،حتى وإن مرَّ البعض عليه،فقد كان مرورهم باتجاه معاكس ومخالف .وأغلب شعراء الشيعة أهملوه إهمالا يكاد أن يكون كليا ، فقد ناقشوا وجادلوا خصومهم وأدلوا بآرائهم ومعتقداتهم ومبادئهم واستنبطوا وحللوا بلا مقدمات ،سواء أكانت بصورتها القديمة أم بصورتها المستحدثة . فالكُلُّ تقريبا لم يستهل قصائده بمقدمات مهما كانت في صورها القديمة أو في صورها المستجدة كأنهم رأوا أن هذا الجانب التقليدي ليس من جوانب القصيدة ،وليس من عناصر ها الشكلية ، لأنه في نظرهم لا ينقص شيئا ولا يزيد. وأخذوا يعالجون موضوعاتهم وقصائدهم ــــــــــــ

ويعددون مبادئ معتقداتهم ويقررونها بلا مقدمات ،سواء أكانت قديمة أم جديدة. فلو نظرنا مثلا إلى قصائد السيد الحميري في ديوانه على كثرتها لما وجدنا فيها سوى قصيدة واحدة يستهلها بالإشارة إلى الديار المقفرة ،ولكنها إشارة تختلف اختلافا تاما عن إشارات القدماء إلى الديار ،بل إنه يكتفي بثلاثة أبيات فقط نجدها تعبر عن أقفار حقيقية ،وليس تقليدا للقد ماء بل من أجل أن يقوده إلى الوصول إلى البكاء على أهل البيت وذكر معتقداتهم. يقول السيد الحميري[1]: **من بحر الوافر**

أشاقَتْكَ المنــازلُ بعْدَ هِنْدِ وتِربَيــْها وذاتِ الــدّلِ دَعْدِ
مَنازلُ أقفْرتْ منهُنَّ مُحَّتْ معالِمــُهُنَّ مِنْ سَــبَلٍ ورعْدِ
و ريـحٍ حَرْجفٍ تَسْتَنُّ فِيــها بسَافِي التُّربِ تُلْحِمُ ما تُسَدِّي

وبعد هذه الأبيات الثلاثة مباشرة نجد السيد الحميري يدخل إلى موضوعه المختار مشيرا إلى اعتقاد الشيعة الكيسانية الراسخ في عقولهم ،وهو رجعة ابن الحنفية إلى الدنيا الذي سوف يملؤها خيرا بعد أن ملئت جورا وظلما ؛حيث يقول:[2]

من بحر **الوافر**

أَلَمْ يبْلــُغْك والأنبــاءُ تُنْمَى مقالُ محمــــَّدٍ فيمـــا يؤَدِّي
إلَى ذي عِلمِه الهادي عليّ و خَولةَ خادمٍ في البيْتِ تَرْدي
يُغيَّبُ عنْهَمُ حتَّى يَقُــولُوا تضَمــــَّنهُ بطيبـــةَ بطْنُ لَحْدِ

1– السيد الحميري: ديوانه، ص182. -الحرجف:الريح الشديدة البرودة.

2 - المرجع نفسه ،ص18. -سدى النسيج: أقام سداه ومدده أي رتب خيوطه الطويلة.

-**اللَّحْمَة** في الثوب : خيوطُ النّسج العَرْضِيّة يُلحَمُ بها السَّدَى.

فالسيد الحميري لا شك أنه يستهل قصيدته هذه التي يشير فيها إلى رجعة ابن الحنفية إلى الدنيا بالوقوف على الطلل ،إلا أنه خالف فيها نهج القدماء وطريقتهم بشكل واضح وجلي ؛حيث اتخذ من الوقوف على الطلل وسيلته إلى غرضه

العقائدي ،فلا رحيل ولا رحلة ولا وقوف على مجاهل الصحراء ،ثم لا وجود لذكر النساء أو الظعائن التي تعودنا ها في قصائد القدماء من العصر الجاهلي.

والسيد الحميري، لم يكن الشاعر الشيعي الوحيد الذي عالج موضوعه بهذه الطريقة ،بل سار في فلكه جلُّ شعراء الشيعة والمرجئة وغيرهم من الفرق الأخرى ، فبنوا قصائدهم وردُّوا على خصومهم ،ودحضوا مزاعمهم وأبطلوها دون مقدمات طللية أو غزلية ، وربما استهل بعضهم قصائده بذكر المرأة أو بالوقوف على الطلل ،ولكن كما قلنا لم يتحدثوا عن الطلل كما تحدث عنه القدماء ،ولم يذكروا المرأة كما ذكرها القدماء ،بل جعلوها توطئة للحديث عن آرائهم ومعتقداتهم .فثابت قطنة شاعر المرجئة في قصيدته التي قالها في الإرجاء والتي تُعدّ الوثيقة الشعرية الوحيدة التي تُظهر لنا معتقدات المرجئة بشكل دقيق واضح ،استهلها بذكر هند أخت يزيد بن المهلب ،لكنه لا ليتغزل بها أو ليتفنن في ذكر مفاتنها و جمالها ، بل ليحدثها ويلقنها آراء المرجئة ومعتقداتهم إذ يقول:[1] من بحر **البسيط**

1– ثابت قطنة : شعره ،جمع وتحق:ماجد السامرائي ،وزارة الثقافة والإعلام بغداد ، العراق، 1968،ص 39 .

يا هِندُ إنّي أظُنُّ العَيشَ قدْ نفِدَا ولاَ أرَى الأَمْــرَ إلاَّ مُدبِرًا نكِدَا
إنّي رهِيـــــنةُ يومٍ لسْـــتُ سابقَهُ إلاَّ يكُــنْ يومُنا هَذا فقَدْ أَفِدَا
بايعْــتُ ربّيَ بيــعًا إنْ وفَيْتُ بِه جاورْتُ قَتلَى كِرامًا جاوَرُوا أُحُدَا
نُرْجِي الأمُــورَ إذا كانتْ مشبَّـهةً ونصْدُقُ القولَ فِيمنْ جارَ أو عندَا

إن ثابت قطنة في هذه الأبيات استطاع أن يكشف من خلال مخاطبته هند عن معتقداته ، ومعتقدات المرجئة وآرائهم ، والمحور الذي تدور عليه تلك الغاية ت السامية التي استهدفها ،و لا مجال هنا للتغزل بهند أوذكر مفاتنها أو التحدث عن لوعته بها وما يشعر به اتجاهها .

والذي لاشك فيه أن الشاعر فرد من أفراد المجتمع الذي فيه، فهو الحامل الذي يحمل فكره، ويستخدم لغته، ويعكس شيئا من واقعه . ومن تم فإن خطابه لا بد أن يكون موجها إلى ذلك المجتمع الذي يعيش فيه ، كما أن لغته المستخدمة لابد أن تكون من لغة المجتمع وقريبة من الوسط الذي ينطلق ويوجه خطابه إليه[1].

وانطلاقا من كل ما تقدم يجدر بنا أن نشير إلى أن دراسة التشكيل الفني لقصائد الشيعة وفرقها نجدها تتبوأ مقعد الدرس من الناحية الشكلية: الألفاظ، والمبالغة ،والغلو، والتكرار. وكما هو معلوم فإنّ في ارتباط الأدب بالحياة والمجتمع أقوالاً عديدة،لكنها تلتقي جميعها على أن الأدب لا ينشأ من فراغ ولا يؤول إلى فراغ ، وإنما ينمو في مجتمع يمده بالتجارب ويتجاوزها. ــــــــــ

1 – سليمان، مختار إسماعين : الخطاب الديني في قصيدة المديح الأموي .أطروحة دكتوراه ،جامعة اليرموك ،إربد ،2004،ص203. - أفد: دنا وقرب.

إنه – بحكم تفرده وتميزه – لا يعكس الواقع والمجتمع ،ولكنهما ينعكسان فيه أو يؤلِّفان مادته الأولى التي يجتهد الشاعر أو الفنان في إعادة تركيبها أو تشكيلها تشكيلا خاصا ،يصبح معادلا موضوعيا للدوافع والنزعات الداخلية للمبدع[1].

وعلى ذلك لا بدأن يتأكد لنا الدور الإيجابي للفنان عموما ، ولا بد أن يصبغ العمل الفني بشخصه وواقعه ، ولا بد - فوق كل هذا - أن يصدر عن تراث ثقافي يعيشه في أعماقه دون أن يعني هذا نوعا من استعباد هذا التراث للشاعر - في مجال الشعر – إذ يصبح عليه أن يفيد منه في المعالجة الفنيـــة ،وأن يجدد فيه ،ويضيـف إليه من طاقاته الخاصة ، وقدراته على الابتكار [2].

وانطلاقا من كل ما تقدم ،فإننا سنحاول دراسة التشكيل الفني للقصيدة الشيعية من خلال مختلف فرقها ذات المعتقدات المتنوعة ،جاعلين أول استهلا ل في دراستنا لبناء القصيدة الشيـــعية، الألفاظ.

---

1 – عبد القادر الرباعي : في تشكيل الخطاب النقدي ، الأهلية للنشر و التوزيع ،عمان ، ط،1(1988)،ص19-20.

2 – عبد الله التطاوي :القصيدة العباسية قضايا واتجاهات ، مكتبة غريب،ط3، 1988،ص10.

***الألفاظ :**

لقد عرف العرب الكلام بقسميه: النثر والشعر ، وتأكدت لهم طرائقه وأساليبه، وأبدعوا في فنونه وضروبه وألوانه ،وبلغوا من القدرة على التعبير عن مكنون أنفسهم مبلغا لا يضاهى؛فكانوا بحق أرباب الفصاحة والبيان .

ولكن القرآن الكريم بهرهم وأدهشهم وأخذ بعقولهم وأفكارهم مأخذ الإعجاب والإعجاز في أسلوبه الفني المعجز ،ومعانيه الفكرية والتشريعية العادلة . حتى أن كبيرهم في الفصاحة والبيان :الوليد بن المغيرة لما أخذته روعة بيان القرآن وجمال أسلوبه ،وقوة نظمه وحسن مؤداه، قال:(والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك.)[1]

ولما كان للقرآن هذا المأخذ بلباب عقول العرب وأفكارهم انكبوا على مدارسته وحفظه والعناية به عناية كبيرة على جميع المستويات ،فذهب الكثير من علماء اللغة

العربية يهتمون بألفاظه اهتماما بالغا ، حتى ذهب الكثير منهم إلى القول بعدم وجود الترادف فيه .فمن ذلك ما جاء به الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) في مقدمة كتابه المسمى :(المفردات في غريب القرآن) يقول:(فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب وزبدته ،وواسطته وكرامته ، وعليها

---

1 – بهجت عبد الغفور :دراسات نقدية في الشعر العربي،بغداد، 1992،ص 195.

اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ،وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها ،هو بالإضافة إليها، كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة ، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة)[1].

لقد تأثر العرب بالقرآن الكريم حتى ظهرت ألفاظه ولغته في كلامهم بنوعيه الشعري والنثري ، ولاشك في أن الشعراء كانوا أكثر تأثرا بألفاظه وتراكيب جمله ، ولما ظهرت الشيعة وجدنا هذا التأثر قد ازداد بشكل كبير ، وبخاصة في ألفاظه الخاصة بالعقيدة الإسلامية ،مثل: الإيمان وما يشتق منه والهدى والهداية ،والإسلام والتوحيد ،والشهادة والعقيدة والإخلاص، وما يكون مقابلا للإيمان ،مثل : الكفر والشرك والضلالة ، وكذلك ما يتصل بالإيمان بالغيب، مثل الحشر والقيامة والحساب والنار والجنة . وهناك ألفاظ كثيرة تتصل بالنبوة والرسالة والخلافة والإمامة وغير ذلك.

وبلا شك فإن الألفاظ الإسلامية وبخاصة تلك الألفاظ التي تحمل دلالات ومعانيَ تخدم قضية ما ،تعلن عن حضورها باستمرار من خلال هيمنتها على ثقافة الشاعر. يقول السيد الحميري في ذكر ألفاظ من القرآن الكريم:[2]

من بحر **الكامل**

1– الأصفهاني الراغب:المفردات في غريب القرآن ،تحق:محمد سيد كيلاني ،دار المعرفة ، بيروت ، ص6.

2– السيد الحميري :ديوانه ،شرح :ضياء حسين الأعلمي ، ص42.

صِهرُ الرَّسولِ وجارُه في مَسجدٍ طهرٍ يُطهّرُه الرَّســـولُ مطيَّبِ
سيَّــانِ فيـــهِ عليـــهِ غــيرُ مُذمَّمٍ مَمْشاهُ إنْ جنُباً وإنْ لمْ يجْنبِ

لقد استعمل الشاعر في مدحه لعلي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ألفاظا قرآنية واضحة مثل لفظة (الرسول) ولفظة (جنب) وهما من ألفاظ القرآن الكريم يقول الله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا..)[1]،ويقول تعالى أيضا: (وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ..)[2]. كما يقول الشاعر من القصيدة نفسها [3]:

ومتىَ يمُتْ يردِ الجحيمَ ولا يَرِدْ حَوضَ الرسُول وإنْ يرِد يُضرَبِ

فهو يورد في هذا البيت لفظة (الجحيم) وهي من أسماء النار التي أعدها الله عز وجل للكفار يوم القيامة. قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ). [4]

وهذا دعبل الخزاعي نجده يتأثر هو الآخر بألفاظ القرآن الكريم مثل ألفاظ (جبريل الأمين، والصوم، والصلوات) إذ يقول في تائيته الشهيرة: [5]

من بحر الطويل.

مَنازلُ جبريلَ الأمينِ يحُلُّها مِن الله بالتَّسلِيمِ والرَّحَماتِ

ومنها قوله المتضمن ألفاظ العبادة:

---

1 – المائدة : آية 6.

2 - النساء :آية .43

3 – السيد الحميري : ديوانه ،ص47.

4 –المائدة: آية 10.

5 – دعبل الخزاعي: ديوانه،ص45.

قِفا نسألِ الدَّارَ التِي خَفَّ أهلُها متى عهْدُها بالصَّومِ والصَّلواتِ

فدعبل يتأثر بالآيات القرآنية التالية :قال تعالى :(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ..)[1]؛ وكذلك في قوله تعالى :(مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ)[2] ثم قوله تعالى أيضا:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ..)،[3]وكذلك قوله:(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ).[4]

ومن المعروف أن الصلاة والصوم هما من أركان الإسلام .

ولعل ما ذكرناه من ألفاظ القرآن الكريم التي تأثر بها شعراء الشيعة تأثرا كبيرا هو غيض من فيض ،إذ لو تتبعنا كل الألفاظ التي تأثروا بها لطال بنا الحديث ،ولعلنا نقول إن الألفاظ في شعر الشيعة عموما قد تأثرت القرآن الكريم تأثرا لا يمكن بأية حال تجاهله وإغفاله ،ولاحظنا أن هذا التأثر ناتج عن تدبرهم وقراءتهم للقرآن الذي أحدث فيهم هزة بلاغية وإبداعية في نفوسهم على مرّ العصور .

1 البقرة : آية 97.

2 – التكوير: آية 21.

3 – البقرة:آية 183.

4 – البقرة آية238.

ثانيا: الإيقاع الموسيقي للقصيدة الشيعية:

يُعَدُّ الإيقاع من أهم العناصر المكونة للشعر ،بل إنه عنصر جوهري في الشعر لا قوام له من دونه ؛ فهو أقوى عناصر الإيحاء فيه، وذلك لما يوفِّره من ضروب الموسيقى والتناغم التي لا يمكن التغاضي عنها في كل نص شعري مقبول ، خصوصا وأن موسيقية الشعر ترتبط بالانفعالات والعواطف البشرية ، والموسيقى وسيلة تنفذ إلى القلب دون عوائق، يقول إبراهيم أنيس :(وللشعر نواح عدة للجمال ، أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ ، وانسجام في توالي المقاطع وتردد بعضها بعد قدر معين منها ،وكل هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر)[1] . فالوزن كما يقول ابن رشيق المسيلي القيرواني: (هو أعظم أركان الشعر وأولاها به خصوصية)[2]،كما كانت القافية التي هي شركة الوزن في الاختصاص بالشعر ركنا من أركانه . ومن هذا المنطلق يمكننا أن نتساءل عن حظ شعر الشيعة من هذه الأوزان والموسيقى.

لقد أشرنا حين تحدثنا عن بناء القصيدة الشيعية أنّ شعراء الشيعة في معظمهم قد نزلوا بشعرهم من الخاصة إلى عامة الناس، وصاروا أقرب إلى الحديث العام المتداول بين جمـــيع الناس، ومادام هــذا هو الهدف الأسمى من شـــعرهم

1 - إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر ، ط7، مكتبة الأنجلو المصرية ،1997 ،ص13.

2 ابن رشيق المسيلي القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحق: محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل، بيروت ، جـ1،ص113.

فمن الضروري جدا أن يلائموا بين عقائدهم الشيعية العامة وبين أوزانه وقوافيه ليناسبوا بين هذه الأوزان وبين بساطة عقيدتهم ، يقول البهبيتي مؤكدا أن أوزان الشعر قوالب للانفعالات التي تجيش بنفس الشاعر تتناسب مع حالاتها ،وتجانس صورها[1]، وإلى جانب البهبيتي نجد رأي الجراري الذي يرى أن (الوزن هو أساس الإيقاع في الشعر لأنه يضبط المستويات الصوتية للحروف والكلمات وما تكوّن من مقاطع وأجزاء ، وينظم العلاقات التنغيمية بينها)[2] ،فإذا ما انطلقنا من هذا كله ، عرفنا أن ركوب بحر معين لابد أن تكون له علاقة بالإحساس الذي يتفاعل في نفس الشاعر ، وارتباط جدلي بعواطفه ومشاعره.

ومن ثمَّ كان الشعراء القدماء يميلون إلى البحور الطويلة التي كانت تتسع لسيلان هذه العواطف ،والتي جعلتهم من أطول الأمم نفسا في الشعر ، بغض النظر عما مال إليه بعض الباحثين من أنَّ الشعراء الجاهليين لم يكونوا يربطون بين الوزن الشعري وبين الموضوع المطروق[3].

ونحن بعد هذا كله نتساءل عن مدى ارتباط البحور التي ركبها شعراء الشيـعة بموضوعـاتهم والتي ترتكز على فكرة موحدة تقـريبا وهي مذهبـهم

1– البهبيتي ، نجيب: تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، مؤسسة الخانجي1961، ص86.

2 - الجراري عباس : فنية التعبير في شعر ابن زيدون ،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ،المغرب ،1977،ص12.

3- إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ،ص195.

الشيعي ؛حيث كثرت في شعرهم البحور القصيرة و المجزوءة ،كمجزوء الكامل ،والمتقارب ،و مخلع البسيط، والرجز ،والخفيف ،والوافر، وما إلى ذلك من البحور التي شاعت في القرن الثاني الهجري ،وعكف الشعراء على استخدامها في موضوعاتهم المستحدثة ليناسبوا بينها وبين الذوق العام الذي أصابه التطور والتغيير.

ولم يكن شعر الشيعة وحده الذي مال فيه شعراؤه إلى استخدام الأوزان القصيرة والخفيفة ،بل إن أغلبَ موضوعاته الجديدة مالت إلى هذا النوع من البحور، حتى إن شعراء هذا العصر لم يقتصروا كما يقول محمد مصطفى هدارة :(على الميل إلى البحور القصيرة والابتعاد عن الأوزان المعقدة الطويلة ولكنهم أحبوا أوزانا كانت نادرة في الشعر الجاهلي والإسلامي بحيث يعتبر النظم فيها في هذا العصر ابتكارا في الوزن بلا جدال)[1]؛ لذلك ركب شعراء الشيعة وغيرهم من شعراء الأحزاب الأخرى الأوزان القصيرة ونظموا على بحورها، وكان الدافع الحقيقي لهذا الاتجاه محاولة توصيل أفكارهم ومعتقداتهم إلى عامة الناس .فالشعر أحسن وسيلة للدخول

في النفوس والقلوب الخالية من شوائب الأحقاد. لهذا السبب مال شعراء الشيعة إلى ركوب هذه البحور السريعة الإيقاع واستطاعوا بلا شك أن ينقلوا عن طريقها آراءهم ومعتقداتهم الشيعية إلى الناس وترسيخها في عقولهم وأفئدتهم ؛ولنستمع للشاعر دعبل الخزاعي يرد على مروان بن حفصة شاعر البلاط العباسي بمقطوعة شيعية يتخذ من مجزوء الكامل بحرا لها ،يقول :[2]

1- محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعرالعربي ، نشر دار المعارف بمصر ط1-1998،ص540.

2– دعبل الخزاعي :ديوانه ،ص236.

قُلْ لابنِ خائِنةِ البُعُولِ وابنِ الجَوادَةِ والبــخِيلِ
إنّ المَــذمَّةَ للــوصِيْ يِ هيَ الْمَـذمَّةُ للرَّسُــولِ
أتَــذُمُّ أولادَ النَّـبيـ يِ وأنْــتَ من ولَدِ النَّغُـولِ

فالشاعر بلا شك استطاع الملاءمة بين بساطة لغة الشعر وهذا الإيقاع السريع لمجزوء الكامل ليجعل المضمون ينفذ بسرعة إلى عقول وقلوب عامة الناس بلا معاناة شديدة .

ونقرأ للسيد الحميري أبياتا يسب فيها والديه ويتبرأ منهما براءة أبدية ، ويكفرهما لسبهما الإمام عليًّا (رضي الله عنه)،فيقول :[1]

من بحر الخفيف

لعـنَ الله والِــــديَّ جمــــيعًا ثُمَّ أصْلاهُـما عَذابَ الجَـحِيمِ
حَكَمَا غُدْوَةً كَما صَلَّيا الْفَــجْـ ــرَ بلَعْنِ الوصِــــيّ بابِ العُلومِ
لَعَنَاخَيرَ مَنْ مشَى فَوق ظَهرِالـ أرضِ أَوْ طافَ مُحْرِمًا بالحَطيمِ
كَفَرا عنْدَ شتْمِ آلِ رسُولِ الــ ــلَّه نسْلِ المُهذّبِ المَـعْصُومِ
والوَصِيِّ الذي بِه تثْبُـتُ الأرْ ضُ ولوْلاَ هُ دُكْدِكَتْ كـالرَّميمِ

---

1 – عبد الحسين أحمد الأميني النجفي: الغذير في الكتاب والسنة والأدب،جـ2،ص234.

-ولد نغل:فاسد النسب.ونغل المولود:ولد عن زنى.-الحطيم:بناء مقابل الميزاب من خارج الكعبة.

وإلى جانب هذه البحور القصيرة والأوزان الخفيفة المستخدمة في معظم شعر الشيعة - كما مر معنا - لانعدم استخدامهم للبحور الطويلة أو المعقدة في قصائدهم أيضا ،فالكميت يختار بحر الطويل في قصيدته الطويلة التي يهدي بها هشام بن عبد

الملك الذي ابتعد عن كتاب الله وسنة رسوله(صلى الله عليه وسلم)وآخذ في سفك دماء المسلمين بلا رحمة ولا شفقة .

يقول الكميت:[1] من بحر **الطويل**

كلام النبيّينَ الهُـــداةِ كلامُــنا و أفعالُ أهلِ الجَـــاهلِيةِ نفْعَلُ
رَضِينا بدُنْيا لا نريــدُ فِــراقَــها على أنَّنا فيها نمُـــــــوتُ ونُقتَلُ
ونحنُ بها مُسْتمسِــكونَ كأنَّــها لنا جَنَّةٌ ممَّا نَخـــــافُ ومَعقِلُ
أرانا علَى حبِّ الحياةِ وطــولِها يُجــدُّ بِنا في كلِّ يومٍ ونُــهزَلُ
فتلكَ أمورُ النَّاس أضحتْ كأنَّها أُمورُ مُضِـــيعٍ آثــر النَّــومَ بــهَّلُ
فيا سَاسةً هاتُوا لنا مِن حديثِكم ففِيكُمْ لَعَمْري ذو أفانينَ مِقْولُ
أَأَهْلَ كتابٍ نحـــنُ فيه وأنْتــمُ على الحقِّ نقْضي بالكتـابِ ونَعْدِلُ

كما أن دعبل الخزاعي نجده أيضا يستخدم البحر الطويل في قصيدته التي يأمل فيها رجعة ابن الحنفية ؛حيث يقول:[2] من بحر **الطويل**

فلَوْلا الَّذي أرجُوهُ في اليومِ أو غدٍ تقطَّعَ قلْبي إثرَهــمْ حســـرَاتي
خــروجُ إمامٍ لا مَحـــالةَ خـــارجٌ يقُومُ على اسمِ اللهِ و البَركـَاتِ

---

1 – الكميت :الهاشميات ،ص123. بهُّ َل:أي مهملة.- يجدّبنا:أي تشتد عليها المصائب.

2 – دعبل الخزاعي: ديوانه ،ص 85.-مِقول :لسِن،ذو فصاحة.

يُمَيّــز فيـــــنا كـــلَّ حـــقٍّ وباطــلٍ ويُجري على النـعماء و النَّقَمات
فيا نفْـسُ طِيبي ثمَّ يا نفس أبْشِـــري فغَـــيرُ بَعيـــــدٍ كلُّ ما هُـو آتِ
و إنْ قرَّب الرحمنُ من تِلك مدَّتي وأخَّر منْ عُمْري لطولِ حَياتي
شفَيتُ ولمْ أتــركْ لنــفْـسيَ ريبــةً وروَّيْت منـــهمْ مُنصُلي وقنَـاتي

وإلى جانب البحر الطويل نراهم قد نظموا بعض قصائدهم ومقطوعاتهم على البحر البسيط ، وما نلاحظه على الشاعر الشيعي أنه حين يتخير مثل هذه البحور التي يتَأَتَّى فيها الإيقاع ، نراه يميل إلى تغليب الجانب العقلي والجدلي ،ويحاول الاستدلال بالمنطق ، ومما لا شك فيه أن الموسيقى في الشعر لا تنبع من الوزن وحده وما فيه من إيقاع ، بل إن الإيقاع في الوزن الواحد قد يتغير تبعا لتأثير عناصر أخرى في البناء الفني للقصيدة من ؛حيث لغتها ومضمونها .

وغاية القول في ذلك :أن الموسيقى التي استخدمها شعراء الشيعة قد تلاءمت مع أفكارهم ومنهجهم في الكتابة والمضامين التي أرادوا أن يعبروا عنها.

***القافية:**

وكما كان شعراء الشيعة أوفياء في قصائدهم للملاءمة بين الشكل والمضمون سواء في التزامهم لقافية واحدة أو في استخدام بعضهم للمزدوج، وهو تقفية المصراعين على روي واحد ، بدأ شكله يظهر في شعر القرن الثاني الهجري ، وأصبح عاملا مهما في توفير ألوان من الإيقاع الموسيقي للقصيدة ، مكنت الشاعر من التعبير عن دقائق فكرية ومشكلات زمنية عويصة وشائكة ، إلا أن الشعراء لم يتوسعوا فيه كثيرا.

وكان ديك الجن واحدا ممن نظموا في هذا الشكل الإيقاعي ؛حيث يقول في مقطوعة له يؤكد فيها ولاءه لعليّ رضي الله عنه ولآل البيت من بعده يقول:[1]

من **مخلع البسيط**

إنَّ الرسولَ لم يزلْ يقولُ والخيـرُ ما قالَ بِه الرَّسُـــــولُ
إنَّكَ مِنّي يا علـــيُّ الأبيُّ بحيثُ مِن مُوساهُ هارونُ النّبيّ
لكنَّـه ليـسَ نبِـــيٌّ بعْـــدِي فأنْت خـــيرُ العالَـــمين عنْـــدِي
وأنتَ منّـي الزّرُّ مِن قَمِيصِي ومَا لِمَنْ عـــاداكَ مِـن مَحِـيصِ

ومما نلاحظه أيضا في قصائد الشيعة ومقطوعاتهم خلو البيت الأول فيها من التصريع ما عدا بعضها القليل جدا والذي لا يتجاوز عدد أصابع اليدين من

---

1 – ديك الجن: ديوانه ، ص 138 .-المحيص :المحيد والمهرب.

مثل قول ديك الجن من المقطوعة السابقة نفسها ؛حيث يقول: [1]

من بحر **الوافر**

إنّ الرَّسولَ لم يزَلْ يقولُ والخيرُ ما قالَ به الرّسولُ

وكذلك في بعض قصائد الكميت من مثل قوله في إحدى قصائده التي يبدأها بقوله:[2] من بحر **الطويل**

طربتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطرَبُ ولا لعِبا منّي أَذو الشّيبِ يلعبُ

ويقول أيضا:[3] من بحر المنسرح

أنّى ومِن أينَ آبكَ الطَّرَبُ مِن حيثُ لا صَبوةٌ ولا ريَبُ

وكذلك قوله: [4] من بحر **الخفيف**

مَن لِقلبٍ متيَّمٍ مُسْتهامِ غيرِ ما صَبوةٍ ولا أحْلامِ

كما نرى ثابت قطنة شاعر المرجئة يصرع قصيدته التي يقول في مطلعها :[5]

من بحر البسيط

يا هندُ إنّي أظنُّ العيشَ قد نفِدا ولا أرى الأمرَ إلا مُدْبرًا نكِدا

وكذلك السيد الحميري الذي يقول في إحدى مقطوعاته:[6]

من بحر الكامل

خفْ يا محمَّدُ فالقُ الإصباحِ وأزِلْ فسادَ الدِّين بالإصْلاحِ

---

1 – المصدر السابق نفسه ،ص 138.

2– الكميت :الهاشميات ،ص48.

3– المرجع نفسه ،136.

4- المرجع نفسه، ص 144.

5 – ثابت قطنة :شعره ،جمع وتحق: ماجد السامرائي ،ص 39.

6 – السيد الحميري: ديوانه ص66.

وإلى جانب هذه القصائد والمقطوعات الشيعية المصرعة، هنالك قصائد كثيرة، لا نجد ها قد استهلت بالتصريع بل اعتمد أصحابها في معظمها على التخليع ،وهو إخلاء عروض البيت فيها من التصريع والتقفية ،ولو حاولنا معرفة سبب ذلك لوجدناه يرجع بصفة أساسية إلى انشغال شعراء الشيعة بالفكرة عن التروية في القول واصطناع الموسيقى ،كما يمكننا القول بأن الشاعر فيهم كان يهتم بالفكرة العقائدية التي يحاول إيصالها إلى العامة بدل أن يهتموا بالتفنن في الموسيقى ،والتأنق في التعبير ، وهو ما لم يكن هدفهم في شعرهم. ولهذا لا نجد في أشعارهم التصريع أو فنَّ التقسيم ،أو غير ذلك مما يسهم في ثراء الموسيقى الداخلية للقصيدة، إلا ما أتى عفوا. وكان الغالب على موسيقاهم الإيقاع الهادئ البعيد عن الخطابة والرنَّة العالية ، لأن شعرهم ينزع المنزع العقلي ؛حيث كان همُّهم الوحيد التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم الشيعية، ومحاولة إقناع عامة الناس بها.

ومن الملاحظات الفنية أيضا والتي نلحظها في معظم قصائدهم غلبةُ وحدة الغرض أو الموضوع المختار ،مما زاد في تلاحم أبيات قصائدهم ومقطوعاتهم حتى إنه يصعب تغيير بيت أو تبديله من مكانه ،وإذا وقع ذلك ،فالمعنى ويفقد ترابطه الفكري ،ويخلِّف وراءه فراغا يظهر جليا للقارئ أو السامع لأول وهلة.

وما هذا إلا لأن الأبيات تقوم على تقرير حقائق منطقية ثابتة يصعب الفصل بين جزئياتها وعناصرها الداخلية.

ونخلص في نهاية حديثنا عن البناء الفني للقصيدة الشيعية بأنه بناء متكامل متماسك من أجل تحقيق الهدف المنشود لشعراء الشيعة ،وهو خدمة المضمون ،وتوصيل أفكارهم ومعتقداتهم بأسهل الطرق وأسرعها إلى عامة الناس.

ثالثا :الصورةالفنية وأنماطـــــها.

***الصورةالفنية:**

الصورة الفنية في النقد الحديث من العناصر الضرورية في الصياغة الشعرية ،كما أنها من الأدوات الهامة إذا ما أجيد استخدامها في التعبير عن تجربة الشاعر تعبيرا حيا ومؤثرا, يحرك وجدان القراء والسامعين، وذلك بتخطي الدلالات المحددة للألفاظ إلى ما هو أسمى وأسرع تسرُّبا إلى النفوس, وإبرازها في ثوب حسن جذاب ،كما يقول مصطفى ناصف:(يستطيع أن ينقل بكل دقة قالب الخبرة الفنية)[1].

ومادامت الصورة الفنية هي جوهر الشعر وروحه ،بل إنها عصب الشعر الحي،لأنها تقود القارئ إلى ولوج عالم القصيدة، وبالتالي عالم الشعر, فإن(الاهتمام بها يظل قائما مادام هناك شعراء يبدعون, ونقاد يحاولون تحليل ما أبدعوه وإدراكه والحكم عليه)[2].

ونظرا لارتباط الصورة بنظرية المعرفة في الفلسفة وبنظرة الإنسان إلى الكون ،فقد ازداد الاهتمام بها في مطلع القرن العشرين, وإن كان نقادنا القدامى قد أعاروها شيئا من الاهتمام. ولعلَّ أول ما يتصدر ذلك نصٌّ للجاحظ يقول فيه:
(والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ،والقروي والبدوي،

---

1 - **مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ،دار الاندلس ،ط2 - 1981،ص236.**

2 - **جابر عصفور : الصورة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ،بيروت ،ط3 - 1992،ص807.**

وإنما الشأن في إقامة الوزن وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك ؛وإنما الشعر صياغة ،وضرب من النسج ،وجنس من التصوير)[1].

وقد انشغل ابن قتيبة وابن طباطبا وقدامة بن جعفر وغيرهم بثنائية اللفظ والمعنى ،ولم يختلفوا عن الجاحظ في المبدأ الصناعي ذاته في الصناعة الشعرية ؛إذ كان جلُّ اهتمامهم منصبا على ثنائية اللفظ والمعنى حتى جاء عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم ليقول:(واعلم أن قولنا الصورة إنما تمثيل قياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ،فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان تبين إنسان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذ الا تكون في صورة ذاك ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقا عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك, وليست العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدعناه فينكره منكر ،بل هو مستعمل في كلام العلماء ،ويكفيك قول الجاحظ (وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير)[2].

ما نلاحظه من قول عبد القاهر الجرجاني هذا أنه جعل من خصوصية الصورة معيارا فنيا في التقويم وربط أجزاء هذه الصورة بالعلائق منطلقا من ذوقه ، ومستعينا بالنحو في ضبط ما يضبط من هذه العلائق أو الروابـط بين

1-الجاحظ, الحيوان تحق عبد السلام هارون ،دار الجيل ،بيروت ،ط1 - 1986,جـ3، ص131-132.

2- عبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز ،تحق: أحمد شاكر ،طبعة الرشيد، مكتبة القاهرة، ط1 ،ص365.

الألفاظ إيمانا منه بأنها مطلقة وليست محدودة ،فهو يقول:(واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى، وتجعل هذه لسبب من تلك)[1].

ولعل مقاربته للصورة خير ما تركه القدماء من حيث التحديد والتقسيم وإظهار روعتها وقيمتها الفنية ،وتوليد المعاني الجديدة وقد أرجع محاسن الكلام اليها[2].

ومن هنا يجدر بنا أن نقول: إن النقاد والبلاغيين العرب لم يتطرقوا للصورة لم يتطرقوا للصورة بهذا المصطلح الذي نعرفه اليوم وإنما اهتموا بوسائلها الفنية أو أشكالها البلاغية فعالجوا التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل.وقد جاءت معالجتهم على أساس جزئي لا يتعدى الجملة في البيت أو البيت إلى القصيدة[3] .

أما البلاغيون والنقاد المحدثون؛ فقد أوْلوا هذا المصطلح (الصورة)أهمية بالغة وأعطوه أبعادا كثيرة ،ونسجوا له تعريفات عدة ومفاهيم متباينة. من ذلك أنهم جعلوها السبب الأساس في ترشيح الشاعر للمجد ؛لأن الشعر في نظرهم لا يكون شعرا حقيقيا إلا بها ،حيث تحيل المعاني المجردة إلى أمثلة عينية تنفعل لها الحواس انفعالا لذيذا.

1- المرجع السابق نفسه ،ص97.

2- أحمد مطلوب : عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ،وكالة المطبوعات ، بيروت، 1973،ص123.

3 – عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في شعر أبي تمام ،أطروحة دكتوراه، 1976،ص15.

والصورة بهذا المفهوم تُعدّ العنصر الأساس من عناصر حساسة في عملية التعبير الفني ،والوسيلة الأصلية لنقل أحاسيس الشاعر، ومن ثم فإنه لا يتصور العمل الفني مجردا منها أو قائما على غيرها.

والصورة مع ذلك معيار نقدي مهم في الحكم على أصالة التجربة الشعرية ،وقدرة الشاعر على تشكيلها في نسق يحقق المتعة والخبرة لمن يتلقاه.

ويعرف لنا جابر عصفور الصورة فيقول:(الصورة هي طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجه من أوجه الدلالة ،تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من

المعاني من خصوصية وتأثير ،ولكن أيًّا كانت من طبيعة المعنى في ذاته, فإنها لا تغير إلا في طريقة عرضه وكيفية تقديمه)[1].

فالصورة ـ إذن ـ من خلال هذه الفرضية طريقة لاستخدام خصوصية التأثير في ذهن المتلقي بمختلف وجوه الدلالة التي يستقيها من النص في منهج تقديمه وكيفية تلقيه ،وما يحدثه ذلك من متعة ذهنية أو تصور تخيلي نتيجة لهذا العرض السليم[2].

ولعل سيد قطب قد أشار إلى ذلك في دراسته للتصوير الفني في القرآن الكريم ؛حيث قال:(إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل ،القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض)[3].

---

1 - جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ص232.

2 - أحمد فؤاد الشايب : أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة، 1973 ، ص242.

3 - سيد قطب: التصوير الفني في القرآن ،دار الشروق ،القاهرة،2004،ص9.

ويزيد فيقول:(التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ،وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ،وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة).[1]

وأما أحمد الشايب فيقول:(هذه الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه أو سامعيه تدعى الصورة الأدبية أو الصورة الفنية)[2]. ثم نجده يذكر أنَّ لها معنيين أحدهما ما يقابل المادة الأدبية, ويظهر في الخيال والعبارة, والثاني ما يقابل الأسلوب ويتحقق بالوحدة[3].

ويزيد فيجعل مقياس الصورة هو(قدرتها على نقل الفكرة والعاطفة بأمانة وهذا التناسب بينها وبين ما تصور من عقل الكاتب ومزاجه تصويرا دقيقا خاليا من الجفوة والتعقيد فيه روح الأديب وقلبه ؛بحيث نقرأه كأننا نحادثه ونسمعه كأننا نعامله)[4] ويتضح لنا من كلام أحمد الشايب أن الصورة تظهر بشكلين متباينين :

الشكل الأول:

وهو أن الصورة تعمل ،كقوة قادرة، على نقل الفكرة وإظهار العاطفة.

1ـ المرجع السابق نفسه ،ص36.

2ـ أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي، ص242.

3ـ المرجع نفسه ،ص 259.

4 – المرجع نفسه ،ص249- 250.

الشكل الثاني :

وهو يتمثل في الشكل الخارجي الذي يعبر عن الحالة النفسية للمبدع وعن انفعاله الداخلي ،فتصبح الصورة بذلك المعيار الذي يبوح بكفاءة المبدع الفنية من خلال قدرته على إيجاد المواءمة والملاءمة بين الفكرة والقالب الفني الذي تصاغ فيه هذه الفكرة ؛ و بهذا يمكن رصد معطيات الاتساق في النص من دقة الإبداع وتصويره؛ فهي عنده إيجاد الملاءمة بين التناسب بين الفكرة والأسلوب أو اللغة والأحاسيس.

والحقُّ أن الصورة الفنية العربية قد طاولت الأزمان وسايرت البيئات من غير خلل ،وتطورت في موادها التصويرية من غير جمود ،فكانت أداة الأديب في كل زمان ومكان ،معبرة ومؤثرة ،وإن أنماطها الفنية الموروثة وأبعادها المعاصرة تصبح معايير فكرية وفنية بين يدي الناقد ،وهو يتصدى لتحليل العمل الأدبي من جوانبه المضمونية والشكلية والبنيوية جمعاء ،وأنه يمكن تخصيصها في الدراسات الشعرية بمصطلح مرادف هو التصوير الشعري مستندا إلى ما أكَّده الجاحظ من أن الشعر جنس من التصوير؛ فلفظ الجنس الذي يميز التصوير من الرسم والنحت يمكن تحديده بلفظ شعري.

ومن هنا فإن مقومات الشعر التي نوّه بها الجاحظ من إقامة الوزن واختيار الألفاظ، وجودة السبك، وكثرة الماء تحدد ملامح التصوير الشعري على أنه لا ينقل إلى المتلـقي ما تراه العيـنان في التصوير فحسب وإنما يجسـد

له ما يتناهى إليه بواسطة الحواس الخمس, وسائر ملكات الإنسان ,فإذا التصوير الشعري حياة حقيقية[1].

والصورة بهذا المعيار تصلح لدراسة الشعر العربي القديم الذي نشأ في ظلال هذه الملامح النقدية والبلاغية التي شكلت جزءا من ثقافة الشاعر القديم.

ويربط مصطفى ناصف بين الصورة والاستعمال الاستعماري للكلمات مبينا أن لفظ الاستعارة :(إذا حسن إدراكه قد يكون أهدى من لفظ الصورة وأن الصورة إذا جاز الحديث المفرد عنها فلن تستقل بحال ما عن الإدراك الاستعماري منشأ الصورة حين يتسع الشعور باجتماعية الحياة حتى تشمل كافة الموجودات)[2]

ويبدو أن الصورة الشعرية تركيبة غريبة معقدة وأن تحديد طبيعتها محفوف بكثير من الصعوبات وأنها مراوغة تتأبى على التحديد,وليس لها حد جامع؛وذلك لأن اختلاف الطرق الصياغة يجعل من الصورة الشعرية ظاهرة مستأنفة تند عن التنظير المطلق والتعقيد الذهني الحاسم فهي لا تجمد في قوالب أسلوبية مهما كانت هذه القوالب حديثة وإنما تبقى عملية تعبيرية حية مرتبطة بتطور الخلق الأدبي من جهة و با لمنا هج النقدية الحديثة من جهة أخرى وربما يئس النقاد من إمكان وضع كل ما من شأنه أن يصنع من وسائل التعبير اللغوي صورة تحت عنوان واحد.

---

1 - كامل حسن البصير : بناء الصورة في البيان العربي موازنة وتطبيق ،مطبعة المجمع العلمي ،العراق 1987،ص 551-552.

2 – مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، ص3.

وفي حقيقة الأمر أن الصورة تنتج من العلاقة بين الشاعر والواقع أيا كان لون هذه الصورة أو شكلها .يقول رجاء في هذا المعنى:(إن الصورة لا تخلق من عدم ولكنها في الوقت نفسه ليست الخمر القديمة في كأس جديد وكفى ،وإنما طابع الفنان يسِمُ تلك الجزئيات المبعثرة والتي تُكوِّن لبناتِها الأولى ويلبسها من ذاته ما تظنه إبداعا وابتكارا)[1].

فالشاعر بهذا المفهوم يعيد خلقَ الشيء بطريقة تشمل الشيء وجوانب الإثارة الحسية التي تصله به ،فهو يبدأ من الواقع ليتخطاه ويعيد تشكيله وفق مقتضيات رؤيته الشعرية الخاصة، أي أنه يحوله إلى واقع شعري.

ومن هنا فإن الصورة الشعرية غالبا ما تقوم على تحطيم العلاقات المادية والمنطقية بين عناصرها ومكوناتها لتخلق بينها علاقات جديدة, فهي إعادة تنظيم جديد للعالم الخارجي,تعبر عن رونقها المميز وأناقتها الجمالية بمخالفتها للواقع المحسوس رغم صلتها به، وانبثاقِها في الأصل التكويني منه؛ وكلما ابتعدت الصورة الشعرية عن الواقع المحسوس,أصبحت أكثر أناقة وأصالة, فليس مطلوبٌ من الفنان أن يصور كيفية الأشياء وإنما المطلوب منه تشكيلَ الخارج حسبما تُنسِّقه رؤاه الداخلية ويزودنا بصورة حدسية تعيينا على

---

1 – رجاء عيد: لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث ،ط1 ،2000،منشأة المعارف بيروت ،لبنان،ص 123.

رؤية صورة غير منسوخة من الواقع ،وإنما تصبح كأنها ترينا الأشياء لأول مرة ؛ ويكون هذا كشفا لميلاد إبداع جديد تتخلق فيه صورة غير مكررة لإيقاع الكون.

و ينفي عزالدين إسماعيل على الشعراء والنقاد القدامى نزعتهم الحسية في فهم الجمال وتصويره، لأن هذه النزعة الحسية فرضت نفسها على الصورة الشعرية؛ فجاءت حسية حرفية ،تأتي الشيء بالصورة الحسية الموازية له المتطابقة معه جزئيا وكليا ،كما جاء ت شكليةً تهتم بالشكل دون مراعاة الأثر النفسي والشعوري الذي يحدثه ،وهي لذلك جامدة، وإذا كانت جميلة دائما فإنَّه الجمالُ الذي يتمثل للحس, ويرجع إعجاب الناس بها إلى الجمال الذي يروع الحواس ،لأن فهمهم للجمال كان يقف عند هذا المدى[1].

ونختم حديثنا هذا عن الصورة وماهيتها بتعريف متكامل وفعال وهو تعريف عبد القادر القط ؛حيث يعرفها تعريفا وافيا يجمع فيه كل الوسائل التصويرية المتاحة للشاعر بما فيها الوسائل البديعية كالمقابلة والجناس وغيرها فهو يرى أن الصورة في الشعر(هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني [2].

---

1 - عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه، دراسة ونقد ،دراسة ونقد ، دار الفكر العربي القاهرة ط3 ، 1965،ص104- 106.

2– عبد القادر القط : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، مكتبة الشباب القاهرة 1988،، ص 43.

ويبدو من هذا التعريف الشامل أنه يتلاءم مع تراثنا الشعري كما أنه يفسح المجال واسعا لعناصر التشكيل المختلفة للقيام بدورها في الصورة الشعرية؛ لأن ما في الشعر من استعارات وغيرها من صور البيان وضروب البديع ليست زينة تضاف إلى التراكيب بل هي المادة الشعرية ذاتها يفجرها الشاعر من اللغة إذ يتوخى تكثيف ما فيها من وسائل تعبيرية تمجد ما في الطبيعة الكبرى من أشياء ليستخرج ما في باطنها من أسرار.

أنما ط الصورة الفنية في شعر الشيعة:

مما لاشك فيه أن(النقاد قد ذهبوا مذاهب شتَّى في دراسة أنواع الصورة الشعرية و أنما طها)[1].

ولعل ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى ارتباط دراستها بالدلالات المختلفة للمصطلح عند الغربيين ومن أبرزها : الذهنية ،والبلاغية، والرمزية 2. وسنحاول في بحثنا هذا التركيز على الصورة البلاغية خشية الوقوع في الإطالة .

والجدير بالملاحظة أن الصورة البلاغية قد صُنِّفت طبقا لأشكالها ودرجاتها من البساطة والتعقيد ،والوضوح والخفاء، أصنافا مختلفة.

ومن بين هذه الأصناف نذكر ما يلي:

1ــ الصورة التشبيهية.

2ــ الصورة الاستعارية.

3ــ الصورة الكنائية.

1- ناصر علي: بنية القصيدة في شعر محمود درويش,المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت,ط2, 2001م، ص 180.

2- نعيم اليافي: مقدمة لدراسة الصورة، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ، 1982,ص72.

1ــ: الصورة التشبيهية:

التشبيه أسلوب من أساليب البيان وركن من أركان البلاغة العربية؛ قال أبو العباس المبرد(لو قال قائل: هو أكثر كلام العرب لم يبعدْ ،و لهم في تعريفه عبارات؛ فزعمت جماعةٌ بأنه: الدلالة على مشاركةِ أمرٍ لأمرٍ آخر في معنًى، أو أنه الدلالة على اشتراك شيئين في وصفٍ هو من أوصاف الشيء نفسه)[1].

والنظرة المعاصرة للتشبيه هي:(تقييم التماثل طبقا للإدراك الداخلي لحركة الأشياء ،وانفعال الشاعر بها .والصورة التشبيهية تقوم على المقارنة بين شيئين ،لا لتفضيل أحدهما على الآخر؛ وإنما لنقل الحالة الشعورية التي تسيطر على الشاعر)[2].

والصورة التشبيهية في شعر الشيعة عموما واضحة جلية سخَّر الشعراء فيها خيالَهم لأدراك ما خفي من العلاقات بين الأمور ،وعندما وصفوا ما وقعت عليه أعينهم ،لم يصفوه بمعزل عن شعورهم وعواطفهم، بل صهَروا تصورهم بعواطفهم وانفعالهم ,واستطاعوا باستخدام الصورة بطريقة ذكية، أن يعبروا عمَّا يختلج في صدورهم من مشاعر وأحاسيس حزينة ومتألمة. وعلى الرغم من أن صورهم لا تخلو من بصمة التراث, إلا أنها مواكبة لروح العصر ولمتطلبات التطور ،بل نجد ما هو مبتكر ؛وهي وإن كانت كذلك تعتمد على منابع أصولها الطبيعية، والمنظومة المعرفية أو الوعاء الثقافي للشاعر وأصوله الدينية.

---

1 – الهاشمي أحمد : جواهر البلاغة في المعنى والبيان والبديع ، تحق: محمد رضوان مهنا ، مكتبة الإيمان المنصورة ، ط1، 1999،ص 205.

2-إبن معصوم: أنوار الربيع في أنواع البديع ، مطبعة النعمان ، النجف ،ط1 1996 ، جـ5،ص195.

فمن ذلك ما جاء في قول السيد الحميري يصف حادثة وقعت مع علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ؛حيث يقول :[1] من بحر **الكامل**

ولَقدْ سَرى في ما يَســـير بِليلةٍ بعد العِشـــاء بكـرْبلاَ في موكِبِ
تأتيهِ ليس بِحيثُ تلْــقى عامرًا غيرَ الوحوشِ وغيرَ أصْلعَ أشْيبِ
في مُدلجٍ زلِــقٍ أشـــمَّ كأنَّــهُ حُلقُــومُ أبْيـ،ضَ ضيّقٍ مُستصْعبِ
هلْ قــربَ قائِمكَ الّذي بُوّئْتَه ماءٌ يصــابٌ فقــالَ ما مِـنْ مشرَبِ
إلاّ بغايــةِ فرْسخَـين ومَن لــنا بالمَــــاءِ بين نــقًا وقَــيّ سبْسبِ
فَثنَى الأعِنَّة نحْو وعْثٍ فاجْتلى ملْســاءَ تبــرُقُ كاللُّجَينِ المـذهَّبِ
قال اقلِبُوها إنَّكمْ إنْ تقْلــبُوا تُــرْوُوا و لا تُــروُون إنْ لــمْ تُقْلَبِ
فاعْصَوْ صَبُوا في قلْعِها فتمنَّعتْ مِنهُــمْ تمــنُّعَ صعبــةٍ لم تُــركَبِ
حتَّى إذا أعيتْــهُمُ أَهْــوى لها كفًّا مــتَى تُــردِ المغَــالبَ تغلِبِ
فكأنَّــها كــرةٌ بكــفّ جِــزوَّرٍ عبْلِ الذِّراعِ رَحَــابِها في ملْـعَبِ

ما يلاحظ على هذه الأبيات أنها تسير بأسلوب القصة إلا أن المُهمَّ فيها هو الصورة التشبيهية، والصورة الأولى نجدها تتبدى من خلال صخرة ملساء قاسية كأنها

مدهونة بالذّهب لملو ستها وصفائها, وهي تقع وسط رمل ناعم, فاجتلى عليّ بن أبي طالب الرمل عنها, وقال: اقلبوها لتشربوا, فاعصَوصَبَ

1-السيد الحميري: ديوانه ، شرح وضبط :حسين الأعلمي ،ص 90 وما بعدها.

-اعصوصبوا :اجتمعوا وصاروا عصبة. -حزور:الرجل أو الغلام القوي.-رحابها:أدارها.

الجمع لقلبها, فلم يستطيعوا قلبها ،فقلَبها عليٌّ بكفه بمفرده. وأما الثانية فتتبدى من خلال إبراز القوة الخارقة لعليٍّ (كرم الله وجهه) في شيئين اثنين:

الأول: هو المقدرة على قلب الصخرة التي لم يستطع ذلك الجمع الغفير من الناس قلبها.

والثاني: هو علم عليٍّ (رضي الله عليه) ما تحت الصخرة وهو الماء.

ولعل هذه الصورة باستجلائها تعود بنا إلى الماضي ،وما فعله النبيّ موسى (عليه الصلاة والسلام) حين رفع الصخرة عن البئر ليُمكّن بنات شعيب من سقي ما شيتهم. يقول تعالى في شأن تلك القصة:(وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ)[1].

و المقابلة بين القصتين في هذه الأبيات تمنح القصة الثانية نوعا من الهالة القدسية على الإمام عليّ(كرم الله وجهه) ،وهذا هو الذي يقصده الشاعر ، على الرغم من أنه لم يذكر القصة الأولى لكنه يتناصّ معها من حيث المضمون ويزيد على ذلك(العلم) بما يختبئُ تحت الأشياء فهو يحور القصة الأولـــى بما يتفـــق مع تجربتـــه؛ حيث يصـــور الصخرة بالكـــرة أمـــام كفّ عليّ

---

1 – القصص :الآيتان 23- 24.

العظيمة ،على الرغم من ضخامة الصخرة وكبرها ،ومن ثم تمنعها على أولي العصبة ،إلا أنها بيد عليّ أصبحت كالكرة التي لا وزن لها، وكأن العظائم تصغر أمام الإمام علي. والشاعر هنا يقارن في صورة بين شخصيتين: الأولى معاصرة له ،والثانية شخصية دينية تمتلك القدرة على خرق العادة.

ومن الصور التشبيهية أيضا ما جاء في شعر ديك الجنّ ؛حيث يقول من قصيدة يرثي بها أحمدَ بن عليٍّ الهاشمي ومعزّيا أخاه جعفر:[1]

وأنْتَ يَنبُوع أفْانِينِها إذا هُمُ في سَنةٍ أمْحَلُوا

فهو في هذا البيت يظهر الممدوح في صورة تكاد تصل حدَّ القداسة، إذ يجعله ينبوعا يفيض بالعطاء والكرم حين تجف الزر وع والضروع وحين تنتابهم سِنون المِحن.

ونجد تشبيها آخر في قول الحمَّاني العلَوي في مدح عليّ بن أبي طالب (كرم الله وجهه) :[2] من بحر **الطويل**

وآخَاهُمُ مثْلًا لِمِثلٍ فأصْبحتْ أُخُوَّتُهُ كالشَّمسِ ضُمَّتْ إلى البَدْرِ
فآخَى عليًّا دونَكُمْ وأَصَارَهُ لكُمْ علَمًا بيْنَ الهِدايةِ والكُفْرِ
وأنْزَلَهُ مِنهُ عَلَى رَغَمِ العِدَى كَهَارونَ مِن مُوسىَ على قَدَمِ الدَّهْرِ

---

1 – ديك الجن : ديوانه ،ص 151.

2 - الحماني العلوي : ديوانه ،ص73.

توحي لنا هذه الأبيات بصورة الهداية والإبانة ،فما الشمس والبدر إلا لكشف ظلمات الليل ،ولولا الشمس لأصبح الوجود حالكَ الظلمات .وما محمد(صلى الله عليه وسلم)وعليٌّ إلا لكشف ظلمات الجهل والكفر ،ولولاهما لأصبح الوجود يعج في ظلمات الجهل والكفر؛ وكذلك الأمر بالنسبة لموسى وهارون ،إذ أرسلهما الله لفرعون وبني إسرائيل ليرفع بهما ظلمات الجهل والكفر.

ففي هذه الأبيات تتضح فلسفة الشاعر الإيمانية ؛فالأخوة هي تأكيد من رسول الله(صلى الله عليه وسلم) بإمامة عليّ وخلافته...وعلى ذلك فإن الدلالة التي تؤديها الصور الموحية هي السعي لتأكيد أحقية إمامة عليّ (رضي الله عنه).

وهكذا كان الشاعر يولع بالبحث في جميع ما يروي من صور تؤكد فردانية الإمام عليّ وتَميُّزَه عن غيره من الصحابة رضوان الله عليهم جميعا؛ إذ نراه يعيش حالة وعيٍ كاملة ،فهو يبدو وكأنه شاعر مأزوم يتمذهب بمذهب التشيع ،ويلتزم حُججا وبراهينَ واضحةً في الاختيار ،وكل ذلك يخدم تجربته.

وفي قصيدة أخرى(للمفجَّع البصري) تظهر الصورة التشبيهية بوضوح؛ حيث يقول في مدح عليّ (كرم الله وجهه) :[1] من بحر **الخفيف**

كَانَ في عِلْمِهِ كآدَمَ إذْ عُلّـ ـمَ شرْحَ الأسْماء والمُكَنيَّا
وكنُوحٍ نَجَّى مِن الهُلْكِ مَن سيـ ـرَ في الفُلكِ إذْ عَلا الجُوديَّا

في البيتين السابقَين يركز الشاعر على تشبيه الإمام عليّ بالأنبياء فهو كآدم وهو كنوح عليهما السلام.

---

1 – عبد المحسن أحمد الأميني النجفي: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، جـ3،ص423.

ويقول الشاعر ذاته من القصيدة نفسها:[1] من بحر **الخفيف**

أشْبهَ الأنْبــياءَ كهْـلا وزوْلا و فَطيمًا وراضــعًا وغذِيًّـا

والشاعر هنا يؤكد الحس الإيماني بإضفائه هالة القدسية على الإمام علي ،فهو لا يرضى إلا بهذا المعتقد من تأييد ورعاية إلهية، وكأن فيه سرا قدسيا يستحق كل هذه الصور.

ومن الصور التشبيهية الموحية لشعراء الشيعة ما نجده في قول الشلبي:2

من بحر**الطويل**

فَمَنْ كان في طُول الهَوى ذاقَ سُلْوةً فإنّـــي مِن ليـــلَى لهـا غيرُ ذائِقِ

وأكْثرُ شـــيءٍ نِلتُـــهُ من نَوالِهـــا أمانيُّ لم تَصدُقْ كلمْحةِ بارِقِ

يمني الشاعر نفسه بوصال ليلى فهو عاشق هائم كقيس المجنون ولكن ليلى بعيدٌ منالها فهي ما تظهر له إلا كلمحة البرق التي لا تدوم إذ بدوامها فناء ذاته بالكلية وهي حال لا يمكن أن تتم لأن في ذلك تعطيل لصورة الخلق ، وهذا - طبعا – لا يصح في دار الحكمة القائمة على الأسباب والمسببات ،وعلى مبدأ الخالق والمخلوق.

ومن هنا فهو حريص على التعبير عن حال الوصال بومض البرق الذي لا يدوم ،هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن صورة البرق موحية باستحلاب الغيث وما يروي الأرض ،لذا فهو بهذه الصورة يوحي بكلِّ معاني الاستجلاء أن في هذا الوصل خيرً عميماً إذْ لا بدَّ أن يترك أثرًا في المُوصل إليه.

---

1 – المصدر السابق نفسه ،جـ3 ،ص423.

2 – أبو بكر الشلبي :ديوانه ، تحق:كامل مصطفى الشلبي ،ط1، دار المناهل بيروت، 1997، ص5.

2ـ : الصورة الاستعارية:

جاء في كتاب التعريفات أن الاستعارة هي:(ادِّعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البَيِّنِ، كقولك:لقيت أسدا ،وأنت تعني به الرجل الشجاع ثم إذا ذكر المشبه به مع ذكر القرينة يسمى استعارة تصريحية وتحقيقية ،نحو: لقيت أسدا في الحمام، وإذا قلنا المنية: أي الموت ،أنشبت ،أي علقت أظفارها بفلان, فقد شبهنا المنية بالسَّبع في اغتيال النفوس أي إهلاكها ،من غير تفرقة بين نفَّاع وضرار، فأثبتنا لها الأظفار التي لا يكمل ذلك الاغتيال فيه بدونها، تحقيقا للمبالغة في التشبيه ،فتشبيه المنية بالسّبع استعارة بالكناية، واثبات

الأظفار لها استعارة تخيلية. والاستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعية، كنطقتِ الحالُ)[1].

وهذا يعني أن التشبيه يحافظ على وضوح طرفيه وتميزهما ،أما الاستعارة فتقوم على الالتحام والتوحد بين طرفيها ،حتى تمَّحي الحدود وتتوحد الموجودات والماهيات ،وعليه فهي تطورية أكثر ،إنها توحِّد بين الحدّين توحيدا تاما ،بحيث يصبح في مقدور أحدهما أن ينوب عن الآخر[2].

و لاشك في أن الاستعارة صورة فنية تتكون من أطراف حسية مشحونة

---

1 – علي بن محمد الجرجاني : التعريفات ،ص20.

2 – عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في شعر أبي تمام ،ص167.

بمشاعر إنسانية, تتجلى فيها عبقرية الشاعر الإبداعية في الكشف عن العلاقات الخفية بين تلك الأشياء من خلال الرؤية الخاصة التي تفرزها تجاربه الشعرية . وإن الإدراك الحدسي هو مرتكز الصورة الاستعارية وقوتها الفاعلة في البحث عن أوجه الشبه بين الأشياء[1].

ويمكن تقسيم الاستعارة إلى أنواع ،لعلَّ أكثرها شهرة هو الاستعارة المثلية والتجسيدية والتشخيصية, والتجسيمية، وهذا تقسيم عبد القادر الرباعي لها.
أما الاستعارة المثلية فهي مبْنية على أساس حلول حسِّي محلّ حسي آخر، وهي أبسط أنواع الاستعارة، وأول مراحل التطور عن التشـــبيه2.

كما في قول أبي دلامة يحكي عن أبي مسلم الخرساني عندما قتله أبو جعفر المنصور: [3] **من بحر الطويل**

أَبا مُجْرِمٍ خوَّفْتَني القَتْلَ فانتَحَى عليكَ بما خوَّفْتَني الأَسَدُ الوَرْدُ

فقد عبر عن الموت بالأسد.

أو كما في هذه الأبيات التي يعبر فيها أحد شعراء الشيعة مفتخرا بعلي في مقاتلته معاوية ويقارن بين شجاعة الجند في مواجهة الزبير وطلحة وتقاعسهم في مواجهة معاوية؛ فيروى أنه في معركة صفين نزل معاوية على الماء في حين بات عليٌّ وجيشه عِطاشًا، فقال عمرو بن العاص لمعاوية:

1ـ ناصر علي: بنية القصيدة في شعر محمود درويش ،ص192.

-انتحى: أي عرض وقصد. وربما كنَّى بالأسد عن المنصور الخليفة.

2ــ عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام ،ص 16.

3 – أبو دلامة : ديوانه ، شرح وضبط وتحق: إميل يعقوب ،دار الجيل، بيروت ط1- 1994،ص52.

إن عليًّا لا يموت عطشًا ومعه تسعون ألفا من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم، فدعهم يشربون, ولكن معاوية أبى ودار عليٌّ في جنده ليلا فسمع مناديا يقول[1]:

من بحر **المتقارب**

أيَمنعُنا القومُ ماءَ الفُراتِ وفينا الرِّماحُ وفِينا الحَجَفْ
وفيـــنا عليٌّ لهُ صولـــــةٌ إذا خوَّفُوه الرَّدى لمْ يخَـفْ
ونحْنُ غداةَ لقِينا الزُّبيــر وطلحَة خُضْنا غِمارَ التَّلَـفْ
فَمَا بالُنا أمسِ أسْدُ العَرينِ وما بَالُنا اليومَ شَاءُ النّجَفْ

وأما هنا فنجد الشاعر يعبر عن الشجاعة بالأسد ويقابلها بالشاة في جبنها أمام خبث الذئب. والمعنى : كنا بالأمس شجعانا وصرنا اليوم ضعافا.

وكقول عليّ بن يحيى المنجّم في رثاء المأمون:[2] من بحر**البسيط**

منْ ذا علَى الدَّهر يُعدِيني فقدْ كثُرتْ عِنـــدي جنايتُه يا معشـرَ النّاسِ
أخْنى على المَلِك المأْمــونِ كَلْكَــلَهُ فصـــارَ رهْنًـــا لأحــجارٍ وأرْ ماسِ
قدْ كادَ ينْهدُّ ركنُ الدِّينِ حِـــين ثَوَى ويترُك النَّاسَ كالفَوضَى بِلا راسِ

إنه يعبر عن الموت والحتوف بالكلكل ،والكلكل هو الصّدر من كل شيء،

1- المسعودي :مروج الذهب ،جـ2,ص450.

2- علي بن يحيى المنجم: شعره ,تحق: يونس أحمد السامرائي,مجلة الموردالعراقية , مج 36, عدد1ـ 1985,ص253 .

-الحجف: وهي الترس من جلود الإبل.-غمار التلف: أي الهلاك ،الموت.

-النجف: مكان لا يعلوه الماء. شاء النجف: أي شاءٌ لا تصل إلى الماء.

وقيل هو ما بين التَّرقُوتَيْن ،وهو من الفرس: ما بين محزمه إلى ما مسّ الأرض منه إذا ربض[1].

وأما التجسيدية: فهي تقديم المعنى في جسد شيئين أو نقل المعنى من نطاق المفاهيم إلى المادية الحسية[2]،كقول ديك الجن[3]:

من بحر **البسيط**

أَبكِيكُم يا بَني التَّقْوَى وأُعْوِ لُكمْ وأشْرب الصَّبر وَهْوَ الصَّابُ والصَّبْرُ

وكقول أبي بكر الصولي في المكتفى:4 من بحر **الطويل**

لكُمْ جَبَلاَ اللهِ اللَّذانِ اصْطفاهُمَا يَقُومانِ بالإسْلامِ حينَ يَميلُ

ما نلاحظه في أقوال هؤلاء الشعراء أنهم نقلوا كلا من الصبر والنبوة والخلافة من كونها معاني ومفاهيم غائبة في الذهن، إلى أشياء واضحة يمكن تحسّسها ؛وقد استطاع الشاعر أن يجسد الصبر عما أصاب آل البيت من القتل والتشريد والجور والظلم, وذلك وسط اشتداد الضغوطات الوجدانية ،والشـــعور بالمأســـاة والألم ،هذا في قول ديك الـجن، وأماّ أبو بكر الصولي

1– ابن منظور : لسان العرب ،جـ12،ص146. باب(كلك)

2- عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ص168.

3- ديك الجن الحمصي: ديوانه ،جمع وتحق :مظهر الحجي ،ص96.

4 - أبو بكر الصولي : ديوانه ،تحق:أحمد جمال العمري ،ص504.

فقد استطاع بكل استحقاق وجدارة أن يجسد النبوة والخلافة بالجبلين الراسخين الثابتين اللذين لا تهزمهما الأحداث والمحن مهما كبرت واتسعت وتعمقت.

وأما التشخيصية: فهي إحياء المواد الحسية الجامدة وإكسابها إنسانية الإنسان وأفعاله[1]، وفي التشخيص ترتفع الأشياء إلى مرتبة الإنسان مستعيرة صفاته ومشاعره[2].

والصورة التشخيصية تنزع إلى التخلص من حال الجمود إلى الحيوية والنشاط ،ولذا فقد أخذت الإنسان هدفا لها في أفعاله وأعماله ومظاهر حيويته ونشاطه[3] ،كقول السيد الحميري:[4]

من بحر **السريع**

لوْ خَيّـــــرَ المِنبرُ فُرسانَــه ما اخْتارَ إلاَّ مِنكُمُ فَارِسَا
والمُلْكُ لو شُوورَ في سَائِسٍ لَمَا ارتَضَى غيرَكُمُ سائِسَا

استطاع الشاعر في هذين البيتين أن يكسب المنبر والملك إنسانية الإنسان وأفعاله ,إذ جعل المنبر يختار والملك يشاور ويرتضي. وجمعها طبائع إنسانية ،وهذا شبيه بقول دعبل الخزاعي:[5]

من بحر **الطويل**

قِفا نسألِ الدّارَ الَّتي خَفَّ أهلُها متىَ عَهْدُها بالصَّومِ والصَّلواتِ

1– عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في شعر أبي تمام ،ص169.

2- جبور عبد النور :المعجم الأدبي ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،ط2- 1984، ص59.

3- عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في شعر أبي تمام ،ص169.

4– السيد الحميري : ديوانه تحق :شاكر هادي شكر ،ص258-259.

5 – دعبل الخزاعي : ديوانه ،شرح : مجيد طراد ،ص40.

فالدار صارت في بيت دعبل بمثابة من يعقل ،فهي تُسأل كما يسأل الإنسان ، وكأن بداخلها شعورا وإحساسا وعقلا مثلما الإنسان ، وكذلك قول ديك الجن[1]:

من بحر **البسيط**

قتْلى يحِنُّ إليها البيتُ والحَجَرُ شَوقًا وتَبكِيهُمُ الآياتُ والسُّورُ

فالبيت والحجر والآيات والسور جميعها، لها شعور وإحساس؛ فهي تبكي وتشتاق وتحنّ ،حيث انتقل بها الشاعر من حالة الجمود إلى حالة الحيوية والحركة [2].

وهو يقول في موضع آخر:[3]

من بحر السريع

وحنَّتِ المزْنُ عَلَى قبْرِهِ بِعارضٍ نَجْوتُهُ مَـحْفَلُ

يَصِلُّ والأرضُ تُصلِّي لَهُ مِن صَلَواتٍ معَه تَسْألُ

فالمزن تحن كما الإنسان يحن والأرض تصلي كما الإنسان يصلي. لقد منحها الشاعر حياة ونشاطا ومشاعر وإحساسا وأفكارا ،فأصبحت كالإنسان تتحرك وتنفعل ،وتقوم بما يقوم به الإنسان. ويشبه هذ الصورة الاستعارية ما يقوله محمد بن صالح العلوي :[4]

من بحر **الكامل**

ولَقَدْ تَهيجُ له الدِّيارُ صَبابَةً حِينًا ويَكلَفُ بالخَلِيطِ السَّائِرُ

1ـ ديك الجن: ديوانه, تحق: مظهر الحجي,ص96. ـيصلُّ: يرعد ويصوت.

-النجوة:المرتفع من الأرض. -المحفل:مكان تجمع الماء، محفل من الماء :مجتمعه.

2ـ عبد القادر الرباعي:الصورة الفنية في شعر أبي تمام,ص170.

3ـ ديك الجن:ديوانه,تحق:مظهر الحجي,ص150.

4 – أبو الفرج الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ، تحق : السيد أحمد صقر، ص610.

ومثلها كذالك كما في قول الحماني :[1] من بحر **المتقارب**

وإنْ يكُ دهْري لَوى رأسَه فقَدْ لَقيَ الدَّهرُ منّى التِواءْ

ويهتزُّ المَقــامُ لنَا ارتيــاحًا ويلْــقانَا صَفاهُ بالـــــصَّفاءْ

لقد تمثلت الديار والدهر والمقام في الصور الثلاث طبيعة الإنسان ، فأصبحت تشعر وتمتلك إحساسا كما الإنسان ،وأصبح بداخلها شعور مماثل لقدرة الإنسان على الفعل ،فهي تهيج صبابة والدهر يلوي رأسه والمقام يهتز ارتياحا ،والصفاء يلقاهم بالصفاء والوفاء والمحبة والإخلاص.

وهنالك أخيرا الصورة التجسيمية ،وهي إيصال المعنى المجرد مرتبة الإنسان في قدرته واقتداره[2] ،كما في قول أبي تمام:[3]

من بحر **البسيط**

نادَمْتُ ذكركَ والظَّلماءُ عاكِفةٌ فكَانَ يا سيِّدي أحْلَى منَ السَّمَرِ

فمنادمة الذكر لا تقل لذتها عن لذة السمر ؛فحلو الذكر في هجوع الليل أحلى من السمر في الليالي المقمرة؛ والتجسيم أن جعل الشاعر نفسه في علاقة مع الحبيب بالانغماس في ذكره.

1ــالحماني العلوي:ديوانه تحق:محمد حسين الأعرجي ،ص34.

2ـ عبد القادر الرباعي:الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ص170 .

3ـ أبو تمام :ديوانه شرح:الخطيب التبريزي، تحق:محمد عبده العزام،، دار الكتاب العربي ،بيروت، جـ4 ،ص199.

3ـ : الصورة الكنائية:

نقرأ في كتاب التعريفات أن (الكناية كلام استتر المراد منه بالاستعمال وإن كان معناه ظاهرا في اللغة ،سواء كان المراد به الحقيقة أو المجاز، فيكون تردد فيما أريد به من النية أو ما يقوم مقامها من دلالة الحال.. ،والكناية عند علماء البيان :أنْ يُعَبَّر عن شيء ،لفظا كان أو معنى، بلفظ غير صريح في الدلالة عليه، لغرض من الأغراض كالإبهام على السامع أو لنوع فصاحة)[1].

والصورة الكنائية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها ،وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح ،لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم ،فهو الدعوى ببينة ،فكأنك تقول في زيد كثير الرماد :زيد كريم ،لأنه كثير الرماد وكثرته تستلزم كذا... إلخ[2].

ولاشك في أنَّ للصورةِ الكنائيةِ قيمةً بلاغيةً عاليةً ،ذلك لأنها تجعل المتلقي يقلّب البحث ليكشف عن المعنى المقصود أو الحقيقي الذي يتوارى خلف المعنى المجازي ،وهي من جهة أخرى، ترفع من قيمة المعنى البعيد الذي تشير إليه في نظر المتلقي ،وتعمل على تأكيده في نفسه[3] .

والكناية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1-كناية عن صفة 2- كناية عن موصوف 3-وكناية عن نسبة.

1ــ علي بن محمد الجرجاني : التعريفات ،ص18.

2–الهاشمي أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ،تحق: محمد رضوان مهنا ،ص162.

3- يوسف أبوالعدوس : المجاز والمرسل والكناية و الأبعاد المعرفية الجمالية ، الناشر ، الاهلية 1998،ص141.

1-كناية عن صفة: وهي الكناية التي يطلب بها صفة ،وهي ما كان المُكنَّى عنه فيها صفة لازمة لموصوف مذكور في الكلام ،من مثل قول دعبل الخزاعي:[1]

من بحر **الطويل**

إذا أوْردُوا خَيلاً تسعَّر بالقَنَا مساعِيرُ جَمْرِ المَوْتِ والـغَمَرَاتِ

نجد الشاعر في هذا البيت يعبر عن شجاعة آل البيت وصورة إقدامهم وبسالتهم في الهيجاء ،وهم في ساحتها، بالنار الملتهبة فهي بهم تلتهب التهابا وتهيج هيجانا ،ولكنه عدل عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها، والكناية عنها (بتعسر بالقنا) ؛حيث أتى بتركيب يلزم منه اتصافهم بها وهو الكناية التي حوت الجمال البلاغي حين أعطت هذه الصفة مصحوبة بدليل، وأبرزت الجانب المعنوي في صورة مجسمة تزيده قوة ووضوحا، فيوضح ويؤكد هذه الشجاعة شجاعة أل البيت ورغبتهم في الاستشهاد في سبيل قضيتهم بقوله: [2]

من بحر **الطويل**

لـهُمْ كلَّ حِينٍ نَومةٌ بِمَضَاجِعٍ لـهُمْ فِي نَواحِي الأَرضِ مُختلِفاتِ

فقد كنّى عن استشهادهم بالنَّوم وهي صورة رثائية توحي بكل معاني العظمة والجلال التي يتصف بها شهداء عترة النبي صلى الله عليه وسلم، فقبورهم وأجداثهم منتشرة في مختلف ربوع الأرض التي وطئتها أقدامهم الطاهرة . وأيضا فإننا نرى في الشطر الثاني من البيت أن الكناية تعبر عما لحق بآل البيت من أذى وتقتيل وتشريد .

1– دعبل الخزاعي : ديوانه ، شرح : مجيد طراد ،دار الجيل، بيروت ،ط1- 1998 ، ص88.

2–المصدر نفسه ص82.تسعرت النار :اشتعلت.وسعرت الحرب هاجت.القنا: الرماح.

والشاعر دعبل الخزاعي لا يكف عن الكشف والاستبانة عن صور الكناية وأشكالها المتنوعة ؛حيث نراه في هذا البيت يجعل الكناية صفة لليد[1]،يقول:

من بحر **الطويل**

إذا وتِروا مدُّوا إلَى واتِرِيهِمُ أَكُفًّا عنِ الأَوتارِ مُنقبِضاتِ

فقوله (أكفا عن الأوتار) كناية واضحة عن الكرامة والأنفة والرفعة عن المكارم والظلم والجور ، وأنهم لا يقابلون الإساءة أبدا مهما كان الحال.

2- وقد نجد الكناية صورة عن موصوف ،كما في قول أبو نخيلة:[2]

من مخلع البسيط

الآن مسَّ المِنبرُ القرارَا وطَابَتِ الدُّنْيا و صارتْ قرارَا

فالمنبر هنا كناية عن الإمامة والرئاسة ، وهذا يعني أن الخلافة والإمامة عادت إلى أهلها وأصحابها ، وقد استعمل الشاعر كلمة المنبر بدل كلمة الإمامة والخلافة وكان محقا في ذلك ، فكلمة المنبر أصلح وأقوى تأثيرا في النفس ، والصورة ومن جهة أخرى اتخذت معنى دينيا لما للمنبر من علاقة بالإمام.

3-وأما صورة الكناية التي تكون عن نسبة ؛حيث يذكر فيها الموصوف ويذكر معه شيء ملازم له ،وتذكر الصفة ، ثم تنسب هذه الصفة إلى الشيء الملازم للموصوف.3 فمن ذلك ما جاء في قول أبي مروان بن أبي حفصة [4]

من بحر **الطويل**

1–المرجع السابق نفسه، ص86. –وترتُ الرجل:إذا قتلت له قتيلا. -الموتور: الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه. - الأوتار:جمع وتر وهي الجناية. -القرار:قرّ بالمكان:استقر وثبت.

2– يوسف أبو العدوس : المجاز المرسل والكناية ،ص176.

3 – المرجع نفسه، ص178 .

4 – مروان بن أبي حفصة : ديوانه ،جمع وتحق: حسين عطوان ،دار المعارف بمصر ،ط3، ص53.

على ثِقةٍ ألقتْ إليكَ أمورَها قُريشٌ كَما ألقَى عَصاهُ المُسافِرُ

فالعصا شيء ملازم للمسافر وهو خاص به ، وعندما وصفها بالإلقاء فإنه يعني ذلك أن المسافر قد حلّ وأخذ الراحة والاسترخاء أو الإقامة ، ولذا جاءت الصورة الكنائية بما يتوافق مع ذلك ،إذ ألقت قريش الأمر لبني العباس ،لأنها مطمئنة على ما أقدمت عليه.

والبيت السابق لأبي نخيلة يطابق ما نقصد إليه ؛حيث مر معنا قوله: [1]

من بحر **الوافر**

الآنَ مسَّ المِنبرَ القَرارا وطابتِ الدنيا وصارتْ قرارَا

ما نلاحظه في نهاية المطاف أن الصورة الفنية في مجملها قد مثلت حمولة فكرية عالية في شعر الشيعة ،بنيت على أساسها في كثير من الأحيان، إشكالية خاصة بالفهم و الإيديولوجيا .

فكل ما تقدمت به الدراسة – سابقا – يوضح بجلاء أن فكر الشيعة وعقيدتها لعب دورا بارزا في تشكيل الخطاب الشعري الذي وجد فيه الشعراء منبعا ثراً يستقون منه مادتهم الشعرية ويستندون عليه في حجاج خصوم آل البيت الذين لايرون فيهم إلا ظلمة مغتصبين لحقّ عترة الرسول صلى الله عليه وآله.

---

1 – يوسف أبو العدوس :المجاز المرسل والكناية ،ص 176.

الخاتمة:

تحاول هذه الخاتمة أن ترصد بعض الملاحظات والنتائج التي تمخض عنها البحث ،وأن تكون تلخيصا مركزا لأهمّ محطاته ومرتكزاته المتمثلة، بوجه خاص، في مقاربة البعد المأساوي في الشعر الشيعي، وهو منطلق البحث ومداره وغايته. أقول:

√ لقد أدى الشعر العربي دوره على مرّ العصور ،فصور ما كانت تمور به الحياة الاجتماعية، في مختلف أبعادها ، سواء في العصر الجاهلي المتسم بالنزعة الفردانية وتمجيد القبيلة ،أو في العصر الإسلامي ،حيث لعب هذا الشعر دور المدافع عن الحق ونشر الفضائل بين الناس ،ومقارعة أهل الشرك من المناوئين والجاحدين، والرافضين لتقبل رسالة الإسلام ،وما يدعو إليه القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين.

√ ويلاحظ أنه عندما انتشر الإسلام ،وارتفعت رايته في أنحاء الجزيرة العربية ،بقي الشعر دائما يؤدي دوره في مواكبة التطورات التي تشهدها هذه الربوع حديثة العهد بالإسلام، ويصور ما بدأ يطرأ على حياة الناس من ميول ورغبات ،كثيرا ما يناقض بعضها بعضا. ولم يدم الأمر طويلا حتى تفجرت الصراعات من جديد بين المسلمين أنفسهم، وبين المسلمين والأمم المجاورة؛ ووجد الشعراء أنفسهم منخرطين في هذه الصراعات، ولم يستطيعوا أن يكونوا بمنأى عنها. فانحاز كل شاعر لعشيرته أو قبيلته أو حزبه أو مذهبه؛ ولم يقف موقف المتفرج المحايد . فكان الشعر خير شاهد على تلك الصراعات والأحداث التي تطورت بشكل سريع ، فكانت النصوص الشعرية في الكثير منها تحاول الإسهام في ترسيخ مذهب سياسي أو تأكيد اتجاه عقدي معين .

√ ولقد كان لهذه الأحداث أثر بالغ في توجيه الخطاب الديني ،وتوظيفه بشكل عميق في النص الشعري عند شعراء الشيعة بخاصة ،ذلك أنهم تبنُّوا موقفا معارضا منذ البداية ،ففَصَلُوا بين الهدف السياسي والمنزع الديني، أي بين الدنيا والدين، منطلقين من اعتقادهم بأحقية أهل البيت في الحكم ،على اعتبار أن الإمام مقدس ومعصوم ،وأمره نافذ في رعيته مطاع، وقد أوصى النبيُّ صلى الله عليه وسلم بإمامة عليّ رضي الله عنه. وبهذا فهم يرون أن الخلافة لا ينبغي أن تخرج من ذرية آل البيت؛ الأمر الذي لم يوافقهم عليه غيرهم من خصومهم ،بني أمية بالتحديد .ومن ثم أصبح هناك تباين واضح بين شعر السياسة الذي انحاز إلى السلطة الحاكمة، وبين المعارضين لها من العلويين وغيرهم الذين كانوا يعتقدون بأحقيتهم الخلافة ، باعتبارها في نظرهم منصبا دينيا.

√ وقد حدا بكل هذه الفرق والأحزاب المتنازعة إلى البحث عن مسوغات وحجج وبراهين تدعم أفكارهم ،فكان لكلٍّ منها مسوغات وحجج وبراهين ،وكان لكل منها مرجعياته الدينية التي ركزت عليها تلك الحجج والبراهين ،حتى عن طريق توجيه المقول لإرادة القول ،أو توظيف الخطاب المقدس (القرآن والسنة) ،وتوجيهه إلى غير طريقه السليم ؛وكان المهم

عند كل فريق أو مذهب هو تسويغ الادّعاء وترويجه، والعمل على حفظه، فضلا عن صَبغِه بصبغة القداسة ،كي يتسنى له البقاء والنفاذ والحفظ والسلطان.

√ ولم يكن الشعراء أنفسهم بمنأى عن تلك الصراعات، وتلك الأحداث ،بل كانوا في ساحاتها ،عاشوا معها وعايشوها ،تأثروا بها وأثروا فيها ، فظهر منجزهم الشعري في المجال الذي يؤمن به كل شاعر، سواء أكان إيمانه إيمانا عقائديا منبثقا من ذاته أم كان إيمانه إيمانَ خوفٍ من السلطة ،أو حتى رغبة في التقرب من بلاطها ،والنيل من عطاياها .

√ولهذا كله ،وجدت نفسي في مواجهة كثير من النصوص الشعرية التي لم تظهر في المجال الحيوي للأدب ،فتعبر عن خصوصيته ، ولكنها في أغلبها، **ظهرت** في المجال الذي يتوافق مع أفكار السلطة ،وتوجهاتها، سواء كانت السلطة الحاكمة ، أو الأحزاب والتيارات المعارضة؛ بمعنى أن الشعراء انتصروا للمضمون الشعري أكثر من احتفالهم بالجانب الشكلي الجمالي ،إلا فيما ندر.

√ لقد بين البحث ،وهو يتعقب الحس المأساوي ، في شعر الشيعة عبر ثلاثة قرون، أيْ مذ كان حزب الشيعة ،على يد مؤسسيه، فكرةً، إلى أن استحالت هذه الفكرة إلى دعوة ،أخذت تتجسد في الواقع المعيش ،وتتغلغل في قلوب العرب والمسلمين من أشياع آل البيت النبوي صلوات الله عليهم، بَيَّنَ أنَّ هذا الحس كان منبعُه تعلُّق الشعراءِ بنبِي الأمّة ومحبتهم له، تلك المحبة التي أضفاها الناس على عترته من بعده باعتبار أن صورته (عليه الصلاة والسلام)تتجلى في أحفاده؛ وعليه فإن محبتهم من شرف محبته ،وطاعتهم من واجب طاعته،والانتصار لهم انتصار له ولسنته.

√ وأن حرارةَ العاطفة التي كان يتمتع بها شعراء الشيعة وصِدقَها قد أضفت مسحة من الكآبة والحزن على شعرهم، شكلت أهمّ مقوم من مقوماته الجمالياته ،فقد سرت هذه العاطفة ،رافعة شعر المظلومية، في معظم نصوصه ، فتراءت لنا ملامح الحزن والمأساة ،مما وَسَم شعرَ هذه المرحلة بسماتٍ خاصة، فيها شعور بمرارة الظلم والألم،والعجز عن استرجاع الحق المغتصب رغم التضحيات الجسام التي قدموها فداء لهذا الحق، ابتداء من مأساة كربلاء ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما في مشهد مأساوي ما زال يثير حفيظة الشيعة ،ويحرك مشاعرهم الانتقامية ،ويدفعهم إلى الثأر من ظالميهم إلى يوم الناس هذا.

√ وأخيرا فإن هذا البحث ،وبصرف النظر عن قيمة النتائج التي توصل إليها، يعد حسب قناعتنا ،إضافة جديدة إلى المكتبة الجامعية الجزائرية، ولا شك في أنه سيسهم في إثارة اهتمام الباحثين ،ويفتح أمامهم آفاقا جديدة، من أجل إزالة الغموض الذي حجب عنهم ،ولمدة طويلة ، مجالا خصبا من مجالات دراسة تاريخ الشيعة بعامة ،ودراسة إبداع شعرائهم على وجه الخصوص، حيث لقي إهمالا غير مبرر، في مناهجنا الدراسية ،مما تسبب في حجب كثير من الحقائق عنا في مجالات تاريخية ودينية ،وفنية عديدة، ويبقى الشعر الشيعي في مختلف مستوياته ميدانا غنيا للبحث والدراسة ،ولاسيما المستوى المتعلق بوسائل التشكيل

الفني ،وفي مقدمته الصورة الشيعية والإيقاع، ومستوى المعجم اللغوي ، المشبع بالألفاظ الدينية المقتبسة سواء من القرآن الكريم والحديث الشريف، أو من الوقائع التاريخية ذات المرجعيات العقدية.

مقدمة

مدخل :الفتنة الكبرى

الفصل الأول :ظهور الأحزاب السياسية في العصر الأموي

الفصل الثاني : شعر الأحزاب السياسية الكبرى

الفصل الثالث:الحس المأساوي في شعر الشيعة

الفصل الرابع: الخصائص الفنية للقصيدة الشيعية

خاتمة

المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.
1- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر ،مكتبة الأنجلو المصرية، ط7 – 1997.
2- إبن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ،تحق: محمد إبراهيم البنا ،دار إبن حزم ،الرياض.
3- إبن الأثير : الكامل في التاريخ ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان 1965.
4- إحسان عباس : شعر الخوارج ،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان .ط2 – 1974.
5- أحمد أمين: ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية ،ط10 -1999.
6- أحمد أمين: فجر الإسلام،دارالكتاب العربي،بيروت، لبنان، ط10، 1969.
7- أحمد جمال العمري :أبوبكر الصولي حياته وأدبه وديوانه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.
8- أحمد فؤاد الشايب: أصول النقد الأدبي ،مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1973.
9- أحمد مطلوب: عبد القاهر الجرجاني: بلاغته ونقده ،وكالة المطبوعات ، بيروت، 1973.
10- الأخطل : ديوانه ،دار الفكر للطباعة والتوزيع، دمشق، 1984.
11- أبو الأسود الدؤلي: ديوانه، صنعة أبي سعيد السكري ، تحق: محمد حسن آل ياسين، دار مكتبة الهلال ،ط2- 1998.
12- الإمام الشافعي :ديوانه، دار الكتاب العربي، 2003.
13- الإمام مسلم :صحيح مسلم ،بعناية محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الفكر، بيروت، 1978.
14- الأمين السيد محسن :أعيان الشيعة ،دار التعارف للمطبوعات .
15- أيمن بن خريم: ديوانه، تحق: الطيب العشاش مؤسسة المواهب، بيروت، ط1- 1999.
16- البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ،تحق: عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي ،ط4- 1997.
17- البغدادي : الفرق بين الفرق،المكتبة العصرية ،بيروت، 1995.
18- أبو بكر الشِّبلي : ديوانه، تحق: كامل مصطفى الشّلَبي ،ط1،دار المناهل بيروت، 1997.

19- البهبيتي نجيب: تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، مؤسسة الخانجي، 1961.

20- بهجت عبد الغافور: دراسات نقدية في الشعر العربي ، بغداد، 1992.

21- تاج الدين شلق: شرح ديوان جرير ، الناشر ،دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان .

22- التبريزي :حماسة أبي تمام ،تحق: محي الدين عبد الحميد ،مطبعة بولاق، الإسكندرية ،مصر .

23- أبو تمام : ديوانه ،شرح : الخطيب التبريزي، تحق: محمد عبده العزام، دار الكتاب العربي، بيروت .

24- ثابت قطنة :شعره ، جمع وتحق: ماجد السامرائي ،وزارة الثقافة،بغداد العراق ،1968.

25- جابر عصفور :الصور ة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي ، بيروت ،ط3- 1992.

26- الجاحظ :البيان والتبيين ،تحق:عبد السلام هارون ،دار الجيل، بيروت ط3- 1988.

27-الجاحظ:الحيوان،تحق:عبدالسلام هارون،دارالجيل،بيروت،ط1- 1986.

28- جبور عبد النور: المعجم الأدبي ،دار العلم للملايين، بيروت ،لبنان، ط2- 1984.

29- الجرجاني ،علي بن محمد: التعريفات ،تحق: جماعة من العلماء،دار الكتب العلمية ،بيروت، ط1 – 1983.

30- الجراري عباس: فنية التعبير في شعر ابن زيدون ،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ،المغرب، 1977.

31- جرير بن عطية الخطفي : ديوانه، تحق: نعمان محمد أمين طه،(د.ط) دار المعارف بمصر ،القاهرة ، 1971.

32- جولد تسيهر:العقيدة والشريعة في الإسلام،دارالكتبالحديثة، مصر،2008.

33 –الحاوي،إيليا:الأخطل في سيرته ونفسيته،دارالثقافة،بيروت،ط2– 1981.

34-ابن أبي حديد: شرح نهج البلاغة ،تحق: محمد إبراهيم ،دار الكتاب العربي ،ط1- 2007 .

35- حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية ،ط 15- 2005.

36- أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ،صيدا ،بيروت، 1990.

37- حسَّا ن بن ثابت: ديوانه ،تحق: عبد الله مهنا ،دار الكتب العلمية ، بيروت ط2 – 1994.

38- الحطيئة : ديوانه برواية ابن السكيت ، تحق: مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ط1- 1993 .

39- الحماني العلوي: ديوانه، تحق: محمد حسين الأعرجي ،دار صادر، بيروت، لبنان.

40- حميد بن ثور الهلالي ،ديوانه، جمع وتحق: محمد شفيق البيطار، نشر هيئة أبو ظبي للثقافة، ط1- 2010.

41- ابن خلدون: المقدمة ،دار القلم ،بيروت ،ط5 - 1984.

42- دعبل الخزاعي: ديوانه ، شرح :مجيد طراد ،دار الجيل ، بيروت ،ط1- 1998 .

43- أبو دلامة :ديوانه، شرح وضبط وتحق: إميل يعقوب ،دار الجيل،بيروت ، ط1 – 1994.

44 - ديك الجن : ديوانه ، جمع وتحق: مظهر الحجي ،وزارة الثقافة،دمشق، 1987 .

45- الدينوري : الأخبار الطوال ،تحق: عبد المنعم عامر ،دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ،ط1- 1960.

46- رجاء عيد :لغة الشعر ،قراءة في الشعر العربي الحديث ، منشأة المعارف، بيروت ،لبنان ،ط1- 2000.

47- ابن رشيق المسيلي القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده ،تحق: محمد محي الدين عبد الحميد ، ،دار الجيل ،بيروت،(دت).

48-الرازي:تفسيره،تحق:خليل محي الدين الميس،دار الفكر،بيروت، 1995.

49- الراعي النميري: ديوانه، شرح :واضح الصمد ،دار الجيل ، بيروت،ط1- 1995.

50- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن ، تحق: سيد محمد كيلاني ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان.
51-ابن سعد :كتاب الطبقات الكبرى ،تحق: محمد عبد القادر عطا ،دار الكتب العلمية ،بيروت، 1990 .
52- سعد رستم : الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات ، تحق: إسماعيل الكردي ، الأوائل للنشر والخدمات الطباعية ،ط8-2010.
53- سليمان مختار إسماعيل: الخطاب الديني في قصيدة المديح الأموي، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك ،إربد،الأردن،2004.
54- سهير القلماوي :أدب الخوارج في العصر الأموي ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة،1945.
55- السيد الحميري : ديوانه ، تحق: شاكر هادي شكر ،دار مكتبة الحياة بيروت،1970 .
56- السيد الحميري :ديوانه ،شرح وضبط :ضياء حسين الأعلمى ،منشورات مؤسسة الأعلمي ،بيروت ،1999.
57- سيد قطب : النقد الأدبي أصوله ومناهجه،دار الشروق ،بيروت ،لبنان .
58- السيوطي :تاريخ الخلفاء ،مطبعة السعادة ،القاهرة، 1371هـ.
59- الشريف علي بن محمد الجرجاني: كتاب التعريفات ،تحق: محمد صديق المنشاوي ،دار الفضيلة ،مصر .
60- الشريف المرتضى : القصيدة المذهبية للسيد الحميري ،تحق: محمد الخطيب ،دار الكتاب الجديد ،1970.
61- الشهرستاني: الملل والنحل ،تحق: محمد عبد القادر الناضلي،المكتبة العصرية ،بيروت ،ط2- 1994.
62 -شوقي ضيف: العصر العباسي الثاني ،دارالمعارف بمصر ،ط10 – 1996.
63 -شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي-العصر الإسلامي ،دار المعارف بمصر- 2003.
64- شوقي ضيف : الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ،دار المعارف، مصر- 1990.

65- الصولي : أخبار الشعراء من كتاب الأوراق ،تحق: المستشرق ،ج هيوارت دار الشعر والشعراء، مصر، 1982 .

66- ابن طاووس: اللهوف على قتلى الطفوف ،ترجمة :محمد طاهر الدقولي، مؤسسة الأنصاري ،ط1- 1378هـ .

67- الطبري : تاريخه ،تحق: أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر .

68- الطرماح بن حكيم:ديوانه،تحق: عزة حسن ، دار الشروق العربي، ط2 – 2007.

69- طه حسين :حديث الأربعاء ، ط14، دار المعارف بمصر.

70- عادل سليمان جمال: شعر الأحوص ،مكتبة الخانجي ، ط3- 1993.

71- عبد الحسين الأميني النجفي :الغذير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتب الإسلامية ،طهران.

72- عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري ،مكتبة نهضة مصر،القاهرة،1959.

73- ابن عبد ربه: العقد الفريد ،تحق: عبد المجيد الترحيني ،دارالكتب العلمية بيروت 1983.

74- عبد العزيز سالم :تاريخ الدولة العربية ،دار النهضة العربية ،بيروت،1971.

75- عبد القادر الرباعي : في تشكيل الخطاب النقدي ، الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان ،ط1- 1988.

76- عبد القادر الرباعي :الصورة الفنية في شعر أبي تمام ،أطروحة دكتوراه،العراق،1976 .

77-عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، مكتبة الشباب ،القاهرة- 1988.

78- عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي: الفرق بين الفرق، تحق: محمد بدر ،مطبعة المعارف بمصر- 1910.

79- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ،تحق: محمود محمد شاكر ،طبعة الرشيد، مكتبة القاهرة،ط1 .

80- عبد الكريم الأشتر : دعبل الخزاعي شاعر آل البيت ،دار الفكر ، دمشق،ط3- 1984.

81- عبد الله التطاوي : القصيدة العباسية ،قضايا واتجاهات ،مكتبة غريب، ط3- 1988.

82- عبدالله نعمة : الأدب في ظل التشيع ،دار التوجيه الإسلامي ،بيروت، ط2- 1980.

83- عبيد الله بن قيس الرقيات : ديوانه ، تحق: محمد فؤاد نجم ،دار صادر، بيروت ،لبنان 1990.

84- ابن عساكر : التاريخ الكبير ، تحق: :عبد القادر أفندي بدران ،طبع روضة الشام ،دمشق، 1329هـ.

85- العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحق: محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون ،دار الريان للتراث، ط1- 1986 .

86- عفيف عبد الرحمن : معجم الشعراء العباسيين ،دار صادر ،بيروت ،ط1، 2000.

87- العلوي الحماني فخر الدين :ديوانه ،تحق: محمد حسين الأعرجي ،دار صادر ،1998.

88- علي بن يحيى المنجم : شعره ،تحق: يونس أحمد السامرائي ،مجلة المورد، مج،36عدد 1- 1985.

89- عمر بن أبي ربيعة : ديوانه ،تحقيق وشرح: إبراهيم الأعرابي ،مكتبة صادر بيروت.

90- أبو عمر يوسف بن عبد البر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب ،تحق: البجاوي محمد علي ، دار الجيل، ط1 – 1992.

91-عدي بن الرقاع العالمي ، تحق: حسن محمد نور الدين ، دار الكتب العلمية ،ط1 – 1990.

92- عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه ، دراسة ونقد ،دار الفكر العربي القاهرة ،ط3- 1965.

93- غالب عواجي : الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها ،رسالة ماجستير مخطوطة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية .

94- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ،تحق: عبد الستار أحمد فراج ،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،ط5 -1981.

88- أبو الفرج الأصفهاني :مقاتل الطالبيين ،منشورات الشريف الرضى ،ط2- 1416هـ .

95- الفرزدق :ديوانه ،تحق: الفحام شاكر ،ديوان المطبوعات الجامعية 1990مصر.

96- فوزي محمد أمين : في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي، دار المعرفة الجامعية ،بمصر- 1990 .

97- ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، المكتبة المصرية، القاهرة ،1325هـ.

98- ابن قتيبة: الشعر والشعراء ،تحق وشرح: محمود محمد شاكر ،دار المعارف بمصر ،القاهرة، 1982.

99- كامل حسن البصير :بناء الصورة في البيان العربي موازنة وتطبيق ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،العراق، 1987.

100- كامل محمد حسن : الإسماعيلية تاريخها ،دار الكتب والوثائق العراقية، 1959.

101- ابن كثير : البداية والنهاية ،مكتبة المعارف ،بيروت ،ط1- 1966 .

102 كثير عزة :ديوانه ،جمعه وشرحه وحققه: إحسان عباس ، بيروت ،دار الثقافة، 1971.

103- كعب بن مالك :ديوانه ،دراسة وتحق: سامي مكي العاني ، منشورات مكتبة النهضة ،بغداد ،ط1- 1966.

104- الكميت بن زيد :الهاشميات ،شرحها : أبو رياش أحمد إبراهيم القيسي، تحق: داود سلوم ونوري حمودي القيسي ، مكتبة النهضة العربية ، ط2- 1986.

105- لبيد بن ربيعة :ديوانه ،تحق: حمدو طماس ،دار المعرفة، بيروت لبنان.

106- المبرد :الكامل في اللغة والأدب ، القاهرة، 1324هـ .

107- مجاهد مصطفى بهجت : التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، وزارة الأوقاف ، العراق ،ط1- 1982.

108- مجموعة من العلماء :الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، تحق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ط6 – 1996.

109-محسن فياض : أثر التشيع في شعر العصر العباسي الأول ،مطبعة النعمان، النجف ،1979.

110- محمد بن علي بن شهر المازندراني :مناقب آل أبي طالب ،طبعة الراشد بن علي الحايري ،بيروت.

111- محمد الحسن آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ،مطبعة دار النجار ،بيروت، 1976.

112- محمد سليم ومحمد هياجنة : الخطاب الديني في الشعر العباسي ، عالم الكتب الحديثة ،مصر، 2009.

113- محمد عثمان : في أدب الإسلام ،دار الأوزاعي ،بيروت،ط1- 1984.

114- محمد مصطفى هدارة : اتجاهات الشعر العربي ، دار المعارف ،مصر ط1- 1998.

115- أبو مخنف الأزدي: مقتل الحسين ، تحق: حسين الغفاري ،المطبعة العلمية بيروت، ط1- 1403هـ.

116 المرزباني : معجم الشعراء ،تحق: فاروق سليم ،دار صادر، بيروت ،ط1- 2005.

117- مروان بن أبي حفصة : ديوانه ،جمع وتحق: حسين عطوان ،دار المعارف ،مصر ،ط3.

118- المسعودي :مروج الذهب ومعادن الجوهر ، نشر الأنيس ،الجزائر، 1989.

119- مسكين الدرامي :ديوانه ،تحق: عبد الله الجبوري وإبراهيم العطية، مطبعة دار البصرة ،بغداد ،ط1- 1970.

120- مصطفى الشكعة: في موكب الحضارة الإسلامية ،الدار المصرية اللبنانية، ط1- 1993.

121- مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ،دار الأندلس ،ط2- 1981.

122- المطهَّر بن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ ،مكتبة الثقافة الدينية ،بور سعيد ،مصر.

123- معاوية :ديوانه ،جمع وتحق: فاروق سليم ،دار صادر، بيروت، ط1- 1996.

124- ابن معصوم أنوار الربيع في أنواع البديع ،مطبعة النعمان ، النجف،ط1- 1996.

125- منصور النمري: شعره ،جمع وتحق: الطيب العشاش ،دار المعارف للطباعة ،دمشق، 1981.

126- ابن منظور: لسان العرب ،مكتب تحقيق التراث ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،ط1- 1993.

127- ميّ خليفة: قضية الالتزام في الشعر الأموي ،دار الفجر للنشر والتوزيع، 1989.

128- نابغة بني شيبان :ديوانه ،تحق: محمد نبيل الطريفي ،دار الكتب المصرية ،القاهرة، 1932.

129- النابغة الجعدي :ديوانه ،جمع : واضح الصمد ،دار صادر، بيروت ، لبنان ،ط1- 1988.

130- ناصر علي : بنية القصيدة في شعر محمود درويش ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،ط2- 2001.

131- نبيل الخليل أبو حاتم: الفرق الإسلامية فكرا وشعرا ،دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1- 1992.

132- النحاس: شرح المعلقات ، تحق: أحمد خطاب ،وزارة الأعلام ، العراق،دار الحرية للطباعة ،1973.

133- نشوان الحميري:الحور العين ،تحق:كمال مصطفى ،دار أزال،بيروت .

134- نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، تحق: عبد السلام هارون، مطبعة المدني بمصر ،ط2- 1382هـ .

135- النعمان القاضي :الفرق الإسلامية في الشعر الأموي،دار المعارف، مصر.

136- نعيم الفيافي : مقدمة لدراسة الصورة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1982.

137- أبو نواس : ديوانه ، شرح وضبط وتقديم :علي فاعور ،دار الكتب العلمية، بيروت ،ط2- 2002.

138- النوبختي : فرق الشيعة ،تحق: عبد المنعم الحفني ،دار الرشاد، ط1،القاهرة، 1992 .

139- النويري :نهاية الأرب ،ط1،مطبعة دار الكتب ، القاهرة ،1374هـ .

140- الهاشمي أحمد : جواهر البلاغة في المعانى والبيان والبديع، تحق: محمد رضوان مهنا ،مكتبة الإيمان ،المنصورة، ط1- 1999.

141- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار الفكر ،بيروت ،(دت).

142- يحيى الجبوري : شعر ابن الزبير ،جمع وتحق: يحيى الجبوري ،دار الحرية للطباعة ،بغداد ،1974.

143- اليعقوبي : تاريخه ،تحق: عبد الأمير مهنا ، نشر شركة الأعلمي للمطبوعات ،ط1، 1993.

144- يوسف أبو العدوس : المجاز المرسل والكناية -الأبعاد المعرفية والجمالية ، الناشر الأهلية ،1998.

145- يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، نشر المجلس الأعلى للثقافة ،ط2، 1995.

146- يوليوس فلهوزن ، الخوارج والشيعة ، تحق : عبد الرحمن بدوي،مكتبة النهضة المصرية، 1998.

فهرس الموضوعات

- مقدمة .....أ-ذ
- مدخل :الفتنة الكبرى 2-30
- الفصل الأول :ظهور الأحزاب السياسية في العصر الأموي 32-78
- الحزب الأموي.....32-35
- الحزب الزبيري.....36-44
- الشيعة وفرقها.....45-64
- الخوارج.....65-70
- المرجئة.....71-78
- الفصل الثاني : شعر الأحزاب السياسية الكبرى.....80-134
- شعر الحزب الأموي الحاكم 80-88
- شعر الزبيرين 89-109
- شعر الخوارج 110-127
- شعر المرجئة.....128-134
- الفصل الثالث:الحس المأساوي في شعر الشيعة 136-199
- الفصل الرابع: الخصائص الفنية للقصيدة الشيعية 201-249
- بناء القصيدة 201-208
- الألفاظ.....209-212
- الإيقاع الموسيقي للقصيدة الشيعية 213-221
- الصورة الفنية وأنماطها 222-249
- الخاتمة : 251-254
- المصادر والمراجع: 256-267
- فهرس الموضوعات: 269-270

Résumé

Cette étude, intitulée:

Le sens tragique de la poésie chiite à la fin du troisième siècle AH

La convergence du sujet de l'injustice dans la littérature chiite qui est formé à des thèmes préoccupation pour les poètes qui ont gagné le droit de Bani Abbas à la suite, cette préoccupation a été une source riche étend ces poètes les plus belles images des tragiques émotions érotiques qui font rage et défendre ce droit volé.

poètes chiites ont participé à porter la bannière de cette injustice et a commencé à les agiter très exigeant le droit doit être retourné à ses propriétaires, et se venger de la mort de Hussein bin Ali, qui a transformé en une icône où tous les sens du sacrifice et de rédemption incarné afin de faire respecter la parole de la vérité et des opprimés.

poète chiite a porté cette idée de l'injustice au cours des siècles, ses poemes marquent les diverses formes d'images de la répression, l'oppression et la torture pratiquée par l'analphabétisme Benoit sur leurs adversaires en général et en particulier les Chiites.

Le chercheur a tenté de clarifier ces images à travers des textes poétiques tout au long des trois premiers siècles de décadence et de mettre en évidence 'lhonnêteté émotionnelle qui les rendent des images vives tristesse vibrante et la douleur, rempli de sentiments de tristesse et de réfraction, qui se transforme rapidement en un rêve désiré, le toujours poète cherche et appelle à réaliser .

La structure de recherche est basée sur une introduction, une introduction, quatre chapitres et une conclusion.

J'ai parlé lintroduction sur le sujet de grands débats qui ont conduit au début de l'émergence des partis politiques mis en place pour parler du meurtre d'Osman et les raisons qui ont conduit à sa mort et a tenté de résumer le point de vue de chaque partie successivement.

Et discuté dans le premier chapitre des partis politiques dans l'émergence de la période omeyyade du Omeyyades Puis il a parlé de l'émergence du parti et comment il a pris le pouvoir après les événements sanglants qui allaient de leur peine aux deux rangées signé à l'arbitrage. Puis elle a parlé du meurtre d'Ali ibn Abi Talib (que Dieu ait pitié de lui).

Puis j'ai parlé de l'émergence du parti chiite et de ses équipes, elle a déclaré que l'émergence de ce parti, principalement en raison de la pré-événement majeur séditions et exactement certains d'entre eux a cru que, après la mort du Prophète (la paix soit sur lui) la succession doit être dans chaque maison, et Ali Abi Talib, le premier de l'autre .

Présenté au chapitre II ont estimé axes des principaux partis politiques qui ont passé avec nous dans le premier chapitre parlé de leurs sujets et leur source dans des détails précis, ce qui m'a fait savoir plus sur les détails les plus importants dans les croyances et les idées des chiites et de leurs équipes.

Discuté au chapitre III sens marqué du tragique dans les poemes chiite à la fin du IIIe siècle AH Chiites se sentait triste dans une période comprise entre la période omeyyade et la fin du troisième siècle AH, avec une tentative d'écouter les manifestations du discours religieux dans leurs poemes tout comme le potentiel de texte à la lumière de son mandat des implications Ce qui expose la scène linguistique.

Le quatrième et dernier chapitre titré les caractéristiques techniques du poème chiite j'ai parlé de la langue, le style et le rythme du poème musical chiite ..

Dans ce dernier, j'ai été interrogé sur l'image artistique et ses motifs à travers les textes poétiques qui ont traversé ma recherche à travers les chapitres qui nous ont été transmis.

A la fin J'ai resumé mes les conclusions les plus importantes.

ملخص

تحاول هذه الدراسة المعنونة بـ:

"الحِسّ المأساوي في الشعر الشيعي إلى نهاية القرن الثالث الهجري"

أن تقارب موضوع المظلومية في الأدب الشيعي وهي التيمة التي شكلت هاجسا للشعراء الذين انتصروا لحق آل البيت في الخلافة؛ وقد ظل هذا الهاجس منبعا ثرا يمد هؤلاء الشعراء بأجمل الصور المأساوية المثيرة للعواطف المتأججة والمدافعة عن هذا الحق المسلوب.

لقد اشترك شعراء الشيعة في حمل راية المظلومية هذه وراحوا يلوحون بها عاليا مطالبين بوجوب إرجاع الحق إلى أصحابه، والثأر لمقتل الحسين بن علي الذي تحول إلى أيقونة تتجسد فيها كل معاني التضحية والفداء في سبيل إعلاء كلمة الحق ونصرة المظلومين.

لقد حمل الشاعر الشيعي فكرة المظلومية هذه على مر القرون، فطبعت شعره بمختلف أشكال صور القمع والقهر والتنكيل التي مارسها بنو أمية على معارضيهم بعامة والشيعة بوجه خاص.

وقد حاولت الباحثة استجلاء هذه الصور من خلال النصوص الشعرية على مدار القرون الثلاثة الأولى لتحللها وتبرز مواطن الصدق العاطفي والوجداني الذي تكتنزه والذي جعلها صورا حية نابضة بالحزن والألم، ومفعمة بمشاعر الأسى والانكسار الذي سرعان ما يتحول إلى حلم منشود، ما ينفك الشاعر يسعى ويدعو إلى تحقيقه.

يقوم هيكل البحث على مقدمة و مدخل و أربعة فصول وخاتمة.

تكلمت في المدخل عن الفتنة الكبرى التي أدت إلى بداية نشأة الأحزاب السياسية فعرضت للحديث عن مقتل عثمان والأسباب التي أدت إلى مقتله وحاولت تلخيص وجهة نظر كل حزب في الخلافة.

وناقشت في الفصل الأول ظهور الأحزاب السياسية في العصر الأموي فتكلمت عن ظهور الحزب الأموي وكيف استولى على الحكم بعد الأحداث الدامية التي سارت من موقعة الجمل إلى موقعة صفين إلى التحكيم. ثم تكلمت عن مقتل علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه).

ثم تحدثت عن ظهور حزب الشيعة وفرقها فبينت أن نشأة هذا الحزب ترجع أساسا إلى ما قبل حدوث الفتنة الكبرى ،وبالضبط فإن بعضهم كان يرى أنه بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) يجب أن تكون الخلافة في آل البيت وعلي بن أبي طالب أولى بها من غيره.

وعرضت في الفصل الثاني محاور شعر الأحزاب السياسية الكبرى التي مرت معنا في الفصل الأول فتحدثت عن موضوعاتها ومنابعها بالتفصيل الدقيق مما جعلني أتعرف أكثر على أهم التفاصيل في معتقدات و أفكار الشيعة وفرقها.

وناقشت في الفصل الثالث الموسوم بالحس المأساوي في الشعر الشيعي إلى نهاية القرن الثالث الهجري شعر الشيعة الحزين في الحقبة الزمنية الممتدة ما بين العصر الأموي ونهاية القرن الثالث الهجري ،مع محاولة الإنصات لتحقيق تجليات الخطاب الديني في شعرهم بما يحوز من إمكانات نصية على ضوء مرجعياته من المدلولات التي يجهر بها المشهد اللغوي.

وجاء الفصل الرابع والأخير فناقشت فيه الخصائص الفنية للقصيدة الشيعية فعرضت لبناء القصيدة واللغة والتي تمثلت في حديثي الطويل عن الألفاظ والأسلوب ثم الإيقاع الموسيقي للقصيدة الشيعية ببحورها الخليلية المتنوعة وقوافيها الواضحة الشجية.

وفي الأخير عرجت بالحديث على الصورة الفنية وأنماطها في الشعر الشيعي من خلال النصوص الشعرية التي اشتمل عليها البحث.

وأنهيت بحثي بخاتمة رصدت فيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها.